دورة العلوم والمعارف الإسلامية

معرفة الإمام

المجلد الرابع

تأليف

سماحة العلامة الراحل

آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

افاض الله علينا من بركات نفسه القدسية

تعريب

علي هاشم

دار المحجة البيضاء

هُوَ العَزیز

إمام شناسی

بحث های تفسیریّ ، فلسفیّ ، روائیّ ، تاریخی ، اجتماعی

در بارهٔ إمامت وولایت بطور کلّی

ودر بارهٔ إمامت وولایت أمیرالمؤمنین علیّ بن أبیطالب

وأئمّهٔ معصومین سلام الله علیهم أجمعین بالخصوص

درس های استدلالی علمیّ متّخذ از قرآن کریم

وروایات وارده از خاصّه وعامّه ؛ وابحاث حلّی ونقدی

پیرامون ولایت

لمؤلّفه الحقیر :

سیّد محمّد حُسَین حسینیّ طهرانیّ

عُفِیَ عَنهُ

هو العزيز

معرفة الإمام

بحوثٌ تفسيريّةٌ ، فلسفيّةٌ ، روآئيّةٌ ، تاريخيّةٌ ، اجتماعيّةٌ

حَوْلَ الإمامةِ والولايَةِ عُمُوماً ؛

و حَوْلَ إمامةِ و ولايةِ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي‌طالبٍ

و الأَئِمَّةِ المعصومينَ سلامُ الله عليهم أجمعين

خصوصاً

دُروسٌ استِدلاليّةٌ و علميّةٌ مُتّخَذةٌ من القرآنِ الكريم

وروايَاتٌ مأْثورةٌ عن الخاصَّةِ والعامَّةِ ؛ وأَبحاثٌ حَلّيَّةٌ ونَقدِيَّةٌ

حَوْلَ الوِلايَةِ

لمؤلّفه الحقير

السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

عُفِيَ عنه

الفهرس

فهرس مطالب و موضوعات

معرفة الإمام

المجلّد الرابع

المطالب **الصفحات**

الدرس السادس و الاربعون إلى الحادى و الخمسين :

تفسير الآية: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...»

الصفحة ٣ إلى الصفحة ٧

يشمل المطالب التالية :

حقيقة معنى الإرث و القصد من وراثة القرآن ٥

تقسيم العباد إلى ثلاثة أقسام ٧

ورثة الكتاب كلّهم من أبناء فاطمة الزهراء عليها السّلام ٩

تفسير الإمام محمد الباقر عليه السّلام لآيه «ثُمَّ أورثنَا الكتَابَ ١١

الإمام هو الوارث لعلوم القرآن كلّها ١٣

علوم الأنبياء جميعهم عند الإمام ١٥

معجزات الأنبياء و الأئمة إثر كمال نفوسهم ١٧

الإمام وارث جميع كمالات و فضائل الأنبياء ١٩

أمير المؤمنين عليه السّلام هو الجامع لجميع كمالات الأنبياء ٢١

فى أمير المؤمنين سبع خصال لم تكن فى أحد سواه ٢٥

المطالب	الصفحات
مجيء أميرالمؤمنين عليه السّلام للمدائن فى وفاة سلمان	٢٧
ذكر بعض معجزات و مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام	٢٩
انقياد الوحوش لأميرالمؤمنين عليه السّلام	٣١
رجوع الشمس لأميرالمؤمنين عليه السّلام فى مواضع متعددة	٣٣
عدة أشعار فى رد الشمس لأمير المؤمنين عليه السّلام	٣٧
شفاء أميرالمومنين عليه السّلام العين العمياء و اليد المقطوعة	٣٩
عروج الإمام أميرالمؤمنين عليه السّلام إلى السماء قاصداً أصحاب الكهف	٤١
حديث الإمام على عليه السلام مع أصحاب الكهف	٤٣
إحياء أميرالمؤمنين للميت	٤٥
سلام ثلاثة آلاف من للملائكة على أميرالمؤمنين عليه السّلام فى ليلة واحدة	٤٧
شق أميرالمؤمنين عليه السّلام للحجر	٤٩
محن و مصائب أميرالمؤمنين كانت أكثر من جميع الأنبياء	٥١
أميرالمؤمنين الوارث لكمالات جميع الأنبياء	٥٣
خطبةآمير المؤمنين فى أنّ الأئمة فى أعلى درجات القرآن	٥٥
فى كلام أميرالمؤمنين: وإنما كنت جاراً جاوركم بدنى أيّاماً	٥٧
الأئمة عليهم السّلام هم ورثة كتاب اللـه	٥٩
خطبة الخضر النبيّ بعد شهادة أميرالمؤمنين عليه السّلام	٦١
فضائل أميرالمؤمنين تفوق العدّ و الإحصاء	٦٣
منع معاوية من بيان فضائل أمير المؤمنين	٦٥
قصيدة الأُزرى فى فضائل أميرالمؤمنين	٦٧
أشعار للشعراء الفُرس فى فضائل أميرالمؤمنين عليه السّلام	٧١

الدرس الثانى و الخمسون والثالث و الخمسون:

المطالب الصفحات

تفسير الآية : و يقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى باللـه شهيدا

الصفحة ٧٧ إلى الصفحة ١٠٩

يشمل المطالب التالية :

الأقوال فى تعيين مصداق العالم بالكتاب ٧٩

نظرة إجمالية على سورة الرعد المباركة ٨١

المعنى و المراد من شهادة اللـه على رسالة النبى صلى اللـه عليه و سلم ٨٥

الأقوال المتنوعة حول الآية «و من عنده علم الكتاب» و تفنيدها ٨٧

الروايات الواردة فى المقصود بـ «و من عنده علم الكتاب» ٩٣

المقصود بـ «و من عنده علم الكتاب» هو أميرالمؤمنين عليه السلام ٩٥

علم أميرالمؤمنين و الأئمة عليهم السلام بجميع الكتاب ٩٧

ترجمة عبداللـه بن سلام ١٠١

عبداللـه بن سلام لم يكن المقصود بآية «و من عنده علم الكتاب» ١٠٣

الأئمة عليهم السلام كانوا أعلم الناس بكتاب اللـه ١٠٥

أمير المؤمنين كان أعلم الناس بكتاب اللـه تعالى ١٠٧

الدرس الرابع و الخمسون إلى السادس و الخمسين :

تفسير الآية: أمن كان على بينة ويتلوه شاهد منه...

الصفحة ١١٣ إلى الصفحة ١٦٦

يشمل المطالب التالية :

استعراض عام لسورة هود المباركة ١١٥

معنى كلمتى البينة و الشاهد الواردتين فى الآية ١١٧

بيان أبى الفتوح الرازى فى انحصار مصداق الشاهد بأميرالمؤمنين ١١٩

المراد من الشاهد فى قوله تعالى: و شهد شاهد على مثله ١٢١

المطالب	الصفحات
ليس المراد من الشاهد عبد اللـه بن سلام	١٢٣
الدلائل الواردة فى أنّ عبداللـه بن سلام ليس هو المراد من الشاهد	١٢٥
روايات ابن عباس و أنس فى أنّ المراد من الشاهد أميرالمؤمنين	١٢٧
طوائف الروايات عن الرسول الأكرم و الأئمّة الأطهار و غيرهم	
فى أن المراد من الشاهد أميرالمؤمنين	١٢٩
رسالة عمرو بن العاص لمعاوية فى فضائل علىّ بن أبى طالب	١٣١
جنايات عمرو بن العاص و عداوه الشديد لأهل البيت عليهم السّلام	١٣٣
سعاية عمرو بن العاص عند النجاشى بمبعوث رسول اللـه صلى اللـه عليه و آله	١٣٥
رسالة معاويه إلى عمرو بن العاص و استعانته به	١٣٧
رسالة عمرو بن العاص الجوابية لمعاويه	١٣٩
نهى ابن و غلام عمرو بن العاص إيّاه عن إعانة معاويه	١٤١
الروايات المأثورة عن الإمامين السجاد و المجتبى بأنّ المراد من الشاهد على عليه السّلام	١٤٣
طوائف من روايات أميرالمؤمنين فى أنّه هو المراد بالشاهد	١٤٥
خطبة أميرالمؤمنين على منبر مسجد الكوفة فى أنّ المراد من الشاهد نفسه	١٤٧
فى أسانيد حديث أميرالمؤمنين فى مسجد الكوفة بشأن إحاطة علمه	١٤٩
فى خطبة «سلونى قبل أن تفقدونى» و أسئلة ابن الكوّاء و أجوبة أميرالمؤمنين	١٥٣
آية «ويتلوه شاهدٌ منه» أكبر مناقب أميرالمؤمنين	١٥٥
أميرالمومين كان تلميذ رسول اللـه و دونه بدرجة واحدة	١٥٩
قرب مقام أميرالمؤمنين عليه السّلام من مقام رسول اللـه صلى اللـه عليه و آله	١٦١
أشعار السيّد الحميرى فى مدح أميرالمؤمنين عليه السّلام	١٦٣
القصيدة العينيّة لابن أبى الحديد فى عظمة أميرالمؤمنين عليه السّلام	١٦٥

الدرس السابع و الخمسون إلى الستين:

تفسير الآية: ﴿إِنَّمآ أنتَ مُنذِرٌ و لِكُلِّ قَوم هَاد»

المطالب الصفحات

الصفحة ۱۶۹ إلى الصفحة ۲۱۹

يشمل المطالب التالية :

بطلان طلب المشركين من رسول اللـه معجزة غير القرآن ۱۷۱
آية «ولكل قوم هاد» دالة على أن الأرض لاتخلو من حجة ۱۷۳
الوجوه المختلفة فى تفسير الهادى ۱۷۵
معنى الهداية و الإنذار ۱۷۷
طبقتان من الروايات الدالة على أن الإمام هاد ۱۷۹
الروايات الدالة على أن الهادى على بن أبى طالب عليه السلام ۱۸۱
تصريح رسول اللـه صلى اللـه عليه و آله بأن الهادى على عليه السلام ۱۸۳
الروايات المأثورة عن أميرالمؤمنين الدالة على أنه هو المراد بالهادى ۱۸۵
الروايات المأثورة عن أميرالمؤمنين الدالة كناية على أنه هو المراد بالهادى ۱۸۷
روايات وضوء رسول اللـه الدالة على أن المنذر رسول اللـه، و الهادى على عليه السلام ۱۸۹
روايات معراج رسول اللـه الدالة على أن هادى الأمة على أمير المؤمنين ۱۹۱
فى لزوم إتباع الإمام الحى من آل محمد عليهم السلام ۱۹۳
طائفة من الروايات الدالة على أن مصداق الهادى الأئمة الأطهار ۱۹۵
تصريح رسول اللـه بأسماء الأئمة الاثنى عشر ۱۹۷
انحصار الإمامة فى آل محمد الذين هم أعلم الناس ۱۹۹
دعاء الإمام السجاد فى لزوم الإمام و فوائده ۲۰۱
فى معنى هداية الإمام ۲۰۳
الإمام من أجل ربط القلوب باللـه تعالى ۲۰۵
تقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام ۲۰۷
لاتخلو الأرض من حجة للـه أبدا ۲۰۹
كلام أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد حول الحجج الإلهية ۲۱۱

المطالب	الصفحات
الإشارة إلى ظهور قائم آل محمد عليهم السّلام	٢١٣
بيان العلامة المجلسى فى الروايات المفسّرة للآية «إنّما أنت منذر و...»	٢١٥
القصيدة اللاميّة لابن أبى الحديد فى المقامات العالية لأميرالمؤمنين	٢١٧

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ

إِلَى الدَّرْسِ الْحادِيِّ وَالخمسين

تفسير الآية:

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَبَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا . . .

بسْـمِ اللـه الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ

و صلَّى اللـه على محمّد و آله الطَّاهرين

و لعنة اللـه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوّة إلاّ باللـه العلىّ العظيم

قال اللـه الحكيم فى كتابه الكريم:

وَالَّـذِى أَوْحَيْنَـآ إِلَيْـكَ مِـنَ الْكِتَـٰبِ هُـوَ الْحَـقُّ مُصَدِّقًـا لِّمَـا بَيْـنَ يَدَيْـهِ إِنَّ اللـه بِعِبَـادِهِ لَخَبِـيرٌ بَصِـيرٌ. ثُـمَّ أَوْرَثْنَـا الْكِتَـٰبَ الَّذِيـنَ اصْطَفَيْنَـا مِـنْ عِبَادِنَـا فَمِنْـهُمْ ظَـالِمٌ لِّنَفْسِـهِ وَ مِنْـهُم مُّقْتَصِـدٌ وَ مِنْـهُم سَـابِقٌ بِـالْخَيْرَ ٰتِ بِـإِذْنِ اللـه ذَ ٰلِـكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ [1].

تخاطب الآيـة الأُولى الرسـول الاكـرم صلّـى اللـه عليـه و آلـه و سـلّم مبيّنـة أنّ الكتـاب الـذىأُوحـى إليـه هـو الحـقّ، و هـو القـرآن المجيـد المصـدّق لجميـع الكتب السـماويّة النازلـة مـن اللـه علـى مـن سـبقه مـن الانبيـاء. و تتحـدّث الآيـة الثانيـة حـول انتقـال القـرآن الكـريم نفسـه إلى المصطفـين مـن عبـاد اللـه بعـد النبىّ بوصفه إرثاً.

و علـى الرغـم مـن أنّ بعـض المفسّـرين قـد تـردّدوا فى تفسـير معـنى الكتـاب و قـالوا: لعـلّ فيـه إشـارة إلى جنـس الكتـب السـماويّة أو إلى خصـوص التـوراة و الإنجيـل ، بَيـدَ أنّ هـذا التـردّد لاقيمـة له مـن وجهـة النظـرة الواقعيّة ،

---

١ ـ الآيتان ٣١ و ٣٢، من السورة ٣٥: فاطر.

لان اللام فى الكتاب ليست للجنس، كما أنه لم يتقدم على هاتين الآيتين ذكر التوراة و الإنجيل فى الآيات التى سبقتهما لتدل عليهما بصفتها لاما للعهد. بيد أنه لما كان الكتاب فى الآية الاولى هو القرآن الكريم الموحى إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أن هذ الكتاب قد ذكر مباشرة بعد تلك الآية بوصفه إرثا لمن اصطفاهم الله من عباده، فلابد أن تكون اللام فى الكتاب هى لام العهد مشيرة إلى القرآن المجيد نفسه. و مفادها ومفهومها أن الله تعالى قد أورث القرآن من اجتباهم من عباده.

و سبب ورود التعبير القرآنى بصيغة الماضى الملحوظة فى كلمة: أورثنا، هو لتحقق وقوعه و تثبيته فى القضاء الإلهى، كما لو أوصى أحد بإعطاء ماله أو كتابه لابنه، فقال: يا بنى أوصيت بإعطائك المال الفلانى أو الكتاب الفلانى. و يقول أهل الفن إن الاعمال التى سيتحقق وقوعها فى المستقبل على نحو الحتم و اليقين هى فى حكم الاعمال المتحققة . و المراد من إرث القرآن، انتقال القرآن إلى الوارث من جميع الجهات، لان حقيقة معنى الإرث فى كل شىء هو انتقال ذلك الشىء إلى آخر بحيث يقوم هذا به، و يأخذ على عاتقه الاضطلاع بشؤونه. و على سبيل المثال، فعندما يموت شخص و يترك مالا موروثا، فإن الوارث يتصرف فيه و كأنه وارثه الحقيقى، و ما عليه إلا القيام بما فيه و مصلحة المال من حيث حفظه و الاهتمام به و صرفه فى محله. و تتعلق به ملكيته أيضا كما كانت لصاحبه من قبل .

و للإرث فى الحكومة و السلطنة هذا المعنى ذاته، يقولون: فلان وارث أبيه فى السلطنة، أو زيد أورث نجله حكومته، أو فلان وارث أبيه فى العلم، أو فلان هو وارث أبيه الوحيد فى العلوم و الفنون من بين أبنائه الآخرين، أى أنه أخذ عن أبيه تلك العلوم و الفنون، و هو لها أهل.

القصد من وراثة القرآن

و على هذا النسق يجرى إرث القرآن المجيد فى هذه الآية المباركة. أى: أن تلك الحقائق التى عرفها الله نبيه من القرآن المجيد، الظاهرة منها كالاحكام العامة و الخاصة و المجمل و المبين، و المطلق و المقيد والناسخو المنسوخ، و قصص الانبياء و الامم الماضية، و الاخلاق والمعارف الدينية، و التوحيد بجميع مراتبه و الوعظ و الوعد و الوعيد والمصالح و المفاسد و مراتب النفس و ظهورها فى العوالم الاخرى والباطنة منها كالتأويل، و التفسير، و الكلية، و التطبيق، و الجرى والحقائقالمنطوية فى الآيات مثل: حقيقة عالم الطبع، و عالم البرزخ والصور المثالية، و عالم العقل و الملائكة و الروح و مقاماتهم، و درجات أهل الثواب و دركات أهل المعصية، و حقيقة التوحيد الخالص و إدراكه، و كيفية إحاطة الاسماء و الصفات الإلهية بجميع العوالم، و اندكاك الاسماء و الصفات فى الذات، و حقيقة التجلى لجميع العوالم، و الآيات الإلهية الآفاقية و الانفسية و غيرها، فهذه الحقائق كلها قد أودعها الله ورثة القرآن، بحيث إنهم يمثلون خلفاء رسول الله و النازلين منزلته فى تلك المعانى كلها، و إنهم الامتداد الطبيعى للرسول الاكرم فى القيام بها وحفظها، و العمل على ما فيه مصالح الامة وفقا لمدلولها.

فى ضوء ذلك فإن وارث القرآن يمثل نسخة الاصل من وجود رسول الله و سيتجلى القرآن فى وجود الوارثين واحدا تلو الآخر كنحو تجلى القرآن المحكم و القرآن المفصل «كتـٰب أحكمت ءايـٰته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» ، [1] لانه ينبغى أن تكون هناك نسبة واقعية بين

١- الآية ١، من السورة ١١: هود.

المورِّث والوارث، فلا يورِّث كلّ شيء لكلّ أحد، فابن الوزير أو ابن العضو النيابيّ لايرث الحكومة و المُلك، و لا يرث ابن عامل القمامة فن الطبّ من الطبيب، و لا يرث الجاهل غير الجدير علم العالم. و يمكننا أن نطلّ من هذه النافذة لنشهد وارثى القرآن المجيد، فإنّهم أشبه الناس بالنبيّ الاكرم وأقربهم منه، بل إنّهم، فى الصفات و صفاء الباطن و الاستعدادات لتلقّى الحقائق و بواطن القرآن، ذوو صدور رحبة و قلوب قويّة كالرسول الاعظم صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و فى ضوء ذلك، يقول الله جلّ شأنه: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَبَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...» إذ إنّ معنى الاصطفاء هو اختيار خالص الشيء وخياره. و قوله: «مِنْ عِبَادِنَا» بيانيّة كما يبدو، لانّ الإضافة فى كلمة «عِبَادِنَا» للتشريف، و يريد أن يقول بأنّ هؤلاء المصطفين و وارثى القرآن يتّصفون بعبوديّتهم لنا، كما فى قوله عزّ وجلّ: وَ سَلَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى.[1] و أمّا قوله: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَ تِ بِإِذْنِ اللهِ، فَلعلّه من أجل تقسيم العباد إلى ثلاث شرائح، فيما إذا رجع الضمير فى كلمة «مِنهُمْ» إلى العباد، و فى هذه الحالة، فإنّ الجملة ستكون تعليلاً للجملة التى سبقتها، أى: أنّنا أورثنا القرآن الذين اصطفينا من عبادنا لانّ عبادنا جميعهم غير متساوين بل هم ثلاث شرائح، و من الطبيعىّ فإنّ أفضل هذه الشرائح و هى الشريحة السابقة بالخيرات ترث القرآن وستكون الجنّات الموعودة فى الآيات الثلاث التالية لها من نصيبهم: جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَب وَ لُؤْلُؤًا وَ لِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَ قَالُوا الْحَمْدُللهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ

١ـ الآية ٥٩، من السورة ٢٧: النمل.

شَكُورٌ * الَّذِىَ أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ.[١]

و لعلّه من أجل تقسيم المصطفين، أى أنّنا أورثنا القرآن الذين اصطفيناهم من عبادنا، و هم ثلاثة أقسام: الاوّل: الذين ظلموا أنفسهم. الثانى: الذين سلكوا سبيل العدل و الإنصاف و الاعتدال. الثالث: الّذين أحرزوا قصب السبق فى مجال الخيرات و الحسنات، و تفوّقوا على الجميع بإذن الله، و القرآن بوصفه إرثاً وصل إلى هؤلاء جميعهم لانّهم من المصطفين من اختلاف فى الدرجات و المراتب. هذا مع أنّ الوارث الحقيقىّ للقرآن و القائم بأمره هو القسم الثالث من بين هؤلاء طبعاً، و هم السابقون.

و هذا اللون من الإستعمال شائع أيضاً فى العرف و لغة المحاورة فنجد أنّ شيئاً خاصّاً بشخص ينسب إلى جماعة لها معه ارتباط، كما يقال: حصل الفريق الفلانىّ على الجائزة الفلانيّة بينما نجد الجائزة من نصيب أحد أعضاء الفريق، أو يقال: نزل القرآن على أهل مكّة، ثمّ نزل على أهل المدينة بينما هو نزل على رسول الله خاصّة. و فى القرآن المجيد استعمالات كثيرة من هذا القبيل. جاء فى الآيتين ٥٣ و ٥٤ من سورة المؤمن قوله: وَ لَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى' وَ أَوْرَثْنَا بَنىَ إِسر ' ءِيلَ الْكِتَـ'ـبَ *هُدًى وَ ذِكْرَى' لاِوْلِى الاَلْبَابِ. فى حين أنّ التوراة لم يؤتَها بنو إسرائيل جميعهم، و بعد موسى عليه السلام كانت من نصيب بعضهم. أو أنّ المراد من الكتاب هنا ليس التوراة بعينها، بل هو ذلك الكتاب السماوىّ الموحى الذى نزل على موسى نفسه تحت عنوان التوراة، و لم ينزل على بنى إسرائيل كلّهم.

١ـ الآيات ٣٣ إلى ٣٥، من السورة ٣٥: فاطر.

بيد أن قراءة فى الروايات المأثورة سواء الواردة عن طريق الشيعة أوعن طريق السنة، تنبئنا أن الاحتمال الثانى أقوى. فالله تعالى فى هذه الآية يقسم عباده المصطفين إلى ثلاثة أقسام، و هم مع اختلافهم فيما بينهم، حتى أن فيهم من يظلم نفسه، لكنهم يتميزون عن غيرهم بصفاء وكلهم ورثة الكتاب على نحو الإجمال، مع أن حقيقة الإرث ترتبط بالفريق الثالث السابق بالخيرات.

و الشاهد على ذلك هو أن تلك الجنان الموعودة هى للذين ظلموا أنفسهم، و للمقتصدين المعتدلين، و قد أصبحت من نصيبهم بسبب مغفرة الله لهم، و جزاء لاعمالهم.

لان الآيات نطقت بأنهم يحمدون الله ربهم و يثنون عليه بصفتى الغفور و الشكور، و هذا المعنى يتناسب مع الذنب و المغفرة، و العمل الصالح و الثواب، و هو ما يتعلق بالفريق الاول و الثانى: و أنهم يحمدون الله الذى أذهب عنهم الحزن و أحلهم دار المقامة و جنة الخلد من فضله لايمسهم فيها نصب و لا لغوب. و هذه العبارات الناطقة بالحمد تصدر عن ذينك الفريقين؛ و لاتصدر عن الفريق الثالث الذى يدخل أفراده الجنة بغير حساب متنعمين بالامن و الامان فى مقعد صدق عند مليك مقتدر. ويخاطبون بقوله جل من قائل: يـ'َأيتها النفس المطمئنة * اءرجعى َ إلى' ربك راضية مرضية.

ورثة الكتاب كلهم من أبناء فاطمة الزهراء

تفيد الروايات المأثورة أن المذكورين فى الاقسام الثلاثة جميعهم من ولد فاطمة عليها السلام و كلهم يدخلون الجنة، لكن أفراد القسم الاول يدخلونها بعد حساب عسير بسبب ظلهم أنفسهم، و أفراد القسم الثانى

يدخلونها بعد حساب يسير، أما أفراد القسم الثالث، و هم ورثة القرآن، فإنهم يدخلونها بغير حساب.

نقل محمد بن يعقوب الكلينى فى كتاب «الكافى» بسنده عن أحمدبن عمر أنه قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عزوجل: «ثم أورثنا الكتـ'ب الذين اصطفينا من عبادنا» ـ الآية، فقال: ولد فاطمة عليها السلام و السابق بالخيرات الإمام، و المقتصد العارف بالإمام، والظالم لنفسه الذى لا يعرف الإمام. [١]

و نقل الكلينى مثل هذه الرواية بألفاظها نفسها (ماعدا: ولد فاطمة عليها السلام) عن سالم، عن الإمام الباقر عليه السلام. [٢]

و رواها ابن بابويه أيضا بسنده عن جابر بن يزيد الجعفى، عن الإمام الباقر عليه السلام ماعدا قوله: ولد فاطمة عليها السلام لكن جاء فى ذيلها قوله: جنـ'ت عدن يدخلونها أى: المقتصد والسابق. [٣]

و روى الطبرسى عن عبدالعزيز، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: الظالم من لا يعرف حق الإمام، و المقتصد منا العارف بحق الإمام، و السابق بالخيرات الإمام، و هؤلاء كلهم مغفور لهم. [٤]

---

١ ـ «غاية المرام» ص ٣٥١، الحديث الرابع، و تفسير «الميزان» ج ١٧، ص ٤٩؛ و«بحار الانوار» ج ٧، ص ٤٤ عن «بصائر الدرجات».

٢ ـ «غاية المرام» ص ٣٥١، الحديث الاول؛ و «بحار الانوار» ج ٧، ص ٤٤ عن «بصائر الدرجات»، و ص ٤٥ عن «تفسير على بن إبراهيم».

٣ ـ «غاية المرام» ص ٣٥١، الحديث الثامن.

٤ ـ «غاية المرام» ص ٣٥٣، الحديث السادس عشر: و قال فى تفسير «الدر المنثور» ج ٥، ص ٢٥١ فى ذيل الآية الشريفة: و أخرج الطيالسى، و أحمد، و عبدبن حميد والترمذى و حسنه ، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم ، و ابن مردويه ، و البيهقى ، عن أبى سعيد

و نلاحظ أن الإمام الصادق عليه السلام قد فسر الآية كما فسرها الإمام الباقر عليه السلام و قال فى ذيلها: كلهم مغفور لهم.

و روى ابن بابويه بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل: «ثم أورثنا الكتـ'ب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخير ' ت بإذن الله». فقال: الظالم يحوم حوم نفسه، والمقتصد يحوم حوم قلبه[٩] (أى انه يراقب قلبه لئلا بقدر منه معصية أو تفوته طاعة، و لئلا يعتريه صدأ؛ فيحفظ قلبه دوما طاهرا بنور الطاعة)، والسابق يحوم حوم ربه عزوجل (أى انه تخطى قلبه، فهو لايجد وجودا و قلبا فى داخله ليكون فى صدد تنزيهه و تطهيره، فهو ناظر دوما إلى جمال الحق و تجلياته. مضمحلا فى شعاع صفاته و أسمائه، و فانيا فى ذاته المقدسة).

لكن العلامة الطباطبائى نقل ذلك عن «معانى الاخبار» للصدوق، عن الإمام الصادق عليه السلام على النحو التالى: الظالم يحوم حوم نفسه، والمقتصد يحوم حوم قلبه، والسابق بالخيرات يحوم حوم ربه. [١٠] و القصد واحد فى كلتا الحالتين.

و روى محمد بن العباس بن ماهيار، و هو من الموثقين، فى تفسيره عن إبى إسحاق السبيعى أنه قال: خرجت حاجا فلقيت محمد بن على

الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم ـ أنه قال فى هذه الآية: «ثم أورثنا الكتـ'ب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخير'ت» قال: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة و كلهم فى الجنة.

٥ ـ «غاية المرام» ص ٣٥١، الحديث الثامن.

٦ ـ تفسير «الميزان» ج ١٧، ص ٥٠ ؛ و «بحار الانوار» ج ٧، ص ٤٣ عن «معانى الاخبار»

عليهما السلام فسألته عن هذه الآية: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» فقال: ما يقول فيها قومك يا أبا إسحاق ـ يعنى أهل الكوفة ـ؟ قال: قلت: يقولون انها لهم، قال: فما يخوفهم إذا كانوا من أهل الجنة؟ قلت: فما تقول أنت جعلت فداك؟ قال: هى لنا خاصة يا أبا إسحاق أما السابقون بالخيرات فعلى والحسن والحسين عليهم السلام والإمام منا، والمقتصد فصائم بالنهار و قائم بالليل، والظالم لنفسه ففيه ما فى الناس و هو مغفور له: يا أبا إسحاق بنا يفك الله رقابكم و يحل رباق الذل من أعناقكم و بنا يغفر الله ذنوبكم، و بنا يفتح و بنا يختم، و نحن كهفكم ككهف أصحاب الكهف، و نحن سفينتكم كسفينة نوح، و نحن باب حطتكم كباب حطة بنى إسرائيل. [1]

و روى ابن بابويه، الشيخ الصدوق بسنده عن أبى حمزة الثمالى رضوان الله عليه أنه قال: كنت جالسا فى المسجد الحرام مع أبى جعفر عليه السلام إذ أتاه رجلان من أهل البصرة فقالا له: يابن رسول الله إنا

١ـ «غاية المرام» ص ٣٥٢، الحديث الحادى عشر، و «بحار الانوار» ج ٧، ص ٤٤ عن كتاب «سعد السعود» لابن طاووس، عن كتاب «تفسير محمد بن عباس بن مروان». و قال فى تفسير «الدر المنثور» ج ٥، ص ٢٥١: و أخرج الفريابى، و أحمد، و عبيد بن حميد، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و الطبرانى، و الحاكم، و ابن مردوية، و البيهقى، عن أبى الدرداء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: قال الله ـ تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخير'ت بإذن الله» فأما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب، و أما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا، و أما الذين ظلموا أنفسهم فاولئك يحبسون فى طوال المحشر ثم هم الذين تلقاهم الله برحمة، فهم الذين يقولون: «الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور * الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب و لا يمسنا فيها لغوب»

نريد أن نسألك عن مسألة؟ فقال لهما: سلا عما شئتما قالا: أخبرنا عن قول الله عز وجل: «ثم أورثنا الكتـ'ب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخير ' ت بإذن الله ذ ' لك هو الفضل الكبير» ـ إلى آخر الآيتين ـ قال: نزلت فينا أهل البيت. قال أبو حمزة الثمالى: فقلت: بأبى أنت و أمى، فمن الظالم لنفسه منكم؟ قال: من استوت حسناته و سيئاته من أهل البيت، فهو الظالم لنفسه، فقلت: من المقتصد منكم؟ قال: العابد لله فى الحالين [1] حتى يأتيه اليقين. قلت: فمن السابق بالخيرات؟ قال: من دعا والله إلى سبيل ربه و أمر بالمعروف و نهى عن المنكر و لم يكن للمضلين عضدا و لا للخائنين خصيما، و لم يرض بحكم الفاسقين إلا من خاف على نفسه و دينه و لم يجد أعوانا. [2]

و حدث صاحب كتاب «ثاقب المناقب» عن أبى هاشم الجعفرى، قال: كنت عند أبى محمد الحسن العسكرى عليه السلام فسألته عن قول الله تعالى: «ثم أورثنا الكتـ'ب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخير'ت بإذن الله» قال عليه السلام: كلهم من آل محمد، الظالم لنفسه الذى لا يقر بالإمام، و المقتصد العارف بالإمام ، والسابق بالخيرات باذن الله الإمام. قال: فدمعت عيناى و جعلت افكر فى نفسى ما أعطى الله آل محمد، فنظر إلى و قال: الامر أعظم مما حدثتك به نفسك من عظم شأن آل محمد، فاحمد الله فقد جعلك مستمسكا بحبلهم تدعى' يوم القيامة لهم إذا دعى كل اناس بإمامهم، فأبشر يا أبا هاشم و إنك

١ـ أى فى الشدة و الرخاء، و فى الضيق و السعة.

٢ـ «غاية المرام» ص ٣٥٢ ، الحديث التاسع؛ و «بحار الانوار» ج ٧، ص ٤٤ عن «معانى الاخبار».

على خير. [١]

و روى محمد بن يعقوب الكليني بسنده عن أحمد بن حماد، عن إبراهيم، عن أبيه، عن الإمام أبى الحسن الاول (موسى بن جعفر) عليهما السلام. قال: قلت له: جعلت فداك أخبرنى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم، قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبيا إلا ومحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أعلم منه، قال: قلت: إن عيسى بن مر يم كان يحيى الموتى بإذن الله، قال: صدقت و سليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدر على هذه المنازل. قال: فقال إن سليمان بن داود. قال للهدهد حين فقده و شك فى أمره فقال: ما لى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين. [٢] حين فقده فغضب عليه فقال: لاعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين. و إنما غضب لانه كان يدله على الماء فهذا و هو طائر قد أعطى ما لم يعط سليمان، و قد كانت الريح و النمل و الإنس و الجن والشياطين [و] المردة له طائعين و لم يكن يعرف الماء تحت الهواء. و كان الطير يعرفه، [٣] و أن الله ـ يقول فى كتابه: و لو أن قرءانا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى» و قد ورثنا نحن هذا القرآن الذى فيه ما تسير به الجبال و تقطع به البلدان و تحيى به الموتى.

و نحن نعرف الماء تحت الهواء (فلا نحتاج إلى الهدهد و علمه) . و أن فى

---

١ ـ «غاية المرام» ص ٣٥٣، الحديث الثامن عشر؛ و «بحار الانوار» ج ٧، ص ٤٤ عن «كشف الغمة» .

٢ـ لانه كان يدل سليمان على الماء بما يمتلكه من بصر حاد.

٣ ـ و عليه فإن سليمان كان ناقصا فى علومه.

كتاب اللـه لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن اللـه به مع ما قـد يـأذن اللـه مما كتبه الماضون، جعله اللـه لنا فى أم الكتاب. إن اللـه يقول: «و ما من غـ'ئبة فـى السمآء و الارض إلا فى كتـ'ب مبين». ثم قال: «ثم أورثنا الكتـ'ب الذيـن اصطفينـا مـن عبادنـا» فنحن الذين اصطفانا اللـه عزوجل و أورثنا هذا الذى فيه تبيان كل شىء. [١]

و نقـل فى «الكـافى» بإسـناده عـن الإمـام محمـد البـاقر عليـه السـلام أنـه قـال: يمصـون الثمـاد [٢] و يدعـون النـهر العظيـم. قيـل: و مـا النـهر العظيـم؟ قـال: رسول اللـه ـ صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم ـ والعلـم الـذى أعطـاه اللـه. إن اللـه عـز وجـل جمـع لمحمـد سـنن النبيـين مـن آدم و هلـم جـرا إلى محمـد. قيـل لـه: و ما تلـك السـنن؟ قـال: علـم النبيـين بأسـره، و إن رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وآله وسلم صير ذلك كله عند أمير المؤمنين. [٣]

و نقلـت هـذه الروايـة نفسـها فى «بصـائر الدرجـات» عـن علـى بـن نعمـان. [٤] و جـاء فى «الكـافى» أيضـا بسـنده عـن الإمـام محمـد البـاقر عليهالسـلام أنـه قـال: كـان جميـع الانبيـاء مائـة ألـف نـبى و عشـرين ألـف نـبى منـهم خمسـة اولـو العـزم: [٥] نـوح و إبراهيـم و موسـى و عيسـى و محمـد صلـى اللـه عليـه و عـليهـم، و إن علـى بـن أبى طـالب كـان هبـة اللـه لمـحمـد و ورث عـلـم

١ ـ «غايـة المـرام» ص ٣٥١، الحديـث الرابـع، و «بحـار الانـوار» ج ٦، ص ٢٢٦ و الطبعـة الحروفية ج ٢٦، ص ١٦١ عن «الكافى».

٢ ـ الثمـاد جمـع الثمـد و هـو المـاء القليـل الـذى لا مـاد لـه و الـذى يتجمـع علـى الارض أحيانا ثم يجف.

٣ ـ «بحار الانوار» ج ٦، ص ٢٢٦.

٤ ـنفس المصدر السابق

٥ ـ أى أصحاب كتاب و شريعة.

الاوصياء و علم من كان قبله. أما إن محمدا ورث علم من كان قبله من الانبياء والمرسلين.[١]

و جاء فى «الكافى» و «بصائر الدرجات» بإسنادهما عن ضريس الكنانى أنه قال: كنت عند أبى عبد الله (الصادق) عليه السلام و عنده أبو بصير. فقال أبوعبد الله عليه السلام إن داود ورث علم الانبياء، و إن سليمان ورث داود، و إنا ورثنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم و إن عندنا صحف إبراهيم و ألواح موسى عليهما السلام. فقال أبو بصير: إن هذا لهو[٢] العلم! فقال: يا أبا بصير ليس هذا هو العلم. إنما العلم ما يحدث بالليل و النهار، يوما بيوم و ساعة بساعة.[٣] (لكن تلك الصحف و الالواح حقيقة أخرى استقرت فى وجودنا بنحو كلى و هى لاتقبل الحدوث و التغيير، و قد انسابت هذه العلوم اليومية من ذلك المنبع)».

و جاء مثل هذه الرواية فى «بصائر الدرجات» عن أيوب بن نوح ومحمد بن عيسى، عن صفوان.[٤] و فى «الكافى» عن ابن مسكان، عن أبى بصير، عن الصادق عليه السلام قال: قال لى: يا أبا محمد إن الله عزوجل لم يعط الانبياء شيئا إلا و قد أعطاه محمدا جميع ما أعطى الانبياء، و عندنا الصحف التى قال الله عز وجل: « صحف إبراهيم و موسى». قلت: جعلت فداك هى الالواح؟ قال: نعم.[٥]

و فى « الكافى » عن هارون بن الجهم أنه روى عن رجل من أصحاب

---

١ ـ «بحار الانوار»، ج ٦، ص ٢٢٦.

٢ ـ أى ان المقصود بصحف إبراهيم و موسى لهو العلم الذى تبينونه للناس.

٣ ـ «أصول الكافى» ج ١، ص ١٧٥؛ و «بحار الانوار» ج ٦، ص ٢٢٦ و الطبعة الحروفية ج ٢٦، ص ١٨٧.

٤و٥ ـ «بحار الانوار» ج ٦، ص ٢٢٦.

الصادق عليه السلام لم يحفظ اسمه قال: سمعت الصادق عليه‌السلام يقول: إن عيسى ابن مريم اعطى حرفين كان يعمل بهما، [1] وأعطى موسى أربعة أحرف، و أعطى إبراهيم ثمانية أحرف، و أعطى نوح خمسة عشر حرفا، و أعطى آدم خمسة و عشرين حرفا، و إن الله تبارك و تعالى جمع ذلك كله لمحمد صلى الله عليه وآله و سلم و إن اسم الله الاعظم ثلاثة و سبعون حرفا، أعطى محمدا اثنين و سبعين حرفا و حجب عنه حرف واحد. [2]

و روى فى «بصائر الدرجات» بسنده عن أبى حمزة الثمالى، عن الإمام السجاد على بن الحسين عليهما السلام أنه قال: قلت له: الائمة يحيون الموتى' و يبرؤن الاكمه و الابرص و يمشون على الماء؟ قال: ما أعطى الله نبيا شيئا قط إلا و قد أعطاه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم و أعطاه ما لم يكن عندهم ـ الخبر. [3]

و فيه بسنده عن جابر، عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: أعطى الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما أعطى آدم فمن دونه من الاوصياء كلهم، يا جابر! هل تعرفون (يعرفون ـ خ ل) ذلك؟ [4]

و جاء فى كتاب «الاختصاص» للشيخ المفيد عن عبد الله بن بكير الهجرى، عن أبى جعفر عليه السلام [أنه] قال: إن على بن أبى طالب كان

١ ـ أى أنه أعطى حرفين كان يجترح بهما المعجزات، من إحياء الموتى و شفاء الاعمى و الاكمه و الابرص، و إخبار الناس عن الغيب، كإخبارهم عما كانوا يأكلون أو عما يدخرون فى بيوتهم.

٢ ـ «بحار الانوار» ج ٦، ص ٢٢٧.

٣ ـ «بحار الانوار» ج ٦، ص ٢٢٧ طبعة الكمبانى.

٤ ـ نفس المصدر، ص ٢٢٩.

هبة الله لمحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم، ورث علم الاوصياء و علم ما كان قبله، أما إن محمدا ورث علم من كان قبله من الانبياء و المرسلين .[١]

إن ما يستفاد من هذه المجموعة الروائية هو أن جميع الكمالات الروحية و العلمية التى كان يتصف بها الانبياء الماضون قد ورثها نبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم عنهم، و ورثها على أميرالمؤمنين عليه السلام عنه، ثم بعد ذلك ورثها أئمة أهل البيت عليهم السلام عن أميرالمؤمنين. و لاينحصر هذا الإرث فى الوحى و العلوم الإلهية الخاصة بشرائعهم فسحب، بل و فى كافة الحالات و الصفات الروحية و كيفية الاتصال بالمبدأ الاعلى من حيث الاسم الخاص الذى كانوا يستأثرون به ، بل و إن جميع المعجزات و الكرامات التى كانت تصدر عنهم بإذن الله، كانت كلها موجودة و منطوية فى نفس النبى المباركة. و لما كانت معجزات الانبياء صادرة عنهم بسبب قدراتهم الروحية و صفاء قلوبهم حيث تجلى أمر الله فيهم و ظهرت المعجزات مشعة من نافذة نفوسهم الطاهرة بإذن الله، و لما كانت نفوسهم متفاوتة، فإن هذه التجليات متفاوتة أيضا، و صدرت عن كل نبى معجزة خاصة.

و لم تكن علومهم الإلهية أيضا على نمط و سبيل واحد، فكل واحد منهم قد تشرف بالدخول إلى الحرم الإلهى ـ من حيث درك مقام التوحيد والعظمة الإلهية ـ بجانب خاص و اسم مخصوص و أصبح من المخلصين. و أن ألقابا نحو: روح الله، أو كليم الله، أو خليل الله، أو نجى الله، أو صفى الله، و أمثالها ليست ألقابا شكلية و اعتبارية، بل هى تنبى عن نوع خاص من الملكات، و طبيعة مخصوصة من النفوس، إذ إن النفحات الإلهية فى

١ ـ «بحار الانوار» ج ٩، ص ٢٢٩ .

كل واحد منهم ليست على منوال واحد، بل إن كلا منهم سار من طريق خاص و نمط مخصوص متصفا بصفاء الباطن فى اسم من الاسماء الإلهية، فظهرت حقيقة ذلك الاسم فيهم. و كانوا يقومون بالمعجزات والأعمال الخارقة للعادة بواسطة ذلك الاسم. و كانت العلوم الربانية تنساب على قلوبهم من نافذة ذلك الاسم، من عالم العلم الإلهى الكلى بواسطة جبريل الامين.

أما الوجود المقدس الخاتم الانبياء والمرسلين الجامع لظهورات الاسماء الإلهية كلها، فله نفس واسعة و قلب فسيح، و عنده الاسم الأعظم و مقام الفناء فى اسم الاحد و الذات الإلهية المقدسة. و لقب خاتم النبيين ليس لقبا شكليا و اعتباريا، بل هو يعبر عن تلك الروح الكبيرة و الاستعداد على السير فى جميع الاسماء و الصفات، و تجلى الاسم الاعظم، و تلقى آخر مرتبة من مراتب التوحيد و الفناء فى الذات الاحدية و اندكاك جميع العوالم و انطوائها فى نفسه المباركة بل اندكاك و انطواء جميع علوم الانبياء السابقين و مواهبهم مع كمالاته الروحية و العلمية و التى تدل كلها على معنى خاتم النبين فالانبياء أجمع مقدمة الجيش له، و كل منهم وجد طريقة إلى الله من زاوية خاصة و طريق مخصوص، و أصبح له كمال مخصوص. بيد أن النفس الواسعة لنبينا العظيم تشرفت بذلك المقام المنيع و تجلت فيها كافة الاسماء الإلهية من جميع الزوايا و الطرق. فهو ـ إذن ـ و ارث الأنبياء جميعهم، و جمعيهم تحت نفوذه و طوع إرادته متمسكين بشرف الخدمة و الاستشفاع.

«ما عند الابرار جميعهم عندك أفضل منه أضعافا مضاعفة».

فعند سيد الكائنات علوم الأنبياء و الأوصياء جميعهم ، و عنده

معجزاتهم كلها، و أكثر من ذلك، سيدفع إليه فقط لواء الحمد يوم القيامة فهو إمام الحامدين لله كما يليق بمقام حمده.

و قد انتقلت جميع تلك المراتب و الدرجات و الكمالات و الفضائل و الميزات و العلوم و المعجزات و الاسماء الإلهية الكلية، و الاسم الاعظم إلى خليفته و وصية و مرآة ظهوره التام، أعنى الوجود المبارك لاميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام و سيتحول لواء الحمد يوم القيامه من يد النبى إلى يد أميرالمؤمنين.

إن مقام الوراثة هذا هو فى كتاب التكوين و كتاب التشريع، إذ إن علم ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة و ما هو كائن مشهود فى ذهنه، وقدرة الله و عظمة الاسماء الإلهية متجلية فى نفس الوصى الصافية و ضميره المتلالا. ثم أورثنا الكتـ'ب الذين اصطفينا من عبادنا.

و على هذا الاساس اعتبر القرآن عليا عليه السلام نفس النبى صلى‌الله عليه وآله وسلم فى آية المباهلة. [1] و كذلك وردت بهذا الشأن أحاديث كثيرة عن طريق الشيعة و السنة، و شرط الاتحاد بين النفسين الاتحاد فى الكمالات و المعارف. و مضافا إلى ذلك فقد جاءت أحاديث جمة عن طريق الفريقين مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شبهت أميرالمؤمنين بآدم، و نوح، و إبراهيم، و موسى، و عيسى، و يحيى و يوسف. و لايتم التشبيه إلا بتحقق صفة المشبه به فى المشبه، بل إن كثيرا منها لم ينص على التشبيه بل نص على المثلية و المساواة. و نذكر فيمايلى بعض الاحاديث المروية عن طريق العامة فقط:

---

١ ـ فقل تعالوا ندع أبنآءنا و أبنآءكم و نسآءنا و نسآءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل. (الآية ٦١، من السورة ٣: آل عمران).

روى محمد بن طلحة الشافعى [١] بسنده عن البيهقى، و كذلك روى إبن‌الصباغ المالكى، [٢] فى كتاب صنفه فى فضائل الصحابة، بسنده عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه، و إلى نوح فى تقواه، و إلى إبراهيم فى حلمه، و إلى موسى فى هيبته، وإلى عيسى فى عبادته، فلينظر إلى على بن أبى طالب.

و قال الفخر الرازىّ عند تفسيره آية المباهلة: إنّ هذه الآية دلّت على أنّ نفس على هى نفس محمّد. و لما دلّ الإجماع على أنّ محمّداً صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كان أفضل من سائر الانبياء عليهم السلام فيلزم أن يكون على أفضل من سائر الانبياء باستثناء رسول الله. ثمّ قال: و يؤيّد الاستدلال بهذه الآية الحديث المقبول عند الموافق و المخالف، و هو قوله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم. مَنْ أَرادَ أَنْ يَرَى آدَمَ فِى عِلْمِهِ، وَ نُوحاً فِى طاعَتِهِ، وَ إبْرَاهِيمَ فِى خُلَّتِهِ، وَ مُوسَى فِى هَيْبَتِهِ، وَ عِيسَى فِى صِفْوَتِهِ، فَلْيَنْظُرْ إلى عَلِيِّبْن أَبِى‌طَالِب.

ثَمّ قال: فالحديث دلّ على أنّه اجتمع فيه ما كان متفرّقاً فيهم. وذلك يدلّ على أنّ عليّاً أفضل من جميع الانبياء. و أمّا الشيعة فقد كانوا قديماً و حديثاً يستدلّون بهذه الآية على أنّ عليّاً رضى الله عنه أفضل من سائر الصحابة، لانّ الآية لما دلّت على أنّ نفس على رضى الله عنه مثل نفس محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إلاّ فيما خصّه الدليل، و كانت نفس محمّد صلّى الله عليه] وآله [وسلّم أفضل من الصحابة، فوجب أن تكون نفس على أفضل من سائر الصحابة. [٣]

---

١ ـ «مطالب السُؤل» ص ٢٢.

٢ ـ «الفصول المهمّة» ص ١٢١.

٣ ـ «تفسير الفخر الرازىّ» آية المباهلة، ج ٨، ص ٨٦.

و روى الشيخ سليمان القندوزىّ الحنفىّ عن أبى الحمراء، عن رسولالله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: مَنْ أَرادَ أَنْ يَنْظُرَ إلى آدَمَ فِى عِلْمِهِ، وَ إلى نُوحٍ فِى عَزْمِهِ، وَ إلى إبْرَاهِيمَ فِى حِلْمِهِ، وَ إلى مُوسَى فِى بَطْشِهِ، وَإِلَى عِيسَى فِى زُهْدِهِ، فَلْيَنْظُرْ إلى علىِ بْنِ أَبِى طَالِبٍ. أخرجه أبوالخير الحاكمىّ.[1]

و روى ابن عبّاس أيضاً عن رسول الله أنّه قال: مَنْ أَرادَ أَنْ يَنْظُرَ إلى آدَمَ فِى عِلْمِهِ، وَ إلى نُوحٍ فِى حُكْمِهِ، وَ إلى إبْرَاهِيمَ فِى حِلْمِهِ، وَ إلى مُوسَى فِى هَيْبَتِهِ، وَ إلى عِيسَى فِى زُهْدِهِ، فَلْيَنْظُرْ إلى علىِ بْنِ أَبِى طَالِبٍ. أخرجه الملاّ فى سيرته .[2]

و روى محبّ الدين عن أبى الحمراء أنّه قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ [وَآلِهِ] وَ سَلَّمَ: مَنْ أَرادَ أَنْ يَنْظُرَ إلى آدَمَ فِى عِلْمِهِ، وَ إلى نُوحٍ فِى فَهْمِهِ، وَ إلى إبْرَاهِيمَ فِى حِلْمِهِ، وَ إلى يَحْيَى بْن زَكَرِيّا فِى زُهْدِهِ، وَ إلى مُوسَى فِى بَطْشِهِ، فَلْيَنْظُرْ إلى علىِ بْنِ أَبِى طَالِبٍ. أخرجه أبو الخير الحاكمىّ.[3]

و ورد فى هامش ص ٢١٢ من «المناقب» لابن المغازلىّ: أخرجه أخطب خوارزم فى مناقبه، ص ٤٩، و ص ٢٤٥، و المحبّ الطبرىّ فى «الرياض النضرة» ج ٢ ص ٢١٧، و رواه ابن أبى الحديد فى «شرح نهج البلاغة» ج ٢ ص ٢٢٩، و قال: رواه أحمد بن حنبل فى المسند، و رواه البيهقى فى صحيحه.

---

١ ـ «ينابيع المودّة» ص ٢١٤

٢ ـ نفس المصدر

٣ ـ «ذخائر العقبى» ص ٩٣.

و كذلك روى محب الدين الطبرى عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: من أراد أن ينظر إلى إبراهيم فى حلمه و إلى نوح فى حكمه، و إلى يوسف فى جماله، فلينظر إلى على بن أبى طالب. أخرجه الملا (على تقى) فى سيرته.[١]

و روى ابن المغازلى أيضا بسنده عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله: من أراد أن ينظر إلى علم آدم، وفقه نوح، فلينظر إلى على بن أبى‌طالب[٢]

و روى الكنجى الشافعى بإسناده المتصل عن ابن عباس أنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم جالس فى جماعة من أصحابه أقبل على بصر به رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم قال: من أراد منكم أن ينظر إلى آدم فى علمه، و إلى نوح فى حكمته، و إلى إبراهيم فى حلمه، فلينظر إلى عليبن أبى‌طالب.

ثم قال: تشبيهه لعلى بآدم فى علمه لان الله علم آدم صفة كل شىء كما قال عز وجل: و علم آدم الاسمآء كلها. [٣] فما شىء و لاحادثة و لاواقعة إلا و عند على علم، و له فى استنباط معناها فهم.

و شبهه بنوح فى حكمته، أو فى رواية أخرى فى حكمه، و كأنه أصح، لان عليا عليه السلام كان شديدا على الكافرين رؤوفا بالمؤمنين كماوصفه الله تعالى فى القرآن بقوله: والذين معه أشدآء على الكفار رحمآء بينهم. [٤] و أخبر الله عز وجل عن شدة نوح عليه السلام على الكافرين

١ ـ «ذخائر العقبى» ص ٩٤.

٢ ـ «مناقب ابن المغازلى» ص ٢١٢

٣ـ الآية ٣١، من السورة ٢: البقرة.

٤ ـ الآية ٢٩، من السورة ٤٨: الفتح.

بقوله: رب لا تذر على الارض من الكـ'فرين ديارا. [١]

و شبهه فى الحلم بإبراهيم عليه السلام خليل الرحمن كما وصفه الله عز وجل بقوله: إن إبر'هيم لحليم أواه منيب. [٢] فكان متخلقا بأخلاق الأنبياء متصفا بصفات الاوصياء. [٣]

و قال القندوزى الحنفى: و فى «المناقب» عن الحسن بن على بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، عن آبائه، عن أميرالمؤمنين على بن أبىطالب عليهم السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم نظر إلى و أنا مقبل و أصحابه حوله و قال لى: أما إن فيك شبها من عيسى ابن مريم، و لو لا مخافة أن يقول فيك طوائف من أمتى ما قالت النصارى فى عيسى ابن مريم لقلت فيك مقالا لا تمر بملا من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يبغون فيه البركة و يستشفون به. فقال المنافقون: لم يرض محمد إلا أن يجعل ابن عمه مثلا لعيسى ابن مريم، فأنزل الله تعالى: «و لما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون * و قالوا ءأ'لهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون * إن هو (أى على) إلا عبد أنعمنا عليه و جعلنـ'اه مثلا لبنى ٓ إسرآءيل». [٤]

ثم قال القندوزى: و جاء أيضا عن سلمان نحو هذه الرواية، و بطريق

---

١ ـ الآية ٢٦، من السورة ٧١: نوح.

٢ ـ الآية ٧٥، من السورة ١١: هود.

٣ ـ «كفاية الطالب»، ص ١٢١ و ١٢٢

٤ـ «ينابيع‌المودة» طبع إسلامبول ص ١٣١، ونقل ذلك فى «بحارالانوار» ج ٩، ص ٤٣٦ عن «فضائل» ابن شاذان، و نقل كتاب الفضائل عن ابن عباس، عن رسول الله، صلى الله عليه و آله و سلم ـ فى يوم خيبر باختلاف يسير فى اللفظ. و الآيات ٥٧ إلى ٥٩، من السورة ٤٣: الزخرف.

آخر عن أبى بصير، عن جعفر الصادق عليه السلام نحوها. و يطابقها قول جعفر الصادق عليه السلام فى دعائه: اللهم قد أجبنا داعيك المنذر النذير محمدا صليت عليه عبدك و رسولك الذى دعا الناس إلى ولاية على يوم الغدير الذى أنعمت عليه و جعلته مثلا لبنى إسرائيل.[١]

و قال أيضا: أخرج أحمد بن حنبل، و البزار، و أبويعلى، و الحاكم عن على بن أبى طالب أنه قال: دعانى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فقال: إن فيك مثلا فى عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، و أحبته النصارى' حتى نزلوه بالمنزلة التى ليس فيها. ثم قال على [عليهالسلام]: و إنه ليهلك فى اثنان: محب مفرط يقرضنى بما ليس فى، و مبغض يحمله شنآنى على أن يبهتهى.[٢]

و ذكر أحمد فى «المسند» نحوها عن على أميرالمؤمنين عليهالسلام مرفوعا.[٣]

و الاخبار، التى تدل على أن أميرالمؤمنين قد دخل حرم الله وأصبحت روحه مندكة فى الانوار الإلهية، و أنه فنى فى ذات الله، كثيرة وطبيعى أن من كانت له هذه الصفة، فإن أنوار تجليات الذات تتجلى فى وجوده فيكون يد الله، و قدرة الله، و عين الله، و سمع الله، و تصدر عنه المعجزات. و كلما كان اندكاكه فى الذات المقدسة أكثر، تلألأت صفاتالله، التى هى لازمة للذات فى مرآة وجوده أكثر فأكثر.

و أخرج أبونعيم الاصفهانى بسلسلة سنده عن يحيى بن سعيد

١ ـ «ينابيع المودة» ص ١٣١.
٢ ـ «ينابيع المودة» ص ٢٨٣.
٣ ـ «ينابيع المودة» ص ٢١٤

الانصاری، عن سعید بن المسیب، عن أبی سعید الخدری أنه قال: قال رسول الله صلی الله علیه [وآله] وسلم لعلی ـ و ضرب ببین کتفیة ـ : یاعلی! لك سبع خصال لا یحاجك فیهن أحد یوم القیامة؛ أنت أول المؤمنین بالله إیمانا، و أوفاهم بعهد الله، و أقومهم بأمر الله، و أرأفهم بالرعیة، و أقسمهم بالسویة، و أعلمهم بالقضیة، و أعظمهم مزیة یوم القیامة. [1]

و وأضح أن رسول الله قال لعلی بنحو مطلق إن هذه الصفات التی فیك لایساویك فیها أحد یوم القیامة. أی: أن جمیع الانبیاء و المرسلین لایساوونك فیها، و أن الدرجة التی ارتقیت إلیها فی هذه الصفات السبع لم یرتقوا إلیها.

و أخرج أبونعیم أیضا بسنده عن أنس بن مالك أنه قال: بعثنی النبی صلی الله علیه [وآله] وسلم إلای برزة الاسلمی فقال له ـ و أنا أسمع : یا أبابرزة! إن رب العالمین عهد إلی عهدا فی علی بن أبی طالب فقال: إنه رایة الهدی، و منار الإیمان، و إمام أولیائی، و نور جمیع من أطاعنی . یا أبابرزة! علی بن أبی طالب أمینی غدا فی القیامة و صاحب رایتی فیالقیامة علی مفاتیح خزائن رحمة ربی. [2]

و وأضح أن رسول الله لما کان أفضل الانبیاء جمیعهم، و لیس فیهم من هو علی مفاتیح خزائن رحمة الله إلا أمینه علی بن أبی طالب، فإن حصر هذا المقام به یدل علی أن له منزلة خاص َ هی لیست لاحد من الأنبیاء.

---

١ ـ «حلیة الأولیاء» ج ١، ص ٦٦ .

٢ ـ «حلیة الأولیاء» ج ١، ص ٦٦ و ٦٨ .

و ذكر الحموينى فى «فرائد السمطين»، و أبونعيم بإسناده رواية نقلاها عن إسحاق بن كعب بن عجرة أنه روى عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: لا تسبوا عليا فإنه ممسوس فى ذات الله ـ تعالى. [١]

و أخرج أبو نعيم أيضا بسنده عن سليمان، و هو ابن محمد بن كعببن عجرة، عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة، و كانت زوجة أبى سعيد الخدرى، عن أبى سعيد الخدرى أنه قال: شكى الناس عليا: فقام رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم خطيبا، فقال: يا أيها الناس! لاتتشكوا عليا فوالله إنه لاخشن فى ذات الله عز وجل. [٢]

و نقل القندوزى الشافعى أيضا نحوه عن رسول الله، ثم قال: أخرج أحمد بن حنبل هذا الحديث . [٣]

و أيضا عن كعب بن عجرة مرفوعا أن رسول الله قال: إن عليا مخشون فى ذات الله عز وجل. ثم يقول: أخرجه أبو عمر. [٤]

و على هذا الاساس كانت تصدر معجزات الانبياء و المرسلين عن أميرالمؤمنين. و قال الإمام الفخر الرازى فى تفسير الآية الشريفة: «أم حسبت أن أصحـ'ب الكهف والرقيم كانوا من ءاي'تنا عجبا». [٥] و لهذا قال عليبن أبىطالب كرم الله وجهه: والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية. و ذلك لان عليا كرم الله وجهه فى ذلك الوقت انقطع

١ ـ «حلية الاولياء» ج ١، ص ٦٦ و ٦٨ .
٢ ـ نفس المصدر
٣ ـ «ينابيع المودة» ص ٢١٦.
٤ ـ نفس المصدر
٥ ـ الآية ٩، من السورة ١٨: الكهف.

نظره عن عالم الاجساد وأشرقت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء فتقوى روحه و تشبه بجواهر الارواح الملكية و تلالات فيه أضواء عالم القدس والعظمة فلا جرم حصل له من القدرة ما قدر بها على ما لم يقدر عليه غيره.[1] علما أن أربعة وأربعين شخصا لم يستطيعوا أن يرفعوه عن الارض ، فقلعه الإمام بضربة واحدة و رماه فصار جسرا لعبور الجيش إلى داخل قلعة خيبر.

و روى ابن شهرآشوب عن حبيب بن حسن العتكى، عن جابر بن عبدالله الانصارى قال: صلى بنا أميرالمؤمنين عليه السلام صلاة الصبح ثم أقبل علينا، فقال: معاشر الناس، أعظم الله أجركم فى أخيكم سلمان فقالوا فى ذلك. فلبس عمامة رسول الله و دراعته و أخذ قضيبه و سيفه وركب على العضباء (الناقة التى ورثها عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم) و قال لقنبر: عد عشرا. قال: ففعلت، فإذا نحن على باب سلمان (فى المدائن) قال زاذان: فلما أدرك سلمان الوفاة، فقلت له: من المغسل لك؟ قال: من غسل رسول الله. فقلت: إنك بالمدائن و هو بالمدينة! فقال: يازاذان إذا شددت لحيتى، تسمع الوجبة، فلما شددت لحيته سمعتالوجبة و أدركت الباب، فإذا أنا بأميرالمؤمنين. فقال: يازاذان قضى [العبد الصالح] أبو عبدالله سلمان؟ قلت: نعم يا سيدى، فدخل وكشف الرداء، عن وجهه، فتبسم سلمان إلى أميرالمومنين. فقال له: مرحبا يا أبا عبدالله، إذا لقيت رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم ـ فقل له ما مر على أخيك من قومك، ثم أخذ فى تجهيزه. فلما صلى عليه كنا نسمع من أميرالمؤمنين تكبيرا شديدا ، و كنت رأيت معه رجلين . فقال : أحدهما جعفر أخى، و الآخر

١ ـ «التفسير الكبير» للفخر الرازى ج ٢١، ص ٩١

الخضر عليه السلام و مع كل واحد منهما سبعون صفا من الملائكة، فى كل صف ألف ملك (وضع سلمان فى ملحودته و أهال عليه التراب، ثم رجع إلى المدينة و لم ينشق الفجر بعد) . و فى ذلك يقول أبوالفضل التميمى :

سمعت منى يسيرا من عجائبه
و كل أمر على لم يزل عجبا
أدريت فى ليلة سار الوصى إلى
أرض المدائن لما أن لها طلبا
فألحد الطهر سلمانا و عاد إلى
عراص [١] يثرب والإصباح ما قربا
كآصف [٢] قبل رد الطرف من سبأ
بعرش بلقيس وافى يخرق الحجبا
فى آصف لم تقل ءانت بلى
أنا بحيدر غال أورد الكذبا؟
إن كان أحمد خير المرسلين فذا
خير الوصيين أو كل الحديث هبا [٣]

---

١ ـ العرصة ساحة الدار، و يقال لكل بقعة ليس فيها بناء: عرصة. و جمعها عراص وأعراص و عرصات.

٢ ـ وصى سليمان بن داود عليهما السلام.

٣ ـ إن أمكن لآصف بن برخيا ـ و هو وصى سليمان ـ أن يحضر عرش بلقيس من مدينة سبأ قبل ارتداد الطرف، فأحمد خاتم الانبياء و المرسلين و وصية خير الوصيين، فكيف لا يمكنه أن يأتى من المدينة إلى المدائن ثم يعود فى ليلة واحدة؟! عليك أما أن تنكر ذلك كله و تقول إن جميع مطالب القرآن و إحضار عرش بلقيس من سبأ كان جزافا من القول؛ أو أن تؤمن به كله.

و قلت ما قلت من قول الغلاة فما

ذنب الغلاة إذا قالوا الذى وجبا [١]

قال ابن وهبان و الفتاك عن جماعة: مضينا مع أميرالمؤمنين عليه‌السلام فوصلنا إلى غابة فإذا أسد بارك فى الطريق و أشباله خلفه. قال جويرية بن مسهر: فلويت بدابتى لارجع، فقال الإمام: إلى أين؟ اقدم ياجويرية، إنما هو كلب الله ثم قرأ قوله تعالى: **و ما من دآبة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على' صر'ط مستقيم**. فإذا قد أقبل نحوه، وتبصبص بذنبه وهو يقول: **السلام عليك يا أميرالمؤمنين و رحمة الله و بركاته يا ابن عم رسول الله. فقال الآمام: و عليك السلام يا أبا الحارث، ما تسبيحك؟ فقال: سبحان من ألبسنى المهابة و قذف فى قلوب عباده منى المخافة** [٢]

و قال الإمام الباقر عليه السلام: «قال أميرالمؤمنين عليه السلام لجويرية بن مسهر و قد عزم على الخروج: إما أنه سيعرض لك فى طريقك الاسد. قال: فما الحيلة؟ فقال: تقرئه السلام، و تخبره أنى أعطيتك منه الامان. فبينما جويرية يسير إذ أقبل نحوه أسد، فقال: يا أبا الحارث، إن أميرالمؤمنين عليه السلام يقرئك السلام و أنه قد أمننى منك. قال: فولى وهمهم خمسا. فلما رجع، حكى ذلك لاميرالمؤمنين، فقال عليه السلام فإنه قال لك فاقرأ وصى محمد منى السلام و عقد بيده خمسا. [٣]

قال عمرو بن حمزة العلوى فى كتاب «فضائل الكوفة» إنه كان أميرالمؤمنين عليه السلام ذات يوم فى محراب جامع الكوفة، إذ قام بين

---

١ ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٤٨ و ٤٤٩.

٢- «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٥٠ .

٣ ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٥٠ .

يديه رجل للوضوء، فمضى نحو رحبة الكوفة يتوضأ فإذا أفعى قد لقيه فى طريقه ليلتقمه، فهرب من بين يديه إلى أميرالمؤمنين، فحدثه بما لحقه فى طريقه. فنهض أميرالمؤمنين حتى وقف على باب الثقب الذى فيه الافعى، فأخذ سيفه و تركه فى باب الثقب، و قال: إن كنت معجزة مثل عصا موسى فاخرج الافعى. فما كان إلا ساعة حتى خرج يساره ثم رفع رأسه إلى الاعرابى و قال: إنك ظننت أنى رابع أربعة لما قمت بين يدى؟ فقال: هو صحيح، ثم لطم على رأسه و أسلم». [١]

قال عمار بن ياسر و جابر بن عبدالله الانصارى، كلا على حدة : «كنت مع أميرالمؤمنين عليه السلام فى البرية، فرأيته قد عدل عن الطريق فتبعته فرأيته ينظر إلى السماء ثم تبسم ضاحكا، فقال: أحسنت أيها الطير إذ صفرت (و نجوت من الصيد) بفضله. فقلت له: مولاى، أين الطير؟ فقال: فى الهواء، تحب أن تراه و تسمع كلامه؟ فقلت: نعم يا مولاى . فنظر إلى السماء و دعا بدعاء خفى، فإذا الطير يهوى إلى الارض، فسقط على يد أميرالمؤمنين. فمسح الإمام يده على ظهره، فقال: انطق بإذن الله أنا على بن أبى طالب. فأنطق الله الطير بلسان عربى مبين، فقال: **السلام عليك يا أميرالمؤمنين و رحمة الله و بركاته**. فرد عليه، و قال له: من أين مطعمك و مشربك فى هذه الفلاة القفراء التى لانبات فيها و لاماء؟ فقال: يا مولاى إذا جعت ذكرت ولايتكم أهل البيت فأشبع، و إذا عطشت أتبرأ من أعدائكم فأروى. فقال الإمام: بورك فيك، بورك فيك، و طارت مثل قوله تعالى: **يـ'أيها الناس علمنا منطق الطير.**» [٢]

١ـ «مناقب ابن شهرآشوب»، ص ٤٥١ .

٢ـ نفس المصدر.

و نقل محمد بن وهبان الازدى الديبلى فى «معجزات النبوة» ضمن خبر فى أميرالمؤمنين أنه «عبر فى السماء خيط من الإوز طائرا على رأس أميرالمؤمنين فصرصرن و صرخن، فقال أميرالمؤمنين لأصحابه: قد سلمن على و عليكم، فتغامز أهل النفاق بينهم. فقال أميرالمؤمنين: يا قنبر ناد بأعلى صوتك أيها الإوز أجيبوا أميرالمؤمنين و أخا رسول رب العالمين. فنادى قنبر بذلك فإذا الطير ترفرف على رأس أميرالمؤمنين . فقال: قل لها انزلن، فلما قال لها، رأيت الإوز و قد ضربت بصدورها إلى الارض حتى صارت فى صحن المسجد على أرض واحدة. فجعل أميرالمؤمنين يخاطبها بلغة لانعرفها، و هن يلززن بأعناقهن إليه ويصرصرن. ثم قال لهن: انطقن بإذن الله العزيز الجبار، قال: فإذا هن ينطقن بلسان عربى مبين: **السلام عليك يا أميرالمؤمنين و خليفة رب العالمين** ـ الخبر. و هذا كقوله تعالى (فى داود عليه السلام): **يا جبال أوبى معه والطير و ألنا له الحديد.**» [1]

و جاء فى «علل الشرائع» عن على بن حاتم القزوينى بإسناده عن الاعمش، عن إبراهيم بن على بن أبى طالب: «أن أميرالمؤمنين عليهالسلام خرج ذات يوم فوقف على الفرات، و قال: يا هناش، فأطلع الجرى رأسه (نوع من السمك تسميه العرب: الحنكليس، و ثعبان الماء) . فقال له على عليه السلام: من أنت؟ قال: أنا من أمة بنى إسرائيل، عرضت على ولايتكم، فلم أقبلها ، فمسختجريا » [2]

قال ابن شهرآشوب: روى أبوبكر بن مردويه فى « المناقب» و أبو

١ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١ ص ٤٥٢. و الآية ١٠، من السورة ٣٤: سبأ

٢ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٥٢.

إسحاق الثعلبي فى تفسيره، و أبو عبدالله بن منده فى كتاب «المعرفة» وأبو عبدالله النطنزى فى كتاب « الخصائص » ، و الخطيب فى « الاربعين » وأبوأحمد الجرجانى فى «تاريخ جرجان» رد الشمس لعلى عليه السلام ولابى‌بكر الوراق كتاب طرق من روى رد الشمس، و لابى عبدالله الجعل مصنف فى جواز رد الشمس، و لابى القاسم الحسكانى مسألة فى تصحيح رد الشمس و ترغيم النواصب الشمس، و لابى الحسن بن شاذان كتاب بيان رد الشمس على أميرالمؤمنين عليه السلام، و ذكر أبوبكر الشيرازى فى كتابه بالإسناد عن شعبة، عن قتادة، عن الحسن البصرى، عن أم هانى هذا الحديث مستوفى، ثم قال: قال الحسن البصرى عقيب هذا الخبر: و أنزل الله عز وجل آيتين فى ذلك: (الاولى): قوله تعالى: **و هو الذى جعل اليل و النهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا** [1] و أنزل أيضا (الثانية قوله تعالى): **يكور اليل على النهار و يكور النهار على اليل.** [2] و ذكر أن الشمس ردت عليه مرارا. الذى رواه سلمان، و يوم البساط، و يوم الخندق، و يوم حنين، و يوم خيبر، و يوم قرقيساء ،[3] و يوم براثا، و يوم الغاضرية، و يوم النهروان، و يوم بيعة الرضوان، و يوم صفين، و فى النجف، و فى بنى مازر، و بوادى العقيق، و بعد أحد.

و روى الكلينى فى «الكافى» أنها رجعت بمسجد الفضيخ فى المدينة. و أما المعروف مرتان (الاولى): فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ بكراع الغميم، و (الثانية): بعد وفاته، ببابل.

١ـ الآية ٦٢، من السورة ٢٥: الفرقان.

٢ـ الآية ٥، من السورة ٣٩: الزمر.

٣ـ قرقيساء مدينة على ساحل الفرات

فأما فى حال حياته عليه السلام ما روت ام سلمة، و أسماء بنت عميس، و جابر (بن عبدالله) الانصارى، و أبوذر (الغفارى)، و ابن عباس و(أبوسعيد) الخدرى، و أبو هريرة، و (الإمام) الصادق عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بكراع الغميم؛ فلما سلم نزل عليه الوحى. و جاء على (بن أبى طالب) عليه السلام، و هو على ذلك الحال، فأسنده إلى ظهره، فلم يزل على تلك الحال حتى غابت الشمس والقرآن ينزل على النبى صلى الله عليه و آله و سلم. فلما تم الوحى، قال: ياعلى! صليت؟ قال: لا، و قص عليه. فقال: ادع ليرد الله عليك الشمس. فسأل الله، فردت عليه بيضاء نقية».

و فى رواية أبى جعفر الطحاوى!: «أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: اللهم إن عليا كان فى طاعتك، و طاعة رسولك فاردد عليه الشمس، فردت، فقام على عليه السلام و صلى. فلما فرغ من صلاته وقعت الشمس و بدر [ت] الكواكب».

و فى رواية أبى بكر مهرويه: «قالت أسماء: أما والله لقد سمعنا لها عند غروبها صريرا كصرير المنشار فى الخشب». قال (أبوبكر مهرويه) : وذلك بالضهياء [1] فى غزاة خيبر. و روى أنه صلى أيماء. فلما ردت الشمس بأمر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أعاد الصلاة». [2]

و سئل الصاحب بن عباد أن ينشد فى ذلك فأنشأ:

لا تقبل التوبة من تائب إلا بحب ابن أبى طالب

أخى رسول الله بل صهره والصهر لايعدل بالصاحب

١ـ يمكن أن تكون الضهياء أرضا قفراء بلا نبات و لا ماء.

٢ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٥٩.

يا قـوم من مثل علی و قد ردتعليه الشمسمن غائب

و أنشد الحميرى يقول:

فلمـا قضـى وحـى النبـى دعـا لـه

و لم يك صلى العصر والشمس تنزع

فـردت عليـه الشـمس بعد غروبها

فصـار لهـا فـى أول الليـل مـطلـع

[و أما المرة الثانية فهى] بعد وفاته صلى اللـه عليه و آله و سلم. ما روى جويرية بـن مسـهر، و أبـو رافـع، و الحسـين بـن علـى عليـهما السـلام «أن أمـيرالمؤمنين لمـا عـبر الفـرات ببـابل، صلـى بنفسـه فى طائفـة معـه العصـر، ثم لم يفـرغ النـاس مـن عبورهـم حتـى غربـت الشـمس وفـاتت صـلاة العصـر الجمـهور. فتكلمـوا فى ذلـك، فسـأل اللـه تعـالى رد الشـمس عليـه، فردهـا عليـه، فكـانت فى الافـق، فلمـا سـلم القـوم، غـابت، فسـمع لهـا و جيـب شـديد هـال النـاس ذلـك و أكـثروا التـهليل و التسـبيح و التكبـير». و مسـجد رد الشـمس بالصاعدية من أرض بابل شايع ذايع.

و عـن ابـن عبـاس بطـرق كثـيرة أنـه لم تـرد الشـمس إلا لسـليمان وصـى داود؛ و ليوشـع (بـن نـون) وصـى موسـى؛ و لعلـى بـن أبى طـالب وصـى محمـد صلوات اللـه عليهم أجمعين.

١ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٥٩.

٢ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٦٠.

٣ـ « منـاقب ابـن شهرآشـوب » ج ١ ، ص ٤٦٠ . و تحـدث العلامـة الاميـنى فى الجـزء الثـالث مـن «الغديـر» مـن ص ١٢٦ إلى ١٤٢ عـن موضـوع رد الشـمس و جـواب المنكريـن، و بيـان رواتـه مـن أعـلام العلمـاء و قـال: الكبـار مـن الاعـلام الذيـن رووا هـذا الحديـث ثلاثـة و أربعـون . ومن أراد التفصيل، فليراجع.

يقول السيد الحميرى:

ردت عليه الشمس لما فاته وقت الصلاة و قد دنت للمغرب
حتى تبلج نورها فى أفقها للعصر ثم هوت هوى الكوكب
و عليه قد ردت ببابل مرة اخرى وما رددت لخلق معرب
إلا ليوشع أو له من بعده و لردها تأويل أمر معجب[1]

و له أيضا:

على عليه ردت الشمس مرة بطيبه يوم الوحى بعد مغيب
و ردت له أخرى ببابل بعد ما أفت[2] و تدلت عينها لغروب[3]

و أنشد ابن حماد يقول:

و ردت لك الشمس فى بابل فساميت يوشع لما سمى
و يعقوب ما كان أسباطه كنجليك سبطى نبى الهدى[4]

و له أيضا:

قرن الإ له ولاءه بولائه لما تزكى و هو حان يركع
سماه رب العرش نفس محمد يوم البهال و ذاك ما لا يدفع
فالشمس قد ردت عليه بخيبر و قد ابتدت زهر الكواكب تطلع

و قال أيضا فى ص ٣٩٣ من ج ٣: حديث رد الشمس لعلى عليه السلام ببابل أخرجه نصر بن مزاحم فى كتاب «صفين» بإسناده عن عبد خير. و ينقل عبد خير كيفية صلاته مع على. و تختلف روايته ـ طبعا ـ عن رواية ابن شهرآشوب.

١ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٦٠ .

٢ـ و فى هامش المناقب : أفا إفائة الظل : رجع، و نقله العلامة الاميني فى « الغدير» ج ٢، ص ٢٧٧ بلفظ «عفت» بمعنى زالت و محيت . (م)

٣ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٦١، الطبعة الحجرية.

۴- نفس المصدر

و ببابل ردت عليه و لم يكن والله خيرا من على يوشع

و قال العونى:

و لا تنس يوم الشمس إذ رجعت له

بمنتشر وارى من النور ممتع

فذلك بالضهيا و قد رجعت له

ببابل أيضا رجعة المتطوع[3]

و قال السروجى:

و الشمس لم تعدل بيوم بابل

و لا تعدت أمره حين أمر

جاءت صلاة العصر والحرب على

ساق فأومى نحوها رد النظر

فلم تزل واقفة حتى قضى

صلاته ثم هوت نحو المقر

يقول ابن شهرآشوب: و حدثنى ابن شيرويه الديلمى، و عبدوس الهمدانى، و الخطيب الخوارزمى من كتبهم، و أجازنى جدى الكيا شهرآشوب، و محمد الفتال من كتب أصحابنا نحو: ابن قولويه، والكشى والعبدكى عن سلمان، و أبى ذر، و ابن عباس، و على بن أبى طالب عليه‌السلام أنه «لما فتح مكة و انتهينا إلى هوازن، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : قم يا على ! و انظر كرامتك على الله ، كلم الشمس إذا طلعت. فقام

١ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٦١، الطبعة الحجرية.

٢ـ اسم موضع؛ و فى رواية المناقب ج ٢ طبع المطبعة العلمية بقم «بالصهبا».

٣ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٦١، الطبعة الحجرية.

٤ـ نفس المصدر

على فقال [للشمس عند طلوعها] : **السلام عليك أيها العبد الدائب فى طاعة الله ربه.**

فأجابته الشمس و هى تقول: **و عليك السلام يا أخا رسول الله ووصيه وحجة الله على خلقه.**

فانكب على ساجدا شكرا لله، (و هو يبكى) فأخذ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقيمه و يمسح وجهه و قال: قم يا حبيبى، فقد أبكيت أهل السماء من بكائك وباهى الله بك حملة عرشه. ثم قال: **الحمد لله الذى فضلنى على سائر الانبياء و أيدنى بوصيى سيد الاوصياء، ثم قرأ: «و له أسلم من فى السمو ' ت والارض طوعا و كرها و إليه يرجعون».** [1]

قال العونى:

إمامى كليم الشمس راجع نورها

فهل بكليم الشمس فى القوم من مثل [2]

و قال ابن حماد:

١- «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٦٤. و قال العلامة الامينى فى «الغدير» ج ٣ ص ٣٩٢ : روى الحموينى فى «فرائد السمطين»، و الخوارزمى فى «المناقب» ص ٦٨، والقندوزى فى «ينابيع المودة» ص ١٤٠ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باب ٣٨ أنه قال لعلى : يا أبا الحسن، كلم الشمس فإنها تكلمك. قال على عليه السلام: السلام عليك أيها العبد المطيع لله و لرسوله. فقالت الشمس: السلام عليك يا أميرالمؤمنين و إمام المتقين و قائد الغر المحجلين، يا على أنت و شيعتك فى الجنة. يا على، أول من تنشق عنه الارض محمد ثم أنت، و أول من يحيى محمد ثم أنت، و أول من يكسى محمد ثم أنت. فسجد على عليه السلام لله تعالى و عيناه تذرفان بالدموع، فانكب عليه النبى فقال: يا أخى و حبيبى ارفع رأسك فقد باهى الله بك أهل سبع سماوات. (الآية ٨٣، من السورة ٣: آل عمران)

و رجعت الشمس حين تكلمت و أبدت من أسمآءالآمامحامها * [1]

و قال ابن هانى المغربى:

والشمس حاسرة القناع وودها لو تستطيع الارض و التقبيلا

و على أميرالمؤمنين غمامة نشأت تظلل تاجه تظليلا

و مديرها من حيث شاء وطالما زاحت تحت ظلاله جبريلا[2]

و روى الشيخ الطوسى فى «الامالى» عن أبى الفحام بالإسناد عن أبى مريم، عن سلمان قال: كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل على بن أبىطالب عليه السلام فناوله النبى حصاة، فلما استقرت الحصاة فى كفه، نطقت؛ **لا إله إلا الله. محمدا رسول الله. رضيت بالله ربا و بمحمد نبيا و بعلى وليا. فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: من أصبح راضيا بولاية على، فقد أمن خوف الله و عقابه.** [3]

قال العونى:

من صاحب المنديل والسطل و من

فى كفه سبح لله الحصى [4]

و قال ابن حماد:

من سبحت فى كفه بيض الحصى

ليكون ذاك لفضله تبيانا

---

*خامة الشيء باعجام الخاء من الزرع أول ما ينبت على ساق و اللفظ بالاءعجام أولى فى الشعر منها بالاءهمال كما فى النسخ المشهورة لقلة مناسبة ما ذكر من معانيها فيكون اللفظ كناية عن ابتداء ظهور أسمائه الكمالية و شؤونه الجمالية صلوات الله عليه، (حاشية المناقب).

١و٢ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٦٤ ،

٣-إلى ٥ ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٦٦.

و قال عبدالواحد بن زيد: «كنت فى الطواف إذ رأيت جارية تقول لاختها: **لا و حق المنتجب بالوصية الحاكم بالسوية العادل فى القضية العالى البينة زوج فاطمة المرضية ما كان كذا.** فقلت: أتعرفين عليا؟ قالت: و كيف لا أعرف من قتل أبى بين يديه فى يوم صفين؟ و إنه دخل على أمى ذات يوم فقال لها: كيف أنت يا أم الايتام؟ فقالت: بخير. ثم أخرجتنى أنا و أختى هذه إليه، و كان قد ركبنى من الجدرى ما ذهب له بصرى. فلما رآنى تأوه ثم قال:

ما إن تأوهت من شى ء رزيت به

كما تأوهت للاطفال فى الصغر

قد مات والدهم من كان يكفلهم

فى النائبات و فى الاسفار والحضر

ثم أمر يده المباركة على وجهى فانفتحت عينى لوقتى و إنى لانظر إلى الجمل الشارد فى الليلة الظلماء». [1]

و روى الحاتمى بإسناده عن ابن عباس: «أنه دخل أسود إلى أميرالمؤمنين عليه السلام و أقر أنه سرق. فسأله ثلاث مرات، قال: ياأميرالمؤمنين طهرنى فإنى سرقت، فأمر عليه السلام بقطع يده، فاستقبله ابن الكواء، فقال: من قطع يدك؟ قال: **ليث الحجاز، و كبش العراق، ومصادم الابطال، المنتقم من الجهال، كريم الاصل، شريف الفصل، محل الحرمين، وارث المشعرين، أبو السبطين، أول السابقين، و آخر الوصيين من آل يـ'س، المؤيد بجبرائيل، المنصور بميكائيل، الحبل المتين، المحفوظ بجند السماء أجمعين، ذاك والله أمير المؤمنين، على**

١ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٧٢، الطبعة الحجرية

رغم الراغمين.

قال ابن الكواء: قطع يدك وتثنى عليه؟ قال: لو قطعنى إربا إربا ما ازددت له إلا حبا. فدخل (ابن الكواء) على أميرالمؤمنين و أخبره بقصة الاسود. فقال (الإمام): يا ابن الكواء، إن محبينا لو قطعناهم إربا إربا ما أزدادوا لنا إلا حبا. و إن فى أعدائنا من لو ألعقناهم السمن و العسل ما ازدادوا لنا إلا بغضا. و قال للحسن عليه السلام عليك بعمك الاسود، فأحضر الحسن الاسود إلى أميرالمؤمنين، و أخذ يده و نصبها فى موضعها و تغطى بردائه و تكلم بكلمات يخفيها، فاستوت يده، و صار يقاتل بين يدى أميرالمؤمنين إلى أن استشهد بالنهروان. و يقال كان اسم هذا الاسود: **أفلح**.[1]

قال ابن مكى:

أما رد كف العبد بعد انقطاعها

أما رد عينا بعد ما انطمست طمسا[2]

و أبينت إحدى يدى هشام بن عدى الهمدانى فى حرب صفين فأخذعلى يده، و قرأ شيئا و ألصقها. فقال هشام: يا أميرالمؤمنين، ما قرأت؟ قال: فاتحة الكتاب. [ف] كأنه استقلها فانفصلت يده بنصفين فتركهعلى عليه السلام و مضى.[3]

١ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٧٣ .

٢ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٧٣ .

٣ـ نفس المصدر السابق. و فيما يخص توضيح معنى البيت الثانى، فقد جاء فى «المناقب» عن كتاب «معرفة الفضائل» و «علل الشرائع» للشيخ الصدوق، عن سدير، عن الإمام الصادق عليه السلام «و قد سئل: لم أخر أميرالمؤمنين عليه السلام العصر فى بابل؟ قال: إنه لما صلى الظهر، التفت إلى جمجمة ملقاة، فكلمها أميرالمؤمنين، عليه السلام فقال: يا أيتها الجمجمة ، من أين أنت ؟ فقالت : أنا فلان بن فلان ، ملك بلد آل فلان . قال لها

قال ابن مكى:

رددت الكف جهرا بعد قطع كرد العين من بعد الذهاب

و جمجمة الجلندى و هو عظم رميم جاوبتك عن الخطاب

و جاء فى كتاب ابن بابويه، و أبى القاسم البستى، و القاضى أبى عمرو بن أحمد، عن جابر (بن عبدالله الانصارى)، و أنس (بن مالك): «أن جماعة تنقصوا عليا عند عمر. فقال سلمان: أو ما تذكر يا عمر اليوم الذى كنت فيه، و أبوبكر، وأنا، وأبوذر عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و بسط لنا شملة و أجلس كل واحد منا على طرف، و أخذ بيد على و أجلسه فى وسطها، ثم قال: قم يا أبابكر وسلم على على بالإمامة و خلافة المسلمين، و هكذا كل واحد منا، ثم قال: قم يا على و سلم على هذا النور، يعنى: الشمس، فقال أميرالمؤمنين: أيتها الآية المشرقة، السلام عليك . فأجابت القرصة و ارتعدت و قالت: و عليك السلام. فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: **اللهم إنك أعطيت لاخى سليمان صفيك ملكا و ريحا «غدوها شهر و رواحها شهر»**. [1] **اللهم أرسل تلك لتحملهم إلى أصحاب الكهف** فقال أميرالمؤمنين: يا ريح احملينا، فإذا نحن فى الهواء، فسرنا ما شاءالله، ثم قال: يا ريح ضعينا، فوضعتنا عند الكهف . فقام كل واحد منا و سلم، فلم يردوا الجواب . فقام على، فقال : **السلام**

أميرالمؤمنين: فقصى على الخبر، و ما كنت و ما كان فى عصرك. فأقبلت الجمجمة تقص خبرها، و ما كان فى عصرها من خير و من شر، فاشتغل بها حتى غابت الشمس، فكلمها بثلاثة أحرف من الاءنجيل لئلا يفقه العرب كلامه القصة. [و هذه الجمجمة هى جمجمة جلندى ملك الحبشة و اسمه أبرهة، و كان قد جاء على فيل لهدم الكعبة.] ابن شهرآشوب ، ص ٤٧٤ .

١ـ الآية ١٢، من السورة ٣٤: سبأ

عليكم أهل الكهف. فسمعنا: **و عليك السلام يا وصى محمد** (ثم قالوا): إنا قوم محبوسون هاهنا من زمن دقيانوس. فقال لهم: لم لا تردوا سلام القوم؟ فقالوا: نحن فتية لا نرد إلا على نبى أو وصى نبى، و أنت وصى خاتم النبيين و خليفة رسول رب العالمين. ثم قال (لنا أميرالمؤمنين) : خذوا مجالسكم، فأخذنا مجالسنا (فوق الشملة). ثم قال: يا ريح احملينا ، فإذا نحن فى الهواء، فسرنا ماشاءالله، ثم قال: يا ريح ضعينا (فوضعتنا) . ثم ركض برجله الارض، فنبعت عين ماء، فتوضأ و توضأنا، ثم قال : ستدركون الصلاة مع النبى أو بعضها. ثم قال: يا ريح احملينا، ثم قال : ضعينا، فوضعتنا، فإذا نحن فى مسجد رسول الله و قد صلى من الغداة ركعة. فقال أنس فاستشهدنى على و هو على منبر الكوفة، فداهنت، فقال: إن كنت كتمتها مداهنة بعد وصية رسول الله إياك، فرماك الله ببياض فى جسمك، و لظى فى جوفك، و عمى فى عينيك.] قال أنس [: فما برحت حتى برصت و عميت. فكان أنس لايطيق الصيام فى شهر رمضان و لا فى غيره ، و البساط أهدوه أهل هربوق، و الكهف فى بلاد الروم فى موضع يقال له: أركدى، و كان فى ملك باهتدت و هو اليوم اسم لضيعة. و فى خبر أن الكساء أتى به خطى بن الاشرف أخو كعب. فلما رأى معجزات أميرالمؤمنين عليه السلام أسلم، و سماه النبى صلى الله عليه وآله وسلم: محمدا» .[1]

قال خطيب منيح:

و من حملته ريح الله حتى أتى أهل الرقيم الرافدينا
و من نادى بأهل الكهف حتى أقروا بالولاية مفرحينا

و قال العونى:

---

١ إلى ٢ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٧٥.

علـى كليـم القوم فى الكهف فاعلما

و قـد صـم مـن شـيخـاكمـا الصديان[١]

و قال أيضا:

و مـــن حملتـه الريـح فـوق بساط ه

فأسـمع أهـل الكهـف حـ ـين تـكلمـا[٢]

و قال الحميرى:

لـــه البســـــاط إذ ســـرى و فتيـــة الكـهـــف دعـــا

فمـــا أجـابـــوا فـــى النـدا ســـوى الـوصى المرتضى[٣]

و قال أيضا:

سـل فتيـة الكـهـف الذين أتاهم فـأيقـظ فـى رد الســـلام منـامها[٤]

و قال البرقى:

حتـى إذا يئسوا جـواب سـلامهم

قـام الـــوصـــى إليهـم ابـــداءا

قـال السلام عليـكـم مـن فتيـــة

عبـدوا الإلـــه و تابعـــوا الســـناءا

قـالوا عليـ ـك مـــن الإلـه تحيـة

تهـدى إليـــك و رحمـة و ضيـاءا

إنـا منعنـــا أن نكلـ ـم هاتفـــا

إلا نبيـ ـا كـــان أو مـــوصـــاءا[٥]

و قال ابن الاطيس:

---

١ إلى ٥ ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٧٥. و فى الهامش كناية عن انـهما ماتا و هلكا.

و طـارق البـاب على كهفهم في الخبر المشهور عن جابر*[١]

و قال ابن العضد:

من كلم الفتية فى الكهف و لم يكلمـوا حقـا سـواه إذ دعا [٢]

و قال أبو الفتح:

و فـى الكهـف منقبـة حسنها على الرغـم من معطس الادلم

غـداة يسـلم فـى صـحبهم سـلام الصـحاة عـلى النـوم

فنـادوه أجمـع عليـك السلام فـذاك عظيـم لمسـتعظـم[٣]

و عن سلمان شـلقان [٤] قـال: سمعـت أبـا عبـد اللـه عليـه السـلام يقـول: «إن أمـيرالمؤمنين عليـه السـلام كـانت لـه خؤولـة فى بـنى مخـزوم. و إن شـابا منـهم أتـاه فقـال: يـا خـال، إن أخـى و تـربى مـات و قـد حزنـت عليـه حزنـا شـديدا. فقـال لـه: أتشـتهى أن تـراه؟ قـال: نعـم. قـال: فـأرنى قـبره، فخـرج و تقنـع بـرداء رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وآلـه و سـلم المسـتجاب. فلمـا انتـهى إلى القـبر تكلـم بشـفتاه ثم، ركضـه برجلـه، فخـرج أخـى مـن قـبره، و هـو يقـول: و ميكـا بلسـان الفـرس. فقـال لـه علـى: ألم تمـت و أنـت رجـل مـن العـرب؟ فقـال: نعـم و لكنـا متنـا علـى سـنة فـلان و فـلان فانقلبت ألسنتنا». [٥]

و أنشد السيد الحميرى يقول:

---

*ـ اى جابر بن عبد اللـه الانصارى.

١ إلى ٣ ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٧٦.

٤ ـ شـلقان : قريـة فى مصـر، و ربمـا ذكـرت بعـد سـلمان للتفريـق بـين سـلمان المذكـور و سلمان الفارسى، لان سلمان شلقان من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، و قد روى عنه.

٥ ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٧٦. و «ديوان الحميرى» ص ٢٤٢.

فقـــال لـه فرمان: عيسى ابن مريم[١]

بزعمـك يحـيـى كـل ميـت و مـقبـر

فمـــاذا الـــذى أعطيـت؟ قال محمد

لمثـــل الـــذى أعطـاه إن شئت فانظر

إلى مثل ما أعطى فقالو ًا لكفرهم

ألا أرنـا مـــا قـلـت غـيـر مـعـذر

فقـــال رســـول اللـه قـم لـوصيـه

فقـام و قـدمـــا كـــان غيـر مـقصر

و رداه بـالـمنـجـاب واللـــه خصـه

و قـــال اتبعـــوه بـالـدعـاء المبـــرر

فلمـا أتى ظهـــر البقيـــع دعـــا بـه

فرجـت قـبـور بـالـورى لـم تغيـــر

فقـالو ًا لـه: يـا وارث العـلـم اعفنا

و مـن علينـا بالرضـا منـك واغفـــر[٢]

ثم قـال ابـن شهرآشـــوب: إبـــراء المرضـــى و أحيـــاء المـــوتى علـــى أيـــدى الانبيـاء و الاوصيـاء عليـهم السـلام مـن فعـل اللـــه تعـــالى. قـــال عيســـى عليـــه السـلام: **و أبـرى الاكمـه و الابـرص و أحيـى الموتـى بـإذن اللـه.** [٣]و قولـه تعـالى: **و إذ تخـلق مـن الطـين كهيئـة الطيـر بـإذنـى . و إذ تـخـرج المـــوتـى بإذنـى .** [٤]

١ـ جاء فى «ديوان الحميرى» ص ٢٤٢: فقال له: قد كان عيسى ابن مريم.

٢ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ٢، ص ٣٤١.

٣ـ الآية ٤٩، من السورة ٣ : آل عمران.

٤ـ الآية ١١٠، من السورة ٥: المائدة.

و قال إبراهيم: رب أرنى كيف تحيى الموتى * قال أولم تؤمن قال بلى ولـ'كن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير ـ الآيات. [١] و قال فى عزير و إرميا: أو كالذى مر على قرية ـ إلى قوله: قدير. [٢] و كذلك فى قصة بنى إسرائيل: و هم ألوف حذر الموت ثم أحياهم. [٣]

روى محمد بن ثابت بإسناده عن ابن مسعود و الفلكى المفسر بإسناده عن محمد بن الحنفية قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عليا فى غزوة بدر أن يأتيه بالماء حين سكت أصحابه عن إيراده فلما أتى القليب و ملا القربة الماء فأخرجها، جاءت ريح فأهرقته، ثم عاد إلى القليب و ملأ القربة فأخرجها، فجاءت ريح فأهرقته. و هكذا فى الثالثة. فلما كانت الرابعة، ملاها فأتى بها النبى، فأخبره بخبره. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما الريح الاولى فجبرئيل فى ألف من الملائكة سلموا عليك . و أما الريح الثانية ميكائيل فى ألف من الملائكة سلموا عليك . و الريح الثالثة إسرافيل فى ألف من الملائكة سلموا عليك . و فى رواية : ما أتوك إلا ليحفظوك » .

و قد رواه عبدالرحمن بن صالح بإسناده عن الليث، و كان يقول : « كان لعلى [بن أبى طالب] عليه السلام فى ليلة واحدة ثلاثة آلاف منقبة وثلاث مناقب. ثم يروى هذا الخبر». [٤]

يقول السيد الحميرى:

---

١ ـ الآية ٢٦٠، من السورة ٢: البقرة .

٢ ـ الآية ٢٥٩، من السورة ٢: البقرة .

٣ ـ الآية ٢٤٣، من السورة ٢: البقرة .

٤ ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٠٦ .

أقســـم باللـه و آلائــه والمرء عما قال مسؤول
إن عـلى بـن أبي طـالـب على التقى والبر مجبول
كان إذا الحرب مرتها القنا وأحجمت عنهـا البهاليل
يمشى إلى القرن و فى كفه أبيض‌ماضى‌الحدمصقول
مشـى العفرنا بين أشـباله أبـرزه للقنـص الغيـل
ذاك الـذى سـلم فى ليـلة عليـه ميـكال و جبـريل
ميكال فى‌ألف و جبريل فى ألـف و يتـلوهم سرافيل
ليـلة بـدر مـددا أنـزلـوا كـأنـهـم طيـر أبابيل[1]

و قال السيد الحميرى أيضا:

و ســلم جبـريل و ميـكال ليـلة
عـليـه وحيـاه سـرافيل معـربا
أحاطوابه‌فى‌ردءه[روعةخل]جاء يستقى
و كـان عـلى ألـف بهـا قـد تخزبا
ثـلاثـة آلاف مـلائـك سـلمـوا
عليـه فأدناهـم و حيـا و رحبا[2]

و روى محـب الـدين الطـبرى [3] عن « مناقب أحمـد » ، و القـنـدوزى الشافعى [4] عن « مسند » أحمـد بـن حنبـل أن أميرالمـؤمنـين عـلى عليه السـلام قال:

---

١ ـ «ديوان الحميرى» ص ٣٢٢ و ٣٢٣

٢ ـ «مناقب» ج ١ ص ٤٠٧. و «ديوان الحميرى» ص ٧٧.

٣ ـ «ذخائر العقبى» ص ٦٨ .

٤ ـ «ينابيع المودة» باب ٤٠، ص ١٢٢.

لما كانت ليلة فى بدر (و فى عبارة الطبرى: **ليلة يوم بدر**) **قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم من يستسقى لنا من الماء؟ فما أجاب الناس** (و فى لفظ الطبرى: **فأحجم الناس**) **فقال على : أنا يا رسول الله، فاحتضن قربة ثم أتى بئرا بعيدة القعر مظلمة فانحدر فيها ، فأوحى الله عزوجل إلى جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل تأهبوا لنصر محمد و حزبه، فهبطوا من السماء** (و فى لفظ الطبرى: **لهم لغط يذعر من سمعه**) **فلما حاذوا البئر سلموا على على من عند ربهم** (و فى لفظ الطبرى: **سلموا عليه من عند آخرهم إكراما و تبجيلا**).

و نقل عن «جمع الفوائد»: **قال على عليه السلام: كنت على قليب بدر أميح و أمنح منه ماء جاءت ريح شديدة، ثم جاءت ريح شديدة، ثم جاءت ريح شديدة. فكانت الاولى ميكائيل، والثانية إسرافيل، و الثالثة جبرائيل مع كل واحد منهم ألف من الملائكة فسلموا على.** لاحمد والموصلى.[١]

و قال الشاعر فى هذا:

أعنى الذى سلم عليه جبرائيل

فى ليلة بدر و ميكائيل و إسرافيل[٢]

و عن كتاب «المناقب» لابن شهرآشوب بسنده عن الاعمش، عن سالم بن أبى الجهد، عن أبى ذر الغفارى **أن عليا قال لاصحاب الشورى: هل فيكم من سلم عليه فى ساعة واحدة ثلاثة آلاف من الملائكة و فيهم جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل ليلة فى قليب بدر مثلى لما جئت بالماء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم؟**

١ـ «ينابيع المودة» ص ١٢٢، باب ٤٠ .

قالوا: لا. نقله أيضا ابن مسعود.[١]

و فى كتاب « الإصابة» عن « فايد» مولى عبدالله بن سلام قال: نزل النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم الجحفة فى غزوة الحديبية فلم يجد بها ماء، فبعث سعد بن أبى وقاص، فرجع بلا ماء، و اعتذر. و بعث عليا فلم يرجع حتى ملا القربة من الماء.[٢] و ظهرت لاميرالمؤمنين أيضا معجزة شق الحجر كما شق لموسى. ففى طريق صفين غلب العطش على جيش أميرالمؤمنين، فأمر بحفر بئر، فحفروا حتى وصلوا إلى حجر عظيم عجزوا عن شقه و عن اقتلاعه، فجاء الإمام فضربه ضربة واحدة حتى شقه و هو الذى لاتشقه ألف ضربة، فنبع الماء من تحت الحجر عذبا باردا، و تدفق حتى بلع أعلى البئر. فشربوا و ارتووا جميعهم، و هم مندهشون من هذه المعجزة و ما شاهدوه من هذا المنظر العجيب .

و ذكر الخطيب البغدادى هذه الرواية فى «تاريخ بغداد» ج ١٢ ص ٣٠٥ بسلسلة سنده عن أبى سعيد المعروف بعقيصا. قال : أقبلت من الأنبار مع على عليه السلام نريد الكوفة، [فغلب العطش على الناس] فبينا نحن نسير على شاطى الفرات إذ لجج فى الصحراء فتبعه ناس من أصحابه و أخذ ناس على شاطى الماء قال فكنت ممن أخذ مع على عليه السلام حتى توسط الصحراء، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، إنا نخاف العطش، فقال: إن الله سيسقيكم. قال: و راهب قريب منا، قال: فجاء على إلى مكان ، فقال : احفروا هاهنا، قال: فحفرنا. قال: و كنت فيمن حفر، حتى نزلنا ـ يعنى عرض لنا حجر ـ قال : فقال على: ارفعوا هذا الحجر، قال: فأعانونا عليه

١ـ «ينابيع المودة» ص ١٢٢، باب ٤٠ .

٢ـ «ينابيع المودة» ص ١٢٣، باب ٤٠

حتى رفعناه، فإذا عين باردة طيبة، قال: فشربنا، ثم سرنا ليلا أو نحو ذلك قال: فعطشنا. قال: فقال بعض القوم: لو رجعنا فشربنا، قال: فرجع ناس وكنت فيمن رجع، فالتمسناها، فلم نقدر عليها، فأتينا الراهب، فقلنا: أين العين التى هاهنا؟ قال: أية عين؟ قال: التى شربنا منها و استقينا والتمسناها، فلم نقدر عليها. فقال الراهب: لا يستخرجها إلا نبى أو وصى نبى.

و ذكر العلامة الامينى هذه القضية فى كتاب «الغدير» ج ٣ ص ٣٩٣ عن كتاب «صفين» لنصر بن مزاحم مع اختلاف يسير. و قال فى آخرها : أخرجها الخطيب فى «تاريخ بغداد».

يقول السيد الحميرى فى هذا الموضوع:

و من حملته الريح فوق سحابة
بقدرة رب قدر من شاء يرفع
و مر بأصحاب الرقيم مسلما
فردوا من الكهف السلام فأسمعوا
و من فجر الصخر الاصم لجنده
ففاض معينا منه للقوم ينبع
و من لصلاة العصر عند غروبها
ترد له الشمس بيضاء تلمح
فصلى صلآة العصر ثم انثنت له
تسير كسير البرق والبرق مسرع
فيا لائمى فى حبهم كف إننى
بحب أميرالمؤمنين لمولع

و لادنـــت إلا حـــب آل مـحـمـد
و لاشـــىء منـه فـى القيامة أنفع
إذا العـــدل والتوحيـــد كانـــا و حبه
بقـــلبى فإنـى العـابـــد المتطـــوع
أنا الســـيد القـــوال فيهـــم مدائحـــا
تمـــر بقـــلب الناصـبين فتصـدع[1]

إن مـا ذكرنـاه كـان موجـزا لمعجـــزات أمـــيرالمؤمنين علـــى بـــن أبى طـــالب عليـه السـلام و قـد جئنـا بـه هنـا كنمـوذج علـى مـا نقـول، و لـو قـــدر أن نذكـــر معجـزات الأنبيـاء واحـدة بعـد الاخـرى، و نقارنهـا مـع معجـزات علـى كلـها فإنـــنا نحتـاج إلى كتـاب مسـتقل ليسـتوعبها، بيـد أنـــه قـد تبيـن لنـــا إجمـــالا أن الإمـــام عليـــه الســـلام كـــان قـــادرا علـــى المعجـــزات جميعـــها بـــإذن اللـــــه تعـــالى . وكان كرسول اللـــه لـه مقـام الكمـال و الشـمول، و لم يكـن بمقـدور أى نـبى أن يبلـغ ذلك المقام المنيع و الذروة الرفيعة.

ولكـن ينبغـى أن نعلـم بـأن هـذه الصفـــات الإلهيـــة و الكمـــالات النفســـانية، و القـدرة الربانيـة لم تمنـح للإمـام مجانـا، بـل منحـت لـه مكافـأة لمـا مـــر بـــه مـــن مخـاطر جسـمية و محـن عظيمـة، و مـا لاقـاه مـــن أذى لم يـــؤذ بـــه أى نـــبى مـــن الانبيـاء. إن كـل مـا عانـاه الانبيـاء و مـا قاسـوه مـن محـن كإرهـــاق الامـــة لهـــم، و الشـــماتة، و الاســـتهزاء، و الطـــرد مـــن البـــلاد، و القتـــل، و الإبعـــاد، و ارتـــداد النـاس عـن الديـن، و ابتلائـهم بالجـهلاء، و غيرهـــا مـــن ضـــروب المعانـــاة، كلـــها قد كابدها و قاسـاها رسـول اللـــه صلـى اللـــه عليـه وآلـه وسـلم و لذلـك قـال: مـا أوذى نبـى مثـل مـا أوذيـت . و ورث ذلـك كلـه سـيد المتقـين علـى بـن أبى طالب

١ـ «ديوان السيد الحميرى» ص ٢٧٨.

عليه السلام فلم تتركه المحن يوما منذ طفولته حتى انفلاق هامته المقدسة و استشهاده فى محراب العبادة.

لقد عانى ذلك الإمام العظيم أشد المعاناة، و تجرع الغصص التى لاتطاق سواء فى مكة المكرمة أبان البعثة النبوية، أو فى المدينة بعد الهجرة أو بعد وفاة رسول الله حيث الفترة المظلمة السوداء التى دامت خمس وعشرين سنة، أو أبان حكومته الظاهرية. فلم يسترح ساعة واحدة. و إن كان إسماعيل الذبيح قد مر ببلاء القتل، و لم يتحقق ذلك عمليا، فإن عليا بات على فراش النبى ليلة الهجرة مضحيا بنفسه بعد توطينها على مواجهة صوارم قريش البتارة. و كانت كل لحظة من لحظات تلك الليلة لحظة قتل واستشهاد. و إن كان إبراهيم الخليل قد مر بأربعة و عشرين بلاء أشدها قتل ولده العزيز إسماعيل، فإن رسول الله كان يعلم علم اليقين بما سيجرى على ولد فاطمة من قتل و تعذيب، و كان يعلم بقتل الحسن، والحسين، عليهما السلام و واقعة الطف، و طالما كان يتحدث عن تلك القضايا المروعة ويبكى، و لكنه عهد الله و رسوله له، و قد قبل به و أقره إحياء للدين وكذلك المحن الاخرى التى كابدها. و فى ضوء القول المعروف: البلاء بقدر الولاء فإن مصيبة على فى الدنيا كانت أعظم من مصائب جميع الانبياء، و صبره كان أكثر من صبرهم، و جهاده أكبر من جهادهم. صلى الله عليك يا أبا الحسن.

روى أبو نعيم الاصفهانى فى «حلية الاولياء» [1] بإسناده عن أبى برزة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: إن الله عهد إلى عهدا فى على، فقلت : يا رب بينه لى، فقال: اسمع، فقلت : سمعت . فقال : إن

١ـ «حلية الاولياء» ج ١، ص ٦٦ و ٦٧ .

عليا رايـة الـهدى و إمـام أوليـائى و نـور مـن أطـاعنى، و هـو الكلمـة التـى ألزمتـها المتقـين، مـن أحبـه أحبنـى، و مـن أبغضـه أبغضنـى، فبشـره بذلـك. فجـاء علـى فبشرته فقال: يا رسـول اللـه أنـا عبـد اللـه و فـى قبضتـه، فـإن يعذبنـى فبذنبـى . و إن يتـم لـى الـذى بشـرتنى بـه فالله أولـى بـى. قـال : قلـت: اللـهم اجـل قلبـه واجعـل ربيعـه الإيمـان. فقـال اللـه: قـد فعلـت بـه ذلـك. ثـم إنـه رفـع إلـى أنـه سـيخصه مـن البـلاء بشـىء لـم يخـص بـه أحـد مـن أصحـابى، فقلـت: يـا رب أخى و صاحبى! فقال: إن هـذا شىء قد سبق أنـه مبتلى و مبتلى به.

نقـل ابـن شهرآشـوب [1] القـصة المتعلقـة بهجـرة رسـول اللـه مـن مكـة إلى المدينـة، و كذلـك نقلـها المظفـر فى «دلائـل الصـدق». [2] و نحـن هنـا نذكرهـا بالألفـاظ الـتى رواهـا ابـن شهرآشـوب . قـال: قـال رسـول اللـه لأمـيرالمؤمنين علـى : إن اللـه سـبحانه وتعـالى أوصـى إلـى أن أهجـر دار قومـى و أن أنطلـق إلى غـار ثـور، فـارقد علـى فراشـى واشـتمل بـبردى الحضرمـى ، و اعلـم أن اللـه يمتحـن أوليـاءه علـى قـدر إيمانـهم و منازلـهم مـن دينـه فأشـد النـاس بـلاء الانبيـاء ثـم الامثـل فـالامثل. و قـد امتحنـك يـا ابـن أم وامتحنـنى بمثـل مـا امتحـن به خليلـه إبراهيـم و الذبيـح إسـماعيل، فصـبرا صـبرا فـإن رحمـة اللـه قريـب مـن المحسـنين. ثـم ضمـه إلى صـدره و أوصـاه بقضـاء ديونـه و إنجـاز عداتـه ورد الودائع إلى أهلها ثم خرج ـ الحديث .

و مـن خـلال المـواضيع الـتى طـرحنـاها آنفـا تم تحليـل ثلاثـة أشـياء هـى :

أولا: عظمـة رسـول اللـه و سـعة علمـه بكتـاب اللـه، القـرآن الكـريم .

ثـانيـا : عظمتـه و سـعتـه الـروحيـة فيمـا يتعلـق بكتـاب التـكويـن و ظهـور

١ـ «المناقب» ج ١، ص ١٢٧.

٢ـ «دلائل الصدق» ج ٢، ص ٨٠

المعجزات و التصرف فى شؤون الكائنات و عناصرها. ثالثا: عظمة البلاءات و المحن.

و قد اتضح أن رسول الله كان أقوى من كافة الانبياء و المرسلين وأشد و أعظم منهم فى هذه المراحل الثلاث. و ورث أميرالمؤمنين عليه‌السلام منه تلك العظمة فى مراحلها الثلاث، و لذلك فإنه كان أعلم من جميع الانبياء و أوصيائهم بكتاب التشريع و التكوين، و كان أقوى منهم فى ذات الله و أنضج، و أكثر ذوبانا، و كان ببقاء الحق أعظم و أوسع. و هنا كشف الشارح المعتزلى لنهج البلاغة، ابن أبى الحديد الغطاء فاعترف بأفضلية على عليه السلام على جميع الملائكة المقربين و الانبياء و المرسلين فأنشد فى بعض أشعاره يقول:

قد قلت للبرق الذى شق الدجى
فكأن زنجيا هناك يجدع[1]
يا برق إن جئت الغرى فقل له
أتراك تعلم من بأرضك مودع
فيك ابن عمران الكليم و بعده
عيسى يقفيه و أحمد يتبع
بل فيك جبريل و ميكال و اسـ
رافيل والملا المقدس أجمع
بل فيك نور الله جل جلاله
لذوى البصائر تستشف و تلمع

١ـ هنا شبه الليل المظلم بغلام زنجى؛ و كأن البرق الذى يشق ظلام الليل يجدع أنف الغلام الزنجى.

فيـــك الإمـــام المرتضى فيك الوصى

المجتبـــى فيـك البطين الانزع * [١]

لما كـــان ابـــن أبى الحديـــد معتزليـــا، و المعتزلـــة يفضلـــون الملائكـــة علـــى الانبيـاء، لذلـك قـــدم موســـى، و عيســـى، و محمـــدا، ثم تـــدرج فذكـــر جـــبرائيل وميكـائيل، و إسـرافيل و جميـــع الملائكـــة المقدســـين. فـــهذه هـــى منزلـــة ســـيدنا علـــى بـــن أبى طـــالب، الـــذى ينـــوب عـــن نفـــس الحبيـــب المصطفـــى محمـــد صلى‌اللـــه عليـه وآلـــه بـــل هـــو عينـــه و ذاتـــه فى عـــالم المعـــنى و الحقيقـــة، أى الولايـة الإلهيـة المطلقـة الكـبرى، و هـو الشـاهد علـــى نـــاموس الكـــون، و علـــى أحوال الانبياء.

و نجـــد الإمـــام فى إحـــدى خطبـــه الـتى يـحـذر الناس فيها من اتباع علماء

١ـ هـــذه الابيـــات مـــن قصيـــدة عينيـــة لـــه، و هـــى إحـــدى القصـــائد الســـبع المعروفـــة ب «العلويـــات الســـبع». و قـــد طبعـــت ضمـــن «المعلقـــات الســـبع». و صفحـــات الكتـــاب غـــير مرقمـــة لكنها فى أول الربع الاخير من الكتاب . و ما اروع الشعر الذى أنشده الملا الرومى .

هـــم آدم و هم شـــيث و هم ايـوب و هم ادريس

هم يوســـف و هم يونـس و هـــم هودعلى بود

هم موسـى و هـم عيسـى و هم خضر و هم الياس

هـــم صـــــالح پيغـــمبر و داود عـلـى بـود

آن كاشـــف قـــرآن كـــه خـــدا در همـــه قرآن

كـــردش صفـــت عصمـــت و بسـتود على بود

و ترجمته:

لقـــد كـــان علـــى خلاصـــة الانبيـــاء، فكـــان آدم ، و شـــيثا، و ايـــوب ، و ادريـــس، و يوســـف ، و يونـــس ، و هـــودا، و موســـى، و عيســـى، و الخضـــر، و اليـــاس، و صالحـــا، و داود. هـــو الـــذى كشـــف عن أسرار القرآن، و أثنى عليه اللـه و وصفه بالعصمة فى كتابه كله.

*ـ أى فيـــك الانســـان الكـــامل المـــنزه و المطـــهر مـــن الشـــرك و الذنـــب، و الطافـــح بمعـــادن الخير و جواهر حقائق العلوم.

السوء الذين يخدعون الناس بظاهرهم، و يرغبهم فى اتباع عترة الرسول الاعظم، يصرح بأنه الامتداد الطبيعى لرسول الله، و يريد أن يفهم الناس بأن النبى لم يمت، و هو (الإمام) موجود بينهم. و بعد أن يشرح الصفات التى يتحلى بها أولياء الله، يقول: و آخر قد تسمى عالما و ليس به فاقتبس جهائل من جهال و أضاليل من ضلال، و نصب للناس شركا من حبائل غرور وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه و عطف الحق على أهوائه، يؤمن من العظائم و يهون كبير الجرائم، يقول: أقف عند الشبهات، و فيها وقع، و أعتزل البدع، و بينها اضطجع، فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان، لايعرف باب الهدى فيتبعه، و لا باب العمى فيصد عنه، فذلك ميت الاحياء، فأين تذهبون و أنى تؤفكون؟ والاعلام قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم بل كيف تعمهون؟ و بينكم عترة نبيكم [1] و هم أزمة الحق و أعلام الدين وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، و ردوهم ورود الهيم العطاش. أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم: «إنه يموت من مات منا و ليس بميت، و يبلى من بلى منا و ليس ببال» فلا تقولوا بما لاتعرفون فإن أكثر الحق فيما تنكرون، وأعذروا من لاحجة لكم عليه، و أنا هو. [2]

و قد ارتبك ابن أبى الحديد فى معنى الفقرتين الاخيرتين من الخطبة، فشط فى شرحهما و ذهب بعيدا عن معناهما و حقيقتهما. إذ يقول: إن (كلام رسول الله) هذا يمكن أن يحمل على وجهين : الاول : أن أمواتنا

١ـ و مراده من عترة النبى نفسه المقدسة، فهو يريد القول إنهم لابد و أن يرجعوا إليه لحل الازمات و المشاكل الدنيوية و الاخروية و لفتح أبواب السعادة و التمتع بالمواهب الاءلهية.

٢ـ الخطبة ٨٥، من «نهج البلاغة» ص ١٥٣ و ١٥٤، طبع عبدة، مصر.

لايموتون بل يرفعهم الله إلى ملكوت سماواته. و على هذا لو قدرنا أن محتفرا احتفر تلك الاجداث الطاهرة عقب دفنها، لم يجد الابدان فى الارض، إلا أن هذا الاحتمال لايتلاءم مع الفقرة الثانية من كلام النبى، إذ يقول: من بلى منا، فلابد فى هذه الجملة من تقدير، و هو: و يبلى كفن من بلى منا.

الثانى: أن فى وجود كل إنسان ذرات أصلية. و أن الله تعالى يأخذ تلك الذرات الاصلية من قبور النبى و الائمة تكريما و تعظيما لهم، فيرفعها إليه بعد أن يخلق لها من الاجزاء الفاضلة عنها نظير ما كان لها فى الدنيا فتصير إنسانا كاملا، و هو نفس ذلك الإنسان الميت من أهل البيت، لذلك فهم لم يموتوا .[1]

بيد أن نظرة عابرة نلقيها على هذا الكلام تفيدنا أن الشارح قد شط فى إدراك معناه، فأميرالمؤمنين لايريد فى هذه الخطبة أن يبين حديثا من أحاديث الرسول الاكرم، بل إنه لما طلب من الناس الرجوع إلى العترة المتمثلة به حينئذ، فقد ذكر ذلك الحديث شاهدا و دليلا على كلامه، فهو يريد أن يقول للناس: إن لم تقبلوا منى، فاسمعوا كلام النبى إذ يقول ما مضمونه: نحن لانموت بل نحن أحياء دائما، أى كأن وجودى (وجود الإمام) هو وجود النبى، و استمرار لحياته. أيها الناس، إن النبى لم يمت وإن كان قد مات، لاننى أنا بنفسى حى بينكم، و حياتى هى حياة النبى . وبكلمة بديلة، فإنه يريد القول بأنه مرآة تامة الظهور لتلك الحقيقة التى كان النبى مرآة تامة الظهور لها من جميع الجهات، و تلك الحقيقة هى الولاية الإلهية المطلقة الكبرى التى ظهرت فى النبى أيام حياته فكان .

١ـ «شرح نهج البلاغة» ج ۶ ص ٣٧٧ و ٣٧٨. و بالطبع فقد نقلنا كلامه هنا موجزا.

ظهرا تاما للاسماء الإلهية، و اليوم قد ظهرت فى . فمعنى كلام الرسول الاكرم هو أن موت أبدانها و بلاها تحت الثرى لايفضى إلى موت و بلى تلك المعارف الإلهية و العلوم الربانية، و التصرف فى عالم الكون وبالتالى تلك الولاية. فهى حية و خالدة دائما لان روحنا حية، و أن تلك الحياة هى روحنا التى تجلت فى وصينا. و هذا فى الحقيقة هو معنى الميراث الذى ورثه أميرالمؤمنين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم. ثم أورثنا الكتـ'ب الذين اصطفينا من عبادنا.

و الشاهد على هذا هو أن الإمام نفسه قد صرح، بعد ذكر هاتين الجملتين، نقلا عن خاتم المرسلين فقال: فلا تقولوا بما لا تعرفون فإن أكثر الحق فيما تنكرون، و أعذروا من لا حجة لكم عليه و أنا هو.

و الآخر هو تصريحه فى وصيته بعدما أصيب فى المسجد فقال بأن جسمه كان مع الناس و ليس روحه، و أن ذلك الجسم سيكون خلاء من الروح ساكنا هامدا، و أن جميع القدرات التى كانت قد ظهرت فيه تخص الذات الإلهية المقدسة، و أن كافة العلوم، و المعجزات، و الكمالات ستعود إلى مرجع الكمال، و هذا هو خير واعظ. يقول عليه السلام و إنما كنت جارا جاوركم بدنى أياما، و ستعقبون منى جثة خلاء، ساكنة بعد حراك، و صامتة بعد نطق، ليعظكم هدوى و خفوت إطراقى، و سكون أطرافى ، فإنه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع. [1]

فما نستخلصه من هذا كله هو أن أميرالمؤمنين عليه السلام وارث جميع الكمالات النبوية، و أن جميع التلالآت و التألقات التى سطعت من عوالم الغيب لتشرق فى وجود خاتم النبيين ، قد أشرقت و تألقت كلها فى

١ـ «نهج البلاغة» خطبة ١٤٧، ص ٢٦٩.

مـرآة نفـس أمـيرالمؤمنين الصافيـة، مـاعدا النبـــوة الـــتى انقطـــت برســـول اللـــه . وهـذه هـى حقيقـة الإرث، كمـا جـاء فى روايـات العامـــة مـــا نصـــه: قـــال علـــى عليه‌السـلام: «ثـم أورثنـا الكتـــاب الذيـن اصطفينـا مـن عبادنـــا» نحـــن أولئـــك. [1] و مـا رواه ابـن مردويـه بسـنده عـن أمـيرالمؤمنين عليـــه الســـلام قولـــه فى تفســـير الآية المباركة: نحن هم . [2]

و روى الحـاكم الحسـكانى عـــن أبى حمـــزة الثمـــالى، عـــن الإمـــام الســـجاد عليـه السـلام قـال أبوحمـزة: إنـى جـــالس عنـــده إذ جـــاءه رجـــلان مـــن أهـــل العراق فقالا: يـــا ابـن رسـول اللـــه جئنـاك (كـى) تخبرنـا عـن آيـات مـن القـرآن ، فقـال: ومـا هـى؟ قـالا: قـول اللـه تعـالى: «ثـم أورثنـا الكتـــاب الذيـن اصطفينـــا» فقـال: يـا أهـل العـراق! و أيـش يقولـون؟ قـالا: يقولـــون إنـــها نزلـــت فـــى أمـــة محمـد صلـى اللـه عليـه وآلـه وسـلم، فقـال علـى بـن الحسـين: أمـة محمـد كلـهم إذا فـى الجنـة؟! قـال: فقلـت مـن بيـــن القـــوم: يـــا ابـــن رســـول اللـــه، فيمـــن نزلـت؟ فقـال: نزلـت واللـه فينـا أهـل البيـت ـ ثـلاث مـرات ـ قلـت: أخبرنـا مـــن فيكـم الظـالم لنفســـه؟ قـــال: الـــذى اســـتوت حســـناته و ســـيئاته ـ و هـــو فـــى الجنـة ـ فقلـت: والمقتصـد؟ قـال: العـــابد للـــه فـــى بيتـــه حتـــى يأتيـــه اليقـــين . فقلـــت: الســـابق بـــالخيرات؟ قـــال: مـــن شـــهر ســـيفه و دعـــا إلى ســـبيل ربـه. [3]

و قـد اسـتدل الإمـام الرضـا عليـه السـلام للمـأمون بمثـل هـذا الكـلام عندمـا ذكـر لـه أن المـراد مـن وارثـى الكتـاب هنـا هـم عـترة النـبى لاغـير. و جـــاء هـــذا ضمـــن روايـة مفصـلة أثبـت فيـــها الإمـــام الرضـا فى مـجلس المأمون اثنتى عشرة

١و٢ـ «غاية المرام» الحديث الاول و الثانى، ص ٣٥١.

٣ـ «شواهد التنزيل» ج ٢، ص ١٠٤.

ميزة للعترة الطاهرة مستلهما ذلك من القرآن الكريم. و قد أخرج الشيخ الصدوق هذه الرواية بالتفصيل فى «عيون أخبار الرضا»، [١] و كذلك أخرج السيد البحرانى فى «غاية المرام» قسما موجزا منها كشاهد لإثبات الميراث، [٢] و أخرج المجلسى ملخصا لها عن «تفسير على بن إبراهيم» عن أبان بن الصلت. [٣]

يقول المجلسى: يقول السيد على بن طاووس فى كتاب «سعد السعود» : وجدت كثيرا من الاخبار قد ذكرت بعضها فى كتاب «البهجة بثمرة المهجة» متضمنة أن قوله جل جلاله «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ـ الآية» أن المراد بهذه الآية جميع ذرية النبى، و أن الظالم لنفسه هو الجاهل بإمام زمانه، و المقتصد هو العارف به، و السابق بالخيرات هو إمام الوقت عليه السلام.

فمن روينا ذلك عنه الشيخ أبوجعفر محمد بن بابويه من كتاب « الفرق » بإسناده إلى الصادق عليه السلام ، و رويناه من كتاب «الواحدة» لابن (أبى) جمهور فيما رواه عن أبى محمد الحسن بن على العسكرى عليهما السلام، و روينا من كتاب «الدلائل» لعبدالله بن جعفر الحميرى عن مولانا الحسن العسكرى و رويناه من كتاب محمد بن على بن رياح بإسناده عن الصادق عليه السلام، و رواه من كتاب محمد بن مسعود بن عياش فى تفسير القرآن، و رويناه من «الجامع الصغير» ليونس بن عبدالرحمن، و رويناه من كتاب عبدالله بن حماد الانصارى، و رويناه كتاب إبراهيم الخزاز

١ـ «عيون أخبار الرضا» ص ١٤٩.
٢ـ «غاية المرام» ص ٣٥٢، الحديث العاشر.
٣ـ «بحار الانوار» ج ٧، ص ٤٥.

و غیرهم رضوان اللـه علیهم لم یحضرنی ذکر أسمائهم و الإشارة إلیهم.[١]

هذه مجموعـة مـن الروایـات الـتی ذکرناهـا آنفـا فی تفسـیر الآیـة الکریمـة الشـریفة، و قـد ذکرنـا تـوا عـددا منـها. و قـد اتضـح مـن هـذا کلـه أن أمـیرالمؤمنین کـان وحیـد عصـره فی الصفـات الإنسـانیة العلیـا، و کـان فریـد دهـره والجوهـرة المتألقـة فی عـالم الخلقـة، و کـان معلـم البشـریة و قـدوة التعـالیم الصالحـة، و منـهل الخـیرات، و معـدن البرکـات، و فخـر بـنی آدم، و الملائکـة و الانبیـاء. و مـا أروع کـلام النـبی الخضـر علیـه السـلام عندمـا أثـنی علیه و مجده بالصفات السامقة، و بکی علی مصیبته.

روی الصفـوانی فی کتـاب «الإحـسن والمحـسن»، و الکلیـنی فی کتـاب «الکـافی» أنـه لمـا استشـهد أمـیرالمؤمنین جـاء شـیخ یبکـی و هـو یقـول: الیـوم انقطعـت علاقـة النبـوة، حتـی وقـف ببـاب البیـت الـذی فیـه أمـیرالمؤمنین و أخـذ بعضـادتی البـاب فقـال: رحمـك اللـه فلقـد کنـت أول النـاس إسـلاما، و أخلصـهم إیمانـا، و أشـدهم یقینـا، و أخوفـهم مـن اللـه، و أطوعـهم لنبـی اللـه، و أفضلـهم منـاقب، و أکـثرهم سـوابق، و أشـبههم بـه خلقـا و سـیماء و فضـلا. و کنـت أخفضـهم صومـا، و أعلاهـم طـودا، و أقدمـهم کلامـا، و أصوبـهم منطقـا وأشـجعهم قلبـا، و أحسـنهم عمـلا، و أقواهـم یقینـا. حفظـت مـا ضیعـوا ورعیـت مـا أهملـوا، و شـمرت إذ اجتمعـوا، و علـوت إذ هلعـوا، و وقفـت إذ شـرعوا، و أدرکـت أوتـار مـا ظلمـوا. کنـت علـی الکـافرین عذابـا واصبـا وللمؤمنـین کـهفا و حصنـا، کنـت کـالجبل الراسـخ لا تحرکـه العواصـف، کنـت للطفـل کـالاب الشـفیق و للارامـل کـالبعل العطـوف. قسـمت بالسـویة وعـدلتـفی الرعیـة ، و أطفـأت النـیران و کسـرت الاصنـام ، و أذلـلت الاوثـان

١ـ «بحار الانوار» ج ٧، ص ٤٥؛ و فی الطبعة الحروفیة ج ٢٣، ص ٢١٩ و ٢٢٠

وعبدت الرحمن ـ فى كلام له كثير ـ فالتفتوا فلم يروا أحدا، فسئل الحسن عليه السلام من كان الرجل؟ قال: الخضر عليه السلام. [١]

و أخرج العلامة المجلسى هذا الكلام مفصلا فى البحار مع اختلاف يسير فى اللفظ. و رواه عن «كمال الدين و تمام النعمة» للشيخ الصدوق [٢]

و يقول المحدث القمى: وردت هذه الرواية بأسناد معتبرة عن الكلينى، و الصدوق، و آخرين غيرهم. و ذكرتها فى كتاب «الهدية» فى باب زيارات الإمام، لان كلمات الخضر هى بمنزلة زيارة أميرالمؤمنين. [٣]

و أقول: حقا إن كلمات الخضر جامعة لمقامات أميرالمؤمنين المعنوية و الروحية. و يجدر بها أن تشرح و تفصل فى كتاب مستقل. و نعم ما أنشد الشاعر الفارسى بقوله:

كتاب فضل تو را آب بحر كافى نيست

كه تر كنم سرانگشت وصفحه بشمارم [٤]

نقل عن موفق بن أحمد الخوارزمى بإسناده عن محمد بن منصور أنه قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لاحد من الصحابة من الفضائل مثل ما لعلى بن أبى طالب. و قال أحمد: قال رجل لابن عباس : سبحان الله، ما أكثر فضائل على بن أبى طالب و مناقبه، إنى لاحسبها ثلاثة آلاف منقبة! فقال ابن عباس: أو لا تقول إنها إلى ثلاثين ألفا أقرب؟ [٥]

١ـ «مناقب» ابن شهرآشوب ج ١ ص ٤٨١.

٢ـ «بحار الانوار» ج ٩، ص ٦٧٧.

٣ـ «منتهى الآمال» ج ١، ص ١٣٤ (بالفارسية).

٤ـ و ترجمته: إن ماء البحر لايكفى حتى أرطب أناملى و أعد صفحات كتاب فضلك .

٥ ـ «ينابيع المودة» باب ٤٠، ص ١٢١.

روى الخوارزمى أيضا بسنده عن حرب بن عبدالحميد أنه قال: حدثنا سليمان الاعمش بن مهران أن المنصور الدوانيقى حال خلافته قال: يا سليمان، أخبرنى كم من حديث ترويه فى فضائل على بن أبى طالب؟ قلت: يسيرا. قال: ويحك، كم تحفظ؟ قلت: عشرة آلاف حديث أو ألف حديث. فلما قلت: ألف حديث، استقلها، فقال: ويحك ياسليمان، بل عشرة آلاف كما قلت أولا. [١]

و كذلك روى الخوارزمى بسنده عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه] وآله [وسلم: لو أن الاشجار أقلام والبحر مداد والجن حساب والإنس كتاب ما أحصوا فضائل على بن أبى طالب. [٢]

و روى بسنده أيضا عن محمد بن عماره، عن أبيه، عن جعفر بن محمد بن الصادق، عن آبائه، عن أميرالمؤمنين، عن رسول الله، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه [وآله] و سلم ـ لرهط من أصحابه: إن الله تعالى جعل لاخى على فضائل لا تحصى كثرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرا بها، غفر الله ما تقدم من ذنبه و ما تأخر. و من كتب فضيلة من فضائله، لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقى لذلك الكتاب رسم، و من استمع إلى فضيلة من فضائله، غفر الله له الذنوب التى اكتسبها بالنظر. ثم قال: النظر إلى على عبادة، و ذكره عبادة، لا يقبل الله إيمان عبد إلا بموالاته والبراءة من أعدائه. [٣]

و روى الخوارزمى أيضا فى «المناقب» عن سماك بن حرب، عن سعيد بن جبير أنه قال : قلت لابن عباس رضى الله عنهما : أسألك عن

١و٢ـ «ينابيع المودة» باب ٤٠، ص ١٢١.

٣ ـ «ينابيع المودة» باب ٤٠، ص ١٢٣.

اختلاف الناس فى على رضى الله عنه، قال: يابن جبير تسألنى عن رجل كانت له ثلاثة آلاف منقبة فى ليلة واحدة و هى ليلة القربة فى قليب بدر، سلم عليه ثلاثة آلاف من الملائكة من عند ربهم، و تسألنى عن وصى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم و صاحب حوضه و صاحب لوائه فى المحشر. والذى نفس عبدالله بن العباس بيده لو كانت بحار الدنيا مدادا، و أشجارها أقلاما، و أهلها كتابا فكبتوا مناقب على بن أبى طالب و فضائله ما أحصوها.[1]

و روى الخوارزمى فى «المناقب» أيضا عن أبى طفيل أنه قال: قال بعض الصحابة: لقد كان لعلى من السوابق ما لو قسمت سابقة منها بين الناس لوسعتهم خيرا. [2]

يقول ابن شهرآشوب: و من المعجزات بعد وفاة على بن أبى طالب تسخير الجماعة اضطرارا لنقل فضائله مع ما فيها من الحجة عليهم حتى إن أنكره واحد، رد عليه صاحبه، و قال: هذا فى التواريخ، و الصحاح والسنن، والجوامع، و السير، و التفاسير، مما أجمعوا على صحته، فإن لم يكن فى واحد، يكن فى آخر.

و من جملة ذلك ما أجمعوا عليه أو روى مناقبه خلق كثير منهم حتى صار علما ضروريا. كما صنف ابن جرير الطبرى كتاب « الغدير» و ابن‌شاهين كتاب «المناقب»، و كتاب «فضائل فاطمة عليهما السلام» و يعقوب بن شيبة كتاب «تفضيل الحسن و الحسين عليهما السلام» وكتاب«مسند أمير المؤمنين و أخباره و فضائله عليه السلام»، و الجاحظ كتاب « العلوى » ، و كتاب « فضل بنى هاشم على بنى أمية » ، و أبونعيم

١و٢ ـ «ينابيع المودة» باب ٤٠، ص ١٢٣.

الإصفهانى كتاب «منقبة المطهرين فى فضائل أميرالمؤمنين»، و «ما نزل فى القرآن فى أميرالمؤمنين عليه السلام»، و أبوالمحاسن الرؤيانى كتاب « الجعفريات »، والموفق المكى كتاب «قضايا أميرالمؤمنين عليه السلام» وكتاب «رد الشمس لاميرالمؤمنين عليه السلام»، و أبوبكر محمدبن مؤمن الشيرازى كتاب «نزول القرآن فى شأن أميرالمؤمنين عليه السلام» وأبوصالح عبدالملك المؤذن كتاب «الاربعين فى فضائل الزهراء عليهاالسلام»، و أحمدبن حنبل كتاب «مسند أهل البيت وفضائل الصحابة»، و أبوعبدالله محمدبن أحمد النطنزى كتاب «الخصائص العلوية على سائر البرية»، و ابن المغازلى كتاب «المناقب»، و أبوالقاسم البسطى (البستيخل) كتاب «المراتب»، و أبوعبدالله البصرى كتاب « الدرجات » و الخطيب أبو تراب كتاب «الحدائق»، مع الكتمان والميل وذلك خرق العادة شهد بفضائله معادوه، و أقر بمناقبه جاحدوه .[1]

يقول الشاعر:

شهد الانام بفضله حتى العدى والفضل ما شهدت به الاعداء [2]

و يقول شاعر آخر:

يروى مناقبهم لنا أعداؤهم لافضل إلا ما رواه حسود [3]

طبيعى أن هؤلاء الاشخاص الذين عدهم ابن شهرآشوب مع مصنفاتهم كانوا متقدمين عليه زمنيا، لانه توفى سنة ٥٨٨ ه. بيد أن هناك مصنفات أخرى فى هذا المجال ألفت قبله و بعده، و ذكرها السيد محمد مهدى نجل السيد حسن الخرسان فى مقدمة الطبعة السابقة لكتاب «ينابيع المودة»، و قد بلغ عددها (١٨٣) كتابا.

---

١ إلى ٣ ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٤٨٤.

يقول ابن شهرآشوب: و من جملة معجزاته كثرة [الروايات فى] مناقبه و فضائله مع ما كانوا يدفنونها و يتوعدون على روايتها.

روى مسلم، و البخارى، و ابن بطة، وا لنطنزى عن عائشة فى حديثها بمرض النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم فقالت فى جملة ذلك: فخرج النبى بين رجلين من أهل بيته الفضل و رجل آخر يخط قدماه، عاصبا رأسه ـ تعنى عليا ـ عليه السلام. (إما أن عائشة لم تذكره حسدا، أو أن الرواة كتموه).

و قال معاوية لابن عباس: «إنا كتبنا فى الآفاق ننهى عن ذكر مناقب على فكف لسانك. قال: أفتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا. قال: أفتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم قال: أفنقرأه و لا نسأل؟ قال: سل عن غير أهل بيتك قال: إنه منزل علينا فنسأل غيرنا؟ أتنهانا أن نعبد الله؟ فإذا تهلك الامة. قال: اقرأوا و لا تروا ما أنزل الله فيكم. «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم». ثم نادى معاوية: أن برئت [1] الذمة ممن روى حديثا من مناقب على، حتى قال عبدالله بن الشداد الليثى: وددت أنى أترك أن أحدث بفضائل على بن أبى طالب يوما إلى الليل و أن عنقى ضربت». [2]

فكان المحدث يحدث بحديث فى الفقه أو يأتى بحديث المبارزة [فى شأن أميرالمؤمنين] فيقول: قال رجل من قريش.

١ـ فى نسخة البدل: إنى برئت الذقة

٢ـ «مناقب» ابن شهرآشوب ج ١ ص، ٤٨٤. و نقل لقاء معاوية مع ابن عباس مفصلا فى «قاموس الرجال» ج ٦ ص، ٤١ عن كتاب «سليم بن قيس»، و هو موجود فى كتاب سليم على ص ٢٠٢ و ٢٠٣.

و كان عبدالرحمن بن أبى ليلى يقول: حدثنى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم (بدل أن يذكر اسم على)، و كان الحسن البصرى يقول: قال أبو زينب. [١]

و سئل سعيد بن جبير عن حالم اللواء [يوم القيامة] ، فقال: كأنك رخى البال؟ [٢] (أى: تريدنى أذكر عليا فنقتل أنا و إياك.)

و قال الشعبى: لقد كنت أسمع خطباء بنى أمية يسبون عليا على منابرهم فكأنما يشال بضبعه [٣] إلى السماء، و كنت أسمعهم يمدحون أسلافهم، فكأنما يكشفون عن جيفة. [٤]

و رؤى أعرابية فى مسجد الكوفة تقول: يا مشهورا فى السماوات و يا مشهورا فى الارضين، يا مشهورا فى الآخرة، جهدت الجبابرة والملوك على إطفاء نورك و إخماد ذكرك، فأبى الله لذكرك إلا علوا و لنورك إلا ضياء و نماء و لو كره المشركون. قيل لها: لمن تصفين؟ قالت: ذاك أميرالمؤمنين على بن أبى طالب. [٥] فالتفت (السائل)، فلم ير أحدا.

و يقول ابن نباتة: نشرت حيلة قريش فزادته إلى صيحة القيامة فتلا ومن ذلك ما طبقت الارض بالمشاهد لاولاده و فشت المنامات من مناقبه فيبرء الزمنى و يفرج المبتلى. و ما سمع هذا لغيره عليه السلام. [٦]

يقول الشيخ الازرى من قصيدة له فى مدح الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

١و٢ ـ «مناقب» ابن شهرآشوب ج ١، ص ٤٨٥.

٣ ـ الضبع: العضد كلها أو وسطها.

٤ إلى ٦ ـ «مناقب» ابن شهرآشوب ج ١، ص ٤٨٥.

ما تناهت عوالم العلم إلا و إلى ذات أحمد منتهاها
أى خلق لله أعظم منه و هو الغاية التى استقصاها
قلب الخافقين ظهرا لبطن فرأى ذات أحمد فاجتباها

إلى أن يصل إلى أهل البيت عليهم السلام فيقول فى مقام طهارتهم وعظمتهم:

سادة لا تريد إلا رضا الله كما لا يريد إلا رضاها
خصها من كماله بالمعانى و بأعلى أسمائه سماها
كم يكونوا للعرش إلا كنوزا خافيات سبحان من أبداها
كم لهم ألسن عن الله تنبى هى أقلام حكمة قد براها
و هم الاعين الصحيحات كل نفس مكفوفة عيناها
علماء أئمة حكماء يهتدى النجم باتباع هداها
ورثوا من محمد سبق أولاها و حازوا ما لم تحز أخراها

و يقول مرة أخرى فى وصف الرسول الاعظم:

آية الله حكمة الله سيف الله والرحمة التى أهداها
فاض للخلق منه علم و حلم أخذت عنهما العقول نهاها
لم يكن أكرم النبيين حتى علم الله أنه أزكاها
إنما الكائنات نقطة خط بيديه نعيمها و شقاها
كل مادون عالم اللوح طوع ليدى فضله الذى لا يضاها
حاز من جوهر التقدس نفسا تاهت الانبياء فى معناها
لاتجل فى صفات أحمد فهى الصورة التى لن
حاز قدسية العلوم و إن لم يؤتها أحمد فمن يؤتاها
و هو الآية المحيطة فى الكو ن ففى عين كل شىء تراها

و يفصل الشاعر فى مقامات الرسول الاكرم صلى اللـه عليه] وآله [وسلم فيقول:

ملـك شـــد أزره بـأخيـــه فاستقامت من الامـور قناهـا
أســد اللـه مـا رأت مقـلتـاه نار حرب تشـب إلا اصطلاهـا

و يواصـــل الشـــاعر كلامـــه مفصـــلا فى ذكـــر فضـــائل الإمـــام صلى اللـه عليه [وآله] وسلم و مناقبه فى بدر، و أحد، و الاحـزاب، و حنـين، و خيـبر وسـائرمناقبه مـن قبيـل نـزول آيـة التطـهير، و المباهلـة، و سـورة هـل أتـى وسـدالابواب، و حديـث المنزلـة، و حديـث الغديـر، و غيرهـا مـن المنـاقب التى لاتحصى، إلى أن يقول:

أيهـا الـراكـب المـجد رويـدا بقـلـوب تقلبـت فـى جـواها
إن تـــراءت أرض الغرييـــن واخلع النعـل دون وادى طواها
و إذا شـمت قبة العـالم الاعلـى و أنـوار ربـهـا تغشـاهـا
فتـواضـع فثـم دارة قـدس تتمنـى الافـلاك لثـم ثراهـا
قـل لـه والـدموع سـفح عقيـق والجوى تصطلى بنـار غضاهـا
يابن عم المصطفى أنـت يداللـه التـى عـم كل شـى ء نداهـا
أنـت قـرآنـه القـديم و أوصـا فـك آيـاتـه التـى أوحـاهـا
حسـبك اللـه فـى مـآثر شـتى هـى مثـل الاعـداد لاتتنـاهى
أنـت بعـد النبـى خيـر البرايـا والسـما خيـر مابهـا قمراهـا
لـك ذات كـذاتـه حيـث لـولا أنـهـا مثـلهـا لمـا آخـاهـا
قـد تراضـعتـما بثـدى وصـال كـان مـن جـوهر التجلى غذاها
يا عـلى المقـدار حسـبك لاهـو تيـة لايحـاط فـى عليـاهـا
لكنفسمنجوهراللطفصيغـت جعـل اللـه كـل نفـس فداهـا

كُلُّ مَـا فِـى الْقَضَـاءِ مِـنْ كَائِنَاتٍ أَنْـتَ مَـوْلَـى بَقَـائِـهَـا وَ فَنَاهَا
يَا أَخَـا الْمُصْـطَفَـى لَـدَىَّ ذُنُوبٌ هِىَ عَيْـنُ الْقَـذْى وَ أَنْتَ جَلاَهَا
يَا غِيَـاثَ الْصَّـريخِ دَعْـوَةَ عَـافٍ لَيْـسَ إِلاَّكَ سَـامِـعٌ نَجْـوَاهَـا
كَيْـفَ تَخْشَـى الْعُصَاةُ بَلْوَى الْمَعَا صـى وَ بكَ اللَـهُ مُنْقِـذٌ مُبْتَـلاَهَا
لَكَ فِـى مُرْتَقَـى الْعُـلَى وَ الْمَعَالِى دَرَجَـاتٌ لاَ يُـرْتَقَـى أَدْنَـاهَـا [1]

و تطـرّق الشـاعر بعـد ذلـك إلى قضيّـة السـقيفة و غصـب الخلافـة مفصّـلاً فى ذلـك، و محاكمـاً الشـيخين علـى مـا اقترفـاه. ثمّ عـرّج علـى ذكـر منزلـة السـيّدة الصدّيقـة فاطمـة الزهـراء، و وصيّـة النـبىّ بهـا، و الظلـم الـذى تعرّضـت لـه علـى يـد دينـك الرجلـين، فجـزاه اللـه عـن الرسـول و عـن أهـل بيتـه خـير الجـزاء. و حقّـاً فـإنّ قصيدتـه تسـتحقّ الترجمـة إلى اللغـة الفارسـيّة مشـفوعة بذكـر الشـواهد و مصـادر الاستشـهادات، و تطبـع فى كتـاب خـاصّ لتكـون فى متنـاول أيدى الجميع.

و ما أورع ما أنشد الشاعر الفارسىّ:

حقّ را چو به خلق شد جلوه گرى
پوشـيد عـلى را بـه لبـاس بشـرى
از عـالم لامكـان به امـكـان آورد
تا بى خبران را دهد از خود خبرى

و ما أجمل ما قاله شاعر آخر:

سِـرِّ ولايت آمـوز مصباح جان برافروز
رو از علـى بيـامـوز يك شـيمهٔ عليّـه

١ــ ديوان الأُزرىّ.

٢ـ يقـول الشـاعر هنـا: «لمّـا أراد الحـقّ أن يتجلّـى للخلـق، فقـد ألبـس عليّـاً رداء البشـر. وجاء بهاً من عالم اللا مكان إلى عالم الاءمكان ليخبر الناس الغافلين، عن اللـه تعالى».

روی علیّ ! أعلی اشراق نور بالا
عَنْ وَجْهِهِ تَلاَلاَ نُورٌ مِنَ الْهُوِیّه
سِرِّ هُویّت آمد روح مشیّت آمد
ایجادُ کُلِّ شَیْءٍ مِنْ مَبْدَأ الْمَشِیَّه
چون روح جمله أسماست این نکته پای برجاست
یا واهِبَ الْعَطَایا یا رازق الْبَرِیَّه
چون نیست رَه بذاتش یك شمّه از صفاتش
اَلرِّفْقُ بِالرَّعِیَّه وَالْعَدْلُ فِی الْقَضِیَّه [1]

و ما أورع و أسمی ما قاله الرومیّ:

رومی نشد از سرّ علی کس آگاه
زیرا که نشد کس آگه از سرّ اِلَه
یك ممکن و این همه صفات واجب
لاَ حَوْلَ وَ لاَ قُوَّةَ إِلاّ بِاللَه [2]

و ما أحلی ما أنشده الادیب الفاضل عبدالباقی أفَنْدی العمریّ إذ قال:

یَا أَبَا الأَوْصِیاءِ أَنْتَ لِطَه صِهْرُهُ وَ ابْنُ عَمِّهِ وَ أَخُوهُ

١ـ یقول الشاعر: «تعلّم سرّ الولایة و أنز مصباح روحك و اذهب و تعلّم من علیّ شیماً علیّة. فوجه علیّ النورانیّ هو من نورانیّة العالم العلوی، و قد تلالا عن وجهه نورٌ من الهویّة. و أصبح علیّ سرّ الهویّة و حلّت روح المشیئة الاءلهیّة فیه و إیجاد کلّ شیءٍ من مبدأ المشیّة. لانّ علیّاً هو روح جمیع الاسماء الاءلهیّة، و هی مسألة لانقاش فیها. یا واهب العطایا یا رازق البریّة». و یقول فی البیت الاخیر: «لمّا لم یکن لنا سبیل إلی ذاته، فإنّ عندنا عبقة من صفاته و هی الرفق بالرعیّة، و العدل فی القضیّة».

٢ـ یخاطب الشاعر نفسه فیقول: «أیّها الرومیّ: لم یعرف أحد سرّ علیّ، لانّ أحداً من الناس لم یعرف سرّ الله . أممکنٌ یتحلّی بکلّ صفات الواجب هذه؟! لا حول و لا قوّة إلاّ بالله.

إِنَّ لِلَـهِ فِـى مَعَـالِيـكَ سِـرّاً أَكْثَـر الْعَـالَمِـينَ مـا عَلِمُـوهُ
أَنْتَ ثَـانى الآبَـاء فِى مُنْتَهَى الـدَّوْرِ وَ آبـاؤُهُ تُعَـدُّ بَنُـوهُ
خَلَـقَ اللَـهُ آدَمُ مِـنْ تُرَابٍ فَهُـوَ ابْـنٌ لَهُ وَ أَنْتَ أَبُوهُ[1] *

و نظم آية اللـه العلاّمـة الحـاج السيّد إسماعيل الشيرازىّ ابـن عـمّ آيـة اللَـه سيّد الطّاعـة الحـاج المـيرزا محمّـد حسـن الشيرازىّ أعلـى اللـه مقامـهما قصيـدة عصمـاء فى مـدح أميرالمؤمنين علـى عليـه السـلام لمناسـبة ذكـر مولـده الاغـرّ ننقل منها هنا عدداً من أبياتها:

فَـوَلِيـدُ الْبَيْـتِ أَحْـرى أَنْ يَكُـونْ لِـوَلِـىِّ الْـبَيْتِ حَقّـاً وَلَـدا
هُـوَ بَعْـدَ الْمُصْـطَفَى خَيْـرُ الْوَرى مِـنْ ذُرَى الْعَـرْشِ إلى تَحْـتَ الثَّـرَى
قَـدْ كَسَـتْ عَـلْيَاؤُهُ أُمَّ الْـقُـرَى عِـزَّةً تَحْمَـى حِمَـاهَـا أَبَـدا
لاَ عُـزَيْـرٌ، لاَ ؛ وَلاَ ابْـنُ مَـرْيَـم حَـيْثُ لاَ يَـدْنُـوهُ مَـنْ لَـمْ يُحْـرِمِ
سَـبَقَ الْكَـوْنَ جَمِيـعاً فِـى الْوُجُود وَ طَـوى عَـالَـمَ غَـيْـبٍ وَ شُـهُودُ
كُـلَّ مَـا فِـى الْكَـوْنِ مِـنْ يُمْنَـاهُ جُـودُ إذْ هُـوَ الْكَـائِـنُ لِـلَـهِ يَـدا

١ـ «سفينة البحار» ج ٢، ص ٢٣١.

* ـ المقصود أنّ آدم ابن التراب و انت أبو تراب.

سید حازت به الفضل مضر
بفخار قد سماكل البشر
وجهه فی الفلك العليا قمر
فبه لا بالنجوم يهتدی
و يد للله مدر الانعم
نحو معناه لنيل المغنم [1]

و ما أحلی و أبلغ الشعر الذی نظمه الحكيم الإلهی الميرزا جلوه بالفارسية إذ قال:

غير علی كسی نكرد خدمت أحمد
غمخور موسی نباشد الا هارون
صورت انسانی و صفات خدائی
سبحان الله ازين مركب و معجون
كرد جهانی زتيغ زنده به معنی
از دم تيغش اگر چه ريخت همی خون
ساحت جاهش به عقل پی نتوان برد
نتوان با موزه درگذشت ز جيحون

١ـ «سفينة البحار» ج ٢، ص ٢٣٠.

٢ـ يقول الشاعر هنا:

« ـ لم يخدم رسول الله غير علی كما لم يشارك موسی فی غمة غير هارون.

و علی فی صورة إنسانية و صفات إلهية، فسبحان الله ما أورع هذا المزيج والمعجون .

إن عليا فی الحقيقة أحيا العالم بسيفه، و إن كان حد سيفه ما برح يقطر دما.

لايمكن إدراك مقام علی بالعقل، إذ لا يمكن عبور نهر جيحون بحذاء صغير» [يريد الشاعر هنا أنه لايمكن عبور نهر جيحون إلا بسفينة أو زورق. و كذلك حقيقة علی فإن

سوی شـریعت گرای و مهر علی جوی

از بـــن دنـــدان اگر نه قلـــبی ووارون [١]

العقل قاصر عن إدراك كنهها. المترجم] .

« اتجه نحو الشريعة أيـها الإنسان و دع حب على يملا قلبك وليكن ذلك من صميم القلب و أعمامة، إذا كنـــت سائرا على الصراط السوى، معرضا عن الاعوجاج » .

اَلدَّرْسُ الثَّانِي وَالْخَمْسُونَ

وَالثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ

تفسير الآية:

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ.

بسْـمِ اللـه الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ

و صلَّى اللـه على محمّد و آله الطَّاهرين

و لعنة اللـه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوّة إلاّ باللـه العلىّ العظيم

قال اللـه الحكيم فى كتابه الكريم:

وَ يَقُـولُ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا لَسْـتَ مُرْسَـلاً قُـلْ كَفَـى' بِاللَـهِ شَـهِيدًا بَيْنِـى وَ بَيْنَكُـمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَـٰبِ. [1]

اتّفـق علمـاء الشـيعة علـى أنّ الـذى عنـده علـم الكتـاب فى هـذه الآيـة الكريمـة هـو أمـيرالمؤمنين علـى بـن أبى طـالب عليـه السـلام. و إنّ رسـول اللـه صلّى اللـه عليه وآلـه وسلّم مكلّـف مـن قبـل اللـه تعـالى أن يقـول للذيـن امتنعـوا عن قبـول القـرآن و الرسـالة: إنّ أفضـل شـاهد بيـنى و بينكـم علـى صـدق دعـواى و علـى أحقيّـة القـرآن هـو الـذات المقدّسـة الربوبيّـة، و أمـيرالمؤمنين علىّ بـن أبىطـالب عليـه السـلام العـالِم بكتـاب اللـه، و المحيـط بحقائقـه و أسـراره والخبـير بدقائقـه و لطائفـه و ظـاهره و باطنـه. و أجمعـت الروايـات المـأثورة عـن أهـل البيـت عليـهم السـلام بـلا أىّ خـلاف فى ذلـك، أنّ الآيـة نزلـت فى علـى عليه السـلام. و وافقـهم علـى ذلـك جمـع كثـير مـن علمـاء العامّـة، علـى الرغـم مـن أنّ بعـضـهم قـال بـأنّ الـذى عنـده علـم الكتاب ، ذات اللـه نفسـه ، أو جـبرئيل ، أو

---

١ ـ الآية ٤٣ ، من السورة ١٣ : الرعد .

علمـــاء اليـــهود و النصـــارى العـــالمون بـــالتوراة و الإنجيـــل، أو فى خصـــوص عبداللـه بن سلام الذى كان قد أسلم.

يقـول أبـو الفتـوح الـــرازى: قـــال بعـــض المفســـرين: هـــو عبداللـــه بـــن ســـلام. ولكـــن أغلـــب المفســـرين مـــن القدمـــاء، و المحدثـــين، و أهـــل الأخبـــار و الاسـناد و الروايـات مـن الموافقـين و المخـالفين ذهبـوا إلى أن الـذى عنـــده علـــم الكتاب، هو: أميرالمؤمنين على بن أبىطالب. [1]

و يقـول الزمخشـرى: المـراد هـــو الـــذى عنـــده علـــم القـــرآن، و مـــا ألـــف عليـه مـن النظـــم المعجـــز الفـــائت لقـــوى البشـــر. ثم يبيـــن ســـائر الاحتمـــالات والاقوال بقوله: و «قيل» .[2]

و قبـل أن نخـوض فى الروايـــات المـــأثورة عـــن العامـــة و الخاصـــة بشـــأن الآيـة، و كذلـك قبـــل أن نتطـــرق إلى الاجتماعـــات و الاقـــوال المطروحـــة حـــول الآيـة، لابـد لنـا مـن جولـة مجملـة فى أجـواء السـورة المباركـــة الـــتى تضـــم هـــذه الآيـة، و هـى سـورة الرعـد، كـى يتحـدد موقـع هـــذه الآيـــة، و فى هـــذه الجولـــة نفسها جواب تلقائى على بعض الاحتمالات أو الاقوال.

فقـد نزلـت هـذه السـورة لإثبـات أحقيـة الكتـــاب الإلهـــى، و هـــو القـــرآن الكـريم، حيـال المنكريـن الذيـن أنكـروا القـــرآن بوصفـــه معجـــزة، و طلبـــوا مـــن رسـول اللـــه معجـزة أخـرى محسوسـة و مشـــهودة تـــنزل عليـــهم مـــن الســـماء . وآيـات هـــذه الســـورة مـــن أولهـــا حتـــى آخـــرها متصـــلة و مترابطة فيما بينها كحبـات اللؤلـؤ المنتظمـــة فى خيـــط، إذ تؤلـــف شـــكلا خاصـــا و صـــورة جميلـــة أولهـا مرتبـــط بآخـــرها و آخـــرها ناظـر و مرتبـــط بأولهـــا. و الآيـــة المشـار إليها

١ ـ «تفسير أبىالفتوح» ج ٦، ص ٥٣ (بالفارسية). و قد أوردنا ترجمة كلامه. (م)
٢ ـ تفسير «الكشاف» ج ٢، ص ٥٣٦ .

واقعة فی آخر السورة، و هی تتکفّل بالإجابة علی جمیع ما طرحه المشرکون من مؤاخذات بحیث إنّنا لو رفعنا هذه الآیة من السورة، فإنّ السورة تظلّ ناقصة کأنّها کأسٌ مثلوم، و تنحدر من ذروة عظمتها و رفعتها.

تبدأ الآیة الأُولی من السورة بهذا الخطاب : الَمَرَ * تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَـٰبِ وَالَّذِی أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَيُؤْمِنُونَ *

و تنتقل بعد ذلك إلی ذکر الله الذی رفع السماوات بغیر عمد مرئیّة واستوی علی العرش، و سخّر الشمس و القمر کلّ یجری لاجل مسمّی والذی مدّ الارض، و جعل فیها رواسی و أنهاراً، و جعل فیها مِن کلّ الثمرات، و قسّم الارض قطعاً متجاورات، و خلق فیها جنّات من أعناب ونخیل و زرع، تسقی بماء واحد. و هو الذی یحیی الموتی. و عجب قول المنکرین:

ءَإِذَا كُنَّا تُرَابًا ءَإِنَّا لَفِی خَلْقٍ جَدِيدٍ إلی أن تصل إلی الآیة السابعة : وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ (تنذر الناس من الشرك و الکفر و من العواقب الوخیمة للمعاصی و الذنوب). وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ .

و یلاحظ هنا أنّ الکفّار لایقرّون بالقرآن الکریم بوصفه معجزة وقد نزل بالحقّ، و هو معجزة حقّاً، فکانوا یبحثون عن معجزة أُخری من الاُمور الخارقة للعادة. و یجیبهم النبیّ الکریم بقوله: إنّ الإتیان بمعجزات أُخری خارقة للعادة کما تشتهون (و کما تریدون أن تلزمونی بها من قبیل: تبدیل الجبل ذهباً، أو إجراء نهر من الذهب المذاب، أو تبدیل هذا البستان بستاناً من الجواهر و اللآلی، أو إحیاء الموتی، أو نزول مَلَك من السماء ترونه، أو نزول کتاب سماویّ تلمسونه بأیدکم ، کلّ هذه الاشیاء التی تطلبونها مضافاً

إلى أنها غير صحيحة، فهى تستلزم التجسيم، و حلول الذات الإلهية فى مكان معين. إن هذا اللون من المعجزات المتوالية لايصب فى مصلحة الإنسان. هذا مع أن معجزات قد صدرت عن جميع الانبياء، بيد أنها لم تكن بشكل تتعطل فيه السنن الكونية دائما، و لم تكن بحيث يشغل الانبياء أفكارهم تبعا لآراء الناس و أفكارهم، فيأتون لهم بمعجزة متى شاءوا) و قد جئتكم نذيرا لكم من الشرك و الكفر و الاعمال القبيحة، و هذه هى رسالتى و مهمتى.

و لابد للنبى هنا أن يقول لهم بأن معجزته الابدية العلمية التى لاسبيل إلى إنكارها هى القرآن الذى يدعو الناس من مناظر العقل و العلم ويتحداهم به، و يطلب من الجن و الإنس صراحة أن يجتمعوا متظاهرين للإتيان بمثله، و يدعو الناس جميعهم إلى معارضته ولو بعشر سور أو بسورة واحدة . مضافا إلى ذلك فإن الآيات نفسها معجزة بأسلوبها العجيب ومنطقها السليم المشتمل على الحقائق و اللطائف و القوانين الإنسانية الفطرية التى تريد مصلحة البشرية. و هى معجزة بندائها العالى إلى العدل والتقوى و عمل الخير و الدعوة إلى الإيثار و الإنفاق و غيرهما... كلها معجزة بنظهما الرائع و تلاحمها كحلقات السلسلة بعضها مع بعض. و إن ربه هو الذى أرسل هذه الآيات. و أعلن فيها عن رسالته، و أشهد عليها وصرح بها بوصفها معجزة عقلية و معنوية فى أعلى درجات الإعجاز بيد أن رسول الله لم يجب الكفار بهذا، و تركه لفرصة أخرى، ثم ينشغل مرة أخرى بوصف الله، فإنه يعلم ما تحمل كل أنثى، و يعلم الغيب و الشهود ويعلم من أسر القول و من جهر به بنحو سوى و أنه هو الذى خلق البرق فى السماء و أنشأ السحاب الثقال، و أنه هو الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته. ثم يبين بعد ذلك أن لله دعوة الحق ، و أن السعادة نصيب الذين يستجيبون لها ، و أن من

فى السماوات و الارض يسجدون لله و أنّ المشركين الذين هم من خلقه و جعلوا له شركاء فى ضلال، و هكذا يواصل كلامه حتّى يصل إلى الآية التاسعة عشرة: أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ.

و هذه الآية، فى الوقت الذى ترمى إلى دحض كلام المشركين والكفّار، فإنّها ناظرة إلى الآية الأُولى فى السورة، و قد وردت للتأكيد على أحقيّة الكتاب، و جاءت لتحكم على جميع الآيات الواقعة بينهما المبيّنة عظمة الله و قدرته، بل و المبيّنة قرآنه نفسه، و هى حقّ لاريب فيه، و أنّ المنكر لها أعمى. ثمّ وصفت أُولى الالباب الذين استجابوا للقرآن. فقالت بأنّهم يوفون بعهدالله، ولا ينقضون الميثاق، ويصلون ما أمرالله به أن يوصل، و يخشون ربّهم، ويخافون سوءالحساب، و يقيمون الصلاة وينفقون أموالهم سرّاً و علانية، و هكذا تستمر على هذا النسق حتّى تبدأ الآية السابقة و العشرون: وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّه يُضِلُّ مَنْ يَشَآءُ وَ يَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ.

و تبيّن الآية هنا للمرّة الثانيّة اعتراض الكفّار بسبب عدم نزول معجزة خارقة للعادة من ربّه، و تشعر أنّهم ثابتون على كلامهم، و أنّهم لايعتبرون القرآن معجزة، و يتلمّسون معجزة أُخرى. و نجد النبيّ هنا أيضاً لايتحدّاهم فى جوابه بالقرآن الذى هو أعلى المعجزات و أكبرها ، و يُرجى ذلك مع شهادة الله على رسالته لفرصة أُخرى. و يقول فقط: إنّ الهداية و الضلالة بيد الله، فمن سلّم لله و رجع إليه قاشعاً غمائم الجهل عن عقله و قلبه فسيهديه الله، و من لم يكن كذلك و سار فى طريق الضلال ، فسيضلّه الله. و بعد ذلك تبدأ الآيات بوصف العباد الذين يرجعون إلى ربّهم، و يسيرون على طريق الحقّ و هم الذين: تطمئنّ قلوبهم بذكر الله .

أما الذين لم تستسلم قلوبهم لله، فلا جدوى لهم فى المعجزة أيضا، فما لم ينقاد القلب للحق، فإنه يؤول جميع المعجزات و يفسرها على أنها سحر و كذب. يقول تعالى فى الآية الحادية و الثلاثين: و لو أن قرءانا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى' بل لله الامر جميعا أفلم يايس الذين ءامنو ا أن لو يشآء الله لهدى الناس جميعا و لا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى' يأتى وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد.

تبين هذه الآيات بشكل واضح أن عدم قبول القرآن نابع عن عدم تطويع القلب لقبول الحق و الانقياد للواقع، و إن لم يؤمنوا بهذا القرآن الذى هو أعظم و أرقى معجزة، فبأى معجزة أخرى يؤمنون؟ بعد ذلك تنتقل السورة فتقدم لنا شرحا عن الامم الماضية التى لم تؤمن بأنبيائها من وحى العناد والغطرسة. و تتحدث عن المؤمنين الذين يدخلون الجنة بسبب إذعانهم للحق، و تتطرق إلى الانبياء الذين جاءوا بالمعجزة، و الامم التى تعاملت معهم من منطلق المكر و الخديعة، و تستمر السورة حتى تصل إلى آخر آية فيها، و هى قوله تعالى: و يقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى' بالله شهيدا بينى و بينكم و من عنده علم الكتـ'ب.

يلاحظ هنا أن الكفار لما أنكروا القرآن، و هو أعظم معجزة، و طلبوا من النبى معجزات أخرى فلم يستجب لهم، أنكروا أصل النبوة نهائيا وكانواحتى تلك اللحظة لم ينكروها بل كانوا وراء معجزات أخرى، و لما خاب أملهم من تلك المعجزة، أنكروا النبوة إنكارا تاما. أما النبى فإن جوابه المتكرر الذى ينبغى الإتيان به فى تينك المرحلتين حول أحقية القرآن و إعجازه، و الإتيان بشاهد على رسالته، فقد جاء هنا فقال: أيها الكفار، نزل على هذا القرآن و هو أعظم معجزة ، و قد شهد الله فيه على

رسالتى، و شهد الذى عنده علم القرآن على نبوّتى.

فى ضوء ذلك فإنّ شهادة الله لاتمثّل إرجاعاً إلى الغيب و إلى أمر مجهول، و هى ليست دعوى بدون برهان، لانّ شهادة الله فى القرآن وشهادة العالم بالكتاب أمر مشهود و معلوم، و هى واضحة عند الكفّار؛ والدليل على صحّة هذه الدعوى هو إعجاز القرآن، و هو ضرورىّ. لذلك فإنّ هذه الآية المباركة ناظرة إلى السورة كلّها و فيها جواب على جميع اعتراضات المشركين و الكافرين، و هى ناظرة إلى الآية الأُولى، و الآية التاسعة عشرة التى تثبت أحقيّة الكتاب، و ينتظم صدرها و وسطها و ذيلها بعضه مع بعض مع حُسن الافتتاح و حُسن الاختتام، بحيث لو رفعنا هذه الآية من السورة، فكأنّما هناك نقص فيها.

و الآن إذ فرغنا من الحديث عن السورة من خلال النظرة الإجماليّة التى ألقيناها عليها، نأتى إلى تفسير الآية المشار إليها: قُلْ كَفى بِاللَهِ شَهِيداً بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَـٰبِ.

فالقصد من شهادة الله على رسالة رسول الله هو أداء الشهادة، كما جاء فى قوله: إِنَّكَ لِمَن الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَ ٰطٍ مُسْتَقِيمٍ. و كما ورد فى بقيّة الآيات: يَـٰأَيُّهَا الرَّسُولُ وَ يَـٰأَيُّهَا النَّبِىُّ، أو سائر العناوين الأُخرى نحو: مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله. هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ. وَ أَطِيعُواْ اللَهِ وَ رَسُولَهُ: وَ لِلَهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ. وَاللَهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ. يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَهَ وَ ءَامَنُوا برَسُولِهِ. و مثل هذه الآيات الكثيرة فى القرآن. و أداء الشهادة يتحقّق بهذه الآيات فى القرآن.

يقول الفخر الرازىّ: المراد من تلك الشهادة هو أنّه تعالى أظهر المعجزات الدالّة على كونه صادقاً فى ادّعاء الرسالة . [و هذه المرتبة شهادة

فعلية لاقولية] و هذا أعلى مراتب الشهادة. [١] لكن هذه الكلام غير صحيح لان النبى لم يقم بالمعجزات و خوارق العادات التى طلبها الكفار منه . فلايبقى إلا القرآن و حسب . و ما هى الضرورة أن نعتبر نزول القرآن نفسه فى هذه الحالة هو شهادة الله من الناحية العملية، بل إن الشهادة التى معنى حقيقتها الشهادة القولية كثيرة فى القرآن فيما يخص رسالة الرسول الاكرم. [٢] مضافا إلى ذلك فإن كلام الفخر الرازى القائل بأن الشهادة الفعلية أعلى و أقوى من الشهادة القولية كلام عار عن الحقيقة .

و أما ما قاله البعض من أن المقصود هنا هو تحمل الشهادة من قبل الله لا أداؤها .

فهذا احتمال خطأ بعيد عن الصواب أيضا، فماذا يجنى الكفار من تحمل الله الذى لايرى، وماذا استثمر لهم هذه الشهادة؟ وكيف ستؤتى هذه الشهاة أكلها لهم؟ و فى مثل هذه الحالة يكون الامر إرجاعا و إحالة إلى الغيب، فيسقط الكلام من درجة إعتباره و شأنه لانه سوف لن يبقى طريق لإثباته عند الكفار المنكرين.

و أما القصد من الذى عنده علم الكتـ'ب. فقد قال البعض إنه هو الله نفسه، و نسب الفخر الرازى هذا القول إلى الحسن [البصرى] ، و سعيد بن جبير، و الزجاج. [٣]

١ـ «تفسير الفخر الرازى» ج ١٩، ص ٦٩

٢ـ هذا الكلام صحيح، ولكن ينبغى أن نقول فى مقابل الكفار الذين لايذعنون لاحقية الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم فى القرآن أنه لما كان القرآن معجزة، و أن الله أجرى إعجازه على يد النبى الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم فقد صدقه . و هذا الإجراء على يد النبى هو شهادة الله. و يمكن حينئذ أن نحمل كلام الفخر الرازى على الصحة .

٣ ـ « تفسير الفخر الرازى » ج ١٩ ، ص ٧٠ ؛ و نسب تفسير « مجمع البيان » فى ج ٣

و نقل الزمخشريّ، [١] و الفخر الرازيّ [٢] عن الحسن البصريّ أنّه قال : لاَ وَاللَهِ مَا يَعْنى إلاّ اللَهَ. و قال السيوطيّ: أخرج ابن جرير و ابن‌مُنذر، و ابن حاتم عن مجاهد أنّه قال: هو اللـه [٣] عزّ وجلّ.

و هذا الاحتمال غير صحيح، لانّه أوّلاً: خلاف ظاهر العطف الذى يدلّ على المغايرة. و ثانياً: فيه عطف الصفة على الذات، و هو فاسد. وكما قال الفخر الرازيّ: لايصحّ أن نقول: شَهِدَ بِهَذَا زَيْدٌ وَ الْفَقِيهُ. و نحن نريد من الفقيه زيداً نفسه، بل نقول: شهد بهذا زيد الفقيه. [٤]

و صرّح العلاّمة الطباطبائيّ بهذا المعنى فقال: لذلك ترى الزمخشريّ أوّل كلام الحسن البصريّ و بدّل الجملة الأُولى بجملة و صفيّة فقال: «كَفى بِالَّذِى يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَ بِالَّذِى يَعْلَمُ عِلْمَ مَا فِى اللّوْحِ الْمَحْفُوظِ إلاّ هُوَ شَهِيد بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ». [٥] فبدّل لفظ الجلاله «اللـه» الذى يدلّ على الذات بلفظ الَّذى يسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ و هو جملة و صفيّة. [٦]

و من الطبيعىّ أنّ الزمخشريّ هو صاحب هذا التوجيه و ذلك لكى

ص ٣٠١ هذا القول إلى الحسن، و الضحّاك، و سعيد بن جبير و قال: هو ما اختاره الزجّاج . والشاهد على هذا قراءة من تلا الآية هكذا: وَ مِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتـ'بِ أَوْ وَ مِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الْكِتَـ'بُ. و قال فى تفسير «الكشّاف» ج ٢، ص ٥٣٦: قراءة من قرأ مِنْ بالكسرة يقوّى قول الحسن. أى: مِنْ لَدُنْهُ عِلْمُ الْكِتَـ'بِ. أوْ عُلِمَ فعل مبنى للمفعول، أىّ مِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الْكِتَـ'بُ .

١ـ تفسير «الكشّاف» ج ٢، ص ٥٣٦ .

٢ـ نفس الهامش رقم ٣ من الصفحة الماضية .

٣ ـ «الدرّ المنثور» ج ٤، ص ٦٩.

٤- انظر : الهامش رقم ٣ من الصفحة الماضية .

٥ ـ تفسير «الكشّاف» ج ٢، ص ٥٣٦ .

٦ ـ تفسير «الميزان» ج ١١، ص ٤٢٤ .

يبرر رداءة هذا الكلام و يلتمس وجها لتفسير الحسن البصرى. لكن ينبغى أن نعلم بأن تبديل اللفظ بلفظ آخر له معنى صحيح لايوجب صحة اللفظ الاول، و لما كان اللفظ الاول الدال على الذات واردا فى القرآن المجيد فإن عطف الصفة عليه قبيح. مضافا إلى ذلك، ما قلناه سابقا من أن المقصود بشهادة الله على رسالة النبى، الآيات القرآنية الواردة التى تصدق رسالته، ففى مثل هذه الحالة فإن من المناسب أن تنسب تلك الآيات إلى الذات المقدسة الجامعة لصفات الكمال كلها، لا بالمعنى الوصفى، لان شهادة الذات الإلهية أكبر من جميع الشهادات الاخرى. قال سبحانه: قل أى شىء أكبر شهـ'دة قل الله شهيد بينى وبينكم.[1] و ما قاله الزجاج من أنه لايصح أن يستشهد الله بغيره فى صدق حكمه، لايتم لانه كما قال الفخر الرازى : كيف يجوز أن يقسم الله بالتين و الزيتون لإثبات صدق كلامه ولايجوز أن يستشهد بالذى عنده علم الكتاب؟![2]

الاحتمال الثانى هو أن المراد من الكتاب التوراة و الإنجيل، و المراد من الذى عنده علم الكتاب هم علماء اليهود و النصارى، و على هذا الاساس يقول السيوطى: روى ابن جرير عن طريق العوفى، عن ابن عباس أنه سئل: و من عنده علم الكتـ'ب؟ قال: هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى.[3]

و ذلك لان اليهود و النصارى قرأوا فى التوراة و الإنجيل علائم النبى الذى يأتى فى آخر الزمان، و عندهم بما بشر به الانبياء.

و هذا الاحتمال غير صحيح أيضا لان الآية المباركة ذكرت شهادة

١ـ تفسير «الميزان» ج ١١، ص ٤٢٤ ؛ و الآية ١٩، من السورة ٦ : الأنعام.

٢ـ «تفسير الفخر الرازى» ج ١٩، ص ٧٠.

٣ـ تفسير «الدر المنثور» ج ٤، ص ٦٩ .

العالم بالكتاب لا مجرّد العلم. و هذه السورة ـ كما ذكروا ـ نزلت على النبيّ في مكّة، و لم يؤمن أحد من علماء اليهود و النصارى يومئذٍ، و لم يشهد برسالته. و كان كفاح النبيّ و دعوته في مكّة مع مشركي قريش فقط، و في هذه الحالة، فلا معنى لان يحتجّ رسول الله في رسالته بشهادة شخص لم يشهد للرسالة بشيء.

و قال البعض إنّ المراد بالشهادة هنا تحمّل الشهادة لا أداؤها، وتحمّل الشهادة لا يستلزم أن يكون الشاهد مؤمناً عند الشهادة، أى عند تحمّلها . لذلك فإنّ المراد بمن عنده علم الكتاب هم علماء اليهود و النصارى الذين تحمّلوا هذه الشهادة وفقاً للتوراة و الإنجيل و إن لم يؤمنوا حين نزول الآية.[1]

و هذه الاحتمال غير صائب أيضاً، لانّ مرجع احتجاج النبيّ على المشركى قريش في هذه الحالة هو علم علماء أهل الكتاب، و إن لم يؤمنوا حيئنذٍ و لم يعترفوا برسالته، فكيف تصحّ شهادة من لايؤمن بالرسالة ولايعترف بها! و لو كان هذا المعنى مقبولاً، لاحتجّ النبيّ بعلم المشركين أنفسهم، لانّ إعجاز القرآن كان ثابتاً عندهم و الحجّة كانت تامّة عليهم، إذاً كان لابدّ له أن يستشهدهم على رسالته، فلماذا عدل إل؟ تحمّل شهادة أهل الكتاب؟ هذا مع أنّ المشركين كانوا شركاء أهل الكتاب في الكفر و إنكار الرسالة. مضافاً إلى ذلك، فإنّنا قلنا سابقاً إنّ المراد من الشهادة أداؤها لا تحمّلها، لانّ تحمّلها في الله عزّ وجلّ لم يكن ليقطع عند المشركين ، و ستكون فيه إحالة على الغيب.

الاحتمال الثالث هو أنّ المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، و العالم به : جبرئيل . يقول السيوطيّ : أخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير أنّه قال

١ـ تفسير «الميزان» ج ١١، ص ٤٢٥ .

فى تفسير هذه الآية: من عنده علم الكتـ'ب جبريل. [١]

و هـذا الاحتمـال غـير صحيـح أيضـا، لان المشـركين لايقـرون بجـبرئيل ومـا فـائدة شـهادة لهـم و هـى لاتمثـل إلا وعـدا بـالغيب و فـرارا مـن الاحتجـاج فى قاموسـهم؟ و فى هـذه الحالـة، لـو استشـهد النـبى علـى رسـالته بجميـع ملائكـة اللـه غـير جـبرئيل، مثـل: ميكـائيل، و إسـرافيل، و عزرائيـل، و بقيـة ملائكة الملأ الاعلى، لم يكن المشركين فيه فائدة؟ ولا قطعا للعذر.

الاحتمال الرابع هو أن المراد من أهل الكتاب القوم الذين آمنـوا وشـهدوا برسـالة النبى من علماء اليهود و النصارى كعبة اللـه بن سلام وسلمان الفارسى، و الجارود، وتميـم الدارى [٢]

و يقـول السـيوطى: أخـرج عبدالـرزاق، و ابـن جريـر، و ابـن منـذر وابـن أبى حـاتم عـن قتـادة أنـه قـال : كـان مـن أهـل الكتـاب قـوم يشـهدون بـالحق و يعرفونـه، منـهم: عبداللـه بـن سـلام، والجـارود، و تميـم الـدارى ، و سلمان الفارسى . [٣]

و هـذا بـاطل أيضـا لان هـؤلاء جميعـهم أسـلموا فى المدينـة و الآيـة المباركـة، قـل كفـى' باللـه شـهيدا بينـى و بينكـم و مـن عنـده علـم الكتـ'ب نزلـت فى مكـة. و لامعـنى لاجتمـاع رسـول اللـه علـى مشـركى قريـش فى مكـة، مستشهدا على رسالته أشخاصا سوف يسلمون فى المدينة.

و قال بعضهم: بأن كون الآية مكية لاينافى أن يكون الكلام إخبارا

١ـ «الدر المنثور» ج ٤، ص ٦٩

٢ـ «الميـزان» ج ١١، ص ٤٢٤؛ و «تفسـير الفخـر الـرازى» ج ١٩، ص ٦٩ ؛ و «مجمـع البيان» ج ٣، ص ٣٠١ ؛ و «الكشاف» ج ٢، ص ٥٣٦ ؛ و «تفسير أبى السعود» ج ٣، ص ٢٣٥.

٣ـ «الدر المنثور» ج ٤، ص ٦٩.

عما سيشهد به و فيه أن ذلك يوجب رداءة الحجة و سقوطها. فأى معنى لأن يحتج على قوم يقولون: لست مرسلا. فيقال : صدقوا به اليوم لان بعض علماء أهل الكتاب سوف يشهدون به. [٢٠] و هذا ضعيف و واه للغاية.

الاحتمال الخامس : أن الذى عنده علم الكتاب هو عبدالله بن سلام تخصيصا، و هو من علماء اليهود و أسلم فى المدينة عند هجرة النبى إليها . يقول السيوطى: أخرج ابن سعد، و ابن أبى شيبة، و ابن جرير، و ابن منذر عن مجاهد أنه كان يقرأ: «ومن عنده علم الكتـ'ب»، قال: هو عبدالله بن سلام.[١]

وللقائلين بأنه عبدالله بن سلام جهد بليغ فى الدفاع عنه، بيد أن هذا القول باطل أيضا، لانه كما قلنا فى رد الاحتمال الرابع، فإن سورة الرعد مكية، وعبدالله بن سلام أسلم فى المدينة، فالاستشهاد به أمام مشركى مكة إسقاط للحجة و فرار من ميدان الاحتجاج، و حاشا لله و لرسوله. قال البعض: إن مكية السورة لا تنافى كون بعض آياتها مدنية. ويمكن أن تكون جميع آياتها مكية إلا هذه الآية فإنها نزلت فى المدينة فى عبداللهبن سلام.

و الجواب هو أن مجرد الاحتمال لايثبت مدنية آية فى سورة مكية مالم يكن هناك نقل صحيح قابل للتعويل عليه. و هنا مضافا إلى عدم وجود مثل هذا النقل، فإن الجمهور نصوا على أن هذه الآية مكية كما نقل عن البحر [المحيط للاندلسى] .[٣]

١ـ تفسير «الميزان» ج ١١، ص ٤٢٥.

٢ـ «الدر المنثور» ج ٤، ص ٦٩ ؛ و «ينابيع المودة» ص ١٠٤، باب ٣٠ .

٣ـ تفسير «الميزان» ج ١١، ص ٤٢٥ .

يقول السيوطى: أخرج سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن منذر وابن أبى حاتم، و النحاس فى كتاب «الناسخ» عن سعيد بن جبير أنه سئل عن قوله: «ومن عنده علم الكتـ'ب» أهو عبدالله بن سلام رضى الله عنه؟ قال: و كيف و هذه السورة مكية ؟! [١]

ويقول ابن عبدالبر فى ترجمة عبدالله بن سلام: وقد قيل فى قول الله عز وجل: « و من عنده علم الكتـ'ب » هو عبدالله بن سلام، وأنكر ذلك عكرمة والحسن وقالا: كيف يكون ذلك والسورة مكية و إسلام عبداللهبن سلام كان بعد. [٢]

و يقول السيوطى: أخرج ابن منذر عن الشعبى أنه قال: ما نزل فى عبدالله بن سلام رضى الله عنه شىء من القرآن. [٣]

و يقول أيضا: أخرج عبدالرزاق، و ابن منذر عن الزهرى أنه قال : كان عمربن الخطاب شديدا على رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم فانطلق يوما حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم و هو يصلى فسمعه و هو يقرأ: «و ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون (و حملوا نبوتك على العلوم المكتسبة والحصولية). حتى بلغ ـ الظالمون» و سمعه و هو يقرأ: «و يقول الذين كفروا لست مرسلا إلى قوله ـ علم الكتـ'ب»، فانتظره حتى سلم فأسرع فى أثره فأسلم. [٤]

١ـ «الدر المنثور» ج ٤، ص ٦٩، و «ينابيع المودة» ص ١٠٤، باب ٣٠ .
٢ـ «الاستيعاب» ج ٣، ص ٩٢٢ .
٣ـ «الدر المنثور» ج ٤، ص ٦٩.
٤- نفس المصدر .

و الجميع يعلم أن إسلام عمر كان فى السنة السادسة من البعثة فى مكة، و هذا دليل على أن الآية كفى' بالله شهيدا نزلت فى مكة لافى المدينة، ولا علاقة لها بعبدالله بن سلام. فاتضح من جميع ماقلناه مفصلا أن آيات سورة الرعد كلها كسلسلة متصلة الحلقات، و هذه الآية ناظرة إلى الآية الاولى و الآية التاسعة عشرة، و جواب المشركين فى الآية السابعة والآية السابعة و العشرين بحيث إن ثمرة السورة تقتطف بهذه الآية . و كم هو سقيم و ليس فى محله أن نقول بأن السورة تنزل فى مكة، و أن هذه الآية التى هى ثمرة السورة و اختتامها تتأخر عنها إلى أجل غير مسمى، ثم تنزل فى المدينة بعد سنين من نزول السورة فى مكة! و العجيب إن البعض من أمثال أبى السعود .[١] و ابن تيمية، [٢] يدعى أن الآية مدنية بالاتفاق .

الاحتمال السادس يقول إن المراد بالكتاب هو القرآن المجيد والمراد بالعالم به هو العالم بالقرآن، و هذا هو قول الاصم. [٣] و المعنى أن من تحمل معانى هذا القرآن، و اختص بعلمه شاهد على أن القرآن من الله وأنى رسول الله . و فى هذه الحالة يصبح آخر السورة ناظرا إلى أولها ، و هو قوله : تلك ءايات الكتـ'ب والذى أنزل إليك من ربك الحق . و كذلك فإنه يؤكد الآية الواقعة فى وسطها، و هى قوله : أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى. و هذه الشهادة من العالم بالقرآن المجيد حيال المشركين هى ـ فى الحقيقة ـ تأييد من الله لاحقية الكتاب و الرسالة فى مقابل المشركين الذين قالوا مرتين : لولا أنزل عليه ءاية من ربه . و قالوا

١ـ «تفسير أبى السعود» ج ٣، ص ٢٣٥.
٢-تفسير «الميزان» ج ١١، ص ٤٢٥
٣ـ «تفسير الفخر الرازىّ» ج ١٩، ص ٧٠.

هنا: لَسْتَ مُرْسَلاً.

و لقد ذكر الجواب هنا على أقوال الجميع، بأنّ الله ربّى شهيد على رسالتى فى هذا القرآن المعجز، و أنّ العالِم بالقرآن المعجزة شهيد عليها أيضاً. و هذا أفضل شاهد على مكّيّة الآية، و هو يؤيّد و يؤكّد مضمون الروايات الجمّة المأثورة عن الشيعة و السنّة فى هذا المجال، و التى تنصّ على أنّ المراد بمن عنده علم الكتاب هو أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وبعده أئمّة أهل البيت عليهم السلام .

فعن طريق العامّة رواه الثعلبىّ بإسناده عن محمّد بن الحنفيّة، [1] و أبو نعيم الإصفهانىّ بإسناده عن محمّد بن الحنفيّة. [2] و عن طريق الخاصّة، رواه الصفّار فى «بصائر الدرجات» بإسناده عن أبى حمزة الثمالىّ، [3] عن الإمام الباقر عليه السلام، و كذلك رواه الصفّار بإسناده عن الفضيل بن يسار، عن الإمام الباقر عليه السلام. [4] و رواه العيّاشىّ أيضاً فى تفسيره عن الفضيل بن يسار، عن الإمام الباقر عليه السلام، [5] أنّه قال: هَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِى عَلِىِّ بْنِ أبىطَالِب، و يضيف فى الروايتين الاخيرتين: وَ أنّهُ عَالِمُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ النَّبىِّ. فهذه الروايات الخمس كلّها تبيّن أنّ الآية نزلت فى على بن أبى طَالب . و فى الروايتين الاخيرتين إضافة ، و هى : أنّ على بن أبى طالب عالم

١ـ «غاية المرام» ص ٣٥٧، الحديث الثانى؛ و «ينابيع المودّة» ص ١٠٢، باب ٣٠ ؛ و«شواهد التنزيل» ص ٣٠٨ .

٢ـ «غاية المرام» ص ٣٥٧، الحديث الخامس؛ و «تفسير أبى الفتوح» ج ٦ ، ص ٥٠٤ ؛ و «ينابيع المودّة» ص ١٠٢، باب ٣٠.

٣ـ «غاية المرام» ص ٣٥٨، الحديث السادس؛ و «الميزان» ج ١١، ص ٤٢٧ .

٤ـ «غاية المرام» ص ٣٥٨، الحديث التاسع .

٥- «غاية المرام» ص ٣٥٨، الحديث السادس مكرّر؛ و «ينابيع المودّة» ص ١٠٢ ؛ باب ٣٠ .

هذه الامة بعد النبی.

و روی الصفار أیضا بإسناده عن جابر، و یرید بن معاویة، و الفضیل بن یسار عن الإمام الباقر علیه السلام. وکذلک روی بإسناده عن عبداللهبن بکیر، وعبدالله بن کثیر الهاشمی عن الإمام الصادق علیه السلام. و روی أیضا بإسناده عن سلمان الفارسی، عن أمیرالمؤمنین علیه السلام . أن الآیة نزلت فی أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام .[1]

و روی القندوزی الحنفی عن الثعلبی و إبن المغازلی بإسنادهما عن عبدالله بن عطا أنه قال: کنت مع محمد الباقر رضی الله عنه فی المسجد فرأیت ابن عبدالله بن سلام، فقلت : هذا ابن الذی عنده علم الکتاب؟ قال: إنما ذلك علی بن أبی طالب.[2]

و روی الحاکم الحسکانیّ بإسناده عن أبی سعید الخدریّ أنّه قال : سَأَلْتُ رَسُولَ الله صلّی الله علیه [وآله] و سلّم عَنْ قَوْلِ الله تَعَالَی: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتَـٰبِ. قالَ:ذَاکَ أَخِی علی بْنُ أَبی طَالِب.[3]

و روی أیضاً بإسناده عن أَبی صالح قوله عزّ وجلّ: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتَـٰبِ. قَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَیْش: هُوَ علی وَ لَکِنَّا لاَ نُسَمِّیهِ .[4]

و روی أَیضاً عن أبی صالح نفسه فی قوله تعالی: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتَـٰبِ. قَالَ : علی بْنُ أَبی طَالِبٍ ، کَانَ عَالِماً بِالتَّفسِیرِ وَالتَّأوِیلِ وَالنَّاسِخِ

۱ـ تفسیر «المیزان» ج ۱ ۱، ص ۴۲۷.

۲ـ «ینابیع المودّة» ص ۱۰۲، باب ۳۰؛ و «غایة المرام» ص ۳۵۷ الحدیث الاوّل ؛ و «شواهد التنزیل» للحسکانیّ ص ۳۰۸ ؛ و «تفسیر أبی الفتوح» ج ۶، ص ۵۰۴؛ و تفسیر «المیزان» ج ۱۱، ص ۴۲۷ .

۳ـ «شواهد التنزیل» ص ۳۰۷ .

٤ ـ «شواهد التنزیل»، ص ۳۱۰ .

وَالمَنْسُوخِ وَالْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ.[١] و روى القندوزىّ الحنفىّ مثلها أيضاً عن ابن‌عبّاس .[٢]

و روى ابن شهرآشوب عن طريق الخاصّة و العامّة، عن محمّد بن مسلم و أبى حمزة الثمالىّ، و جابر بن يزيد، عن الإمام الباقر عليه السلام و عن على بن فضّال، و الفضيل بن يسار، و أبى بصير عن الإمام الصادق عليه‌السلام، و عن أحمد بن محمّد الحلبىّ، و محمّد بن فضيل، عن الإمام الرضا عليه السلام ، و كذلك عن موسى بن جعفر، و زيد بن على و محمّدبن الحنفيّة، و سلمان الفارسىّ، و أبى سعيد الخدرىّ، و إسماعيل السدّىّ أنّهم قالوا فى قوله تعالى: قُلْ كَفَى' بِاللَهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَـٰبِ، هُوَ على بْنُ أبى طَالِب.[٣]

و روى ابن شهرآشوب أيضاً عن الثعلبىّ فى تفسيره بسنده عن عبدالله بن عطا قال كنت مع محمّد الباقر فى المسجد فرأيت ابن عبدالله ابن‌سلام فقلت: هذا ابن الذى عنده علم الكتاب قال: إنّما ذلك على‌ابن أبى طالب. و روى أنّه «سُئل سعيد بن جبير: و من عنده علم الكتاب ، عبدالله‌بن سلام؟ قال: لا، و كيف و هذه السورة مكّيّة. و عن ابن عبّاس قال : من عنده علم الكتاب إنّما هو على. لقد كان عالماً بالتفسير و التأويل و الناسخ والمنسوخ . و روى عن ابن الحنفيّة قوله: عند أبى أميرالمؤمنين على صلوات الله عليه علم الكتاب الاوّل و الآخر. رواه النطنزىّ فى « الخصائص » عن طريق العامّة ما رواه الثعلبىّ بطريقين فى معنى : و من عنده

١ـ «شواهد التنزيل»، ص ٣١٠.

٢ـ «ينابيع المودّة» باب ٣٠، ص ١٠٤.

٣- «غاية المرام» ص ٣٥٧، الحديث الثالث؛ و نقله صاحب «ينابيع المودّة» باب ٣٠ ص ١٠٣ عن «مناقب» ابن شهرآشوب؛ و تفسير «البرهان».

علم الكتاب. [١]

و قال الشيخ على بن يونس النباطىّ العامّىّ فى كتاب «الصراط المستقيم»: قال فى تفسير الثعلبىّ عن ابن عطا: قال: رأيتُ ابن‌عبدالله بن سلام، فقلتُ: هذا الذى عند أبيه علم الكتاب؟ قال: إنّما ذلك عند على بن أبى طالب عليه السلام و نحوه روى أبو نعيم الاصفهانىّ عن محمّد بن الحنفيّة بطريقين. ثمّ قال الثعلبىّ: و الرواية منسوبة إلى ابن عمر، إلى جابر، إلى أبى هريرة، إلى عائشة.[٢] و روى الفقيه ابن المغازلىّ الشافعىّ بإسناده عن على بن حابس، قال: دخلت أنا وأبو مريم على عبدالله بن عطا قال أبو مريم (لابن عطا): حدّث عليّاً (بن حابس) الحديث الذى حدّثتنى عن أبى جعفر (الباقر) عليه السلام. قال (ابن عطا): كنت عند أبى جعفر (الباقر) عليه السلام جالساً إذ مرّ عليه ابن عبدالله بن سلام. قلتُ: جُعلت فداك، هذا ابن الذى عنده علم الكتاب؟ قال: لا، ولكنّه صاحبكم عليّ‌بن أبى‌طالب، الَّذِى نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنْ كِتَابِ الله عزّ وجلّ: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ. أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ. إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَ رَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا. [٣]

و روى محمّد بن يعقوب الكلينىّ بسنده عن بُرَيد بن معاوية ،[٤]

١ـ «غاية المرام» ص ٢٥٧ ذيل الحديث الثالث؛ و «ينابيع المودّة» باب ٣٠، ص ١٠٣.
٢ـ «غاية المرام» ص ٣٥٧، الحديث السادس.
٣ـ «غاية المرام» ص ٣٥٧. الحديث الرابع.
٤ـ «غاية المرام» ص ٣٥٧، الحديث الاوّل؛ و «الميزان» ج ١١، ص ٤٢٧.

وكذلك روى العيّاشيّ فى تفسيره عنه،[1] و روى الصفّار فى «بصائر الدرجات» بسنده عنه أيضاً ٢ ، قال: قُلْتُ لاَبى جَعفَر عَلَيهِ السَّلاَمُ: قُلْ كَفَى' بِاللَهِ شَهيدًا بَيْنى وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَـ'ب. قَالَ: إيّانَا عَنى، وَعَلِيٌّ أَفْضَلُنَا وَأَوَّلُنَا وَ خَيْرُنَا بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَهُ عَلَيهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ.

و روى الشيخ الصدوق بإسناده المتّصل عن عطيّة العوفىّ، عن أبى سعيد الخُدرىّ أنّه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ الله عَنْ قَوْلِ اللَهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَـ'ب. قَالَ:ذَاكَ وَصِىُّ أَخِى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، فَقُلتُ لَهُ: يَا رَسُولَ الله، فَقَولُ الله: قُلْ كَفَى' بِاللَهِ شَهِيدًا بَيْنى وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَـ'ب.؟

قال:ذَاكَ أَخى عَلىٌّ بنُ أَبى طَالِبٍ .[3]

و روى محمّد بن يعقوب الكلينىّ بإسناده عن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن سدير أنّه قال: كُنْتُ أَنَا وَ أَبُو بَصِيرٍ وَ يَحْيَى الْبَزّازُ وَ دَاوُدُ بْنُ كُثَيْرٍ فِى مَجْلِسِ أَبى عَبْدِالله عَلَيهِ السَّلاَمُ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا وَ هُوَ مُغْضِبٌ، فَلَمّا أَخَذَ مَجْلِسَهُ قَالَ : يَا عَجَبَاً لاِقْوَامٍ يَزْعَمُونَ أَنّا نَعْلَمُ الْغَيْبَ ، لاَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ

١ـ «غاية المرام» ص ٣٥٨ ، الحديث الثالث عشر؛ و تفسير «مجمع البيان» ج ٣ ، ص ٣٠١ .

٢ـ «غاية المرام» ص ٣٥٨، الحديث الثامن؛ و «ينابيع المودّة» باب ٣٠، ص ١٠٣؛ وذكره فى «مجمع البيان» ج ٣، ص ٣٠١

٣ـ «غاية المرام» ص ٣٥٨ الحديث الثانى عشر؛ و «ينابيع المودّة» باب ٣٠، ص ١٠٣ مرفوعاً.

إِلاّاللَـهُ عزّوَجَـلَّ. لَقَـدْ هَمَمْـتُ بضَـربِ جَـارِيَتِى فَـهَرَبَتْ مِنِّـى، فَمَـا عَلِمْـتُ فِـى أىِّ بُيُـوتِ الـدَّارِ هِـىَ. قَـالَ سَـدِيرٌ، فَلَمّـاأَ نْ قَـامَ مِـنْ مَجْلِسِـهِ وَ صَـارَ فِـى مَنْزِلِـهِ، دَخَلْـتُ أَنَـا وَ أَبُـو بَصِـيرٌ وَمُيَسِّـرٌ وَ قُلْنَـا: جَعَلَنَـا اللَـهُ فِـدَاكَ، سَـمِعْنَا وَ أَنْـتَ تَقُـولُ كَـذَا وَ كَـذَا فِـى أَمْـرِ جَـارِيَتِكَ وَ نَحْـنُ نَعْلَـمُ أَنـَّكَ تَعْلَـمُ عِلْمـاً كَثِـيراً وَلاَ نَنْسَـبُكَ إلى عِلْـمِ الْغَيْـبِ! قَـالَ: فَقَـالَ: يَـا سَـدِيرُ أَمَـا تَقْـرَأُ الْقُـرآنَ؟ قُلْـتُ: بَلَـى. قَـالَ: فَـهَلْ وَجَـدْتَ فِيمَـا قَـرَأْتَ مِـنْ كِتَـابِ اللَـهِ عَزَّوَجَـلَّ: قَـالَ الَّـذِى عِنْـدَهُ عِلْـمٌ مِـنَ الْكِتَـابِ[1] أَنَـا آتِيـكَ بـهِ قَبْـلَ أَ ن يَّرْتَـدّ إِلَيْـكَ طَرْفُـكَ؟ قَـالَ: قُلْـتُ: جُعِلْـتُ فِـدَاكَ قَـدْ قَرَأْتُـهُ. قَـالَ: فَـهَلْ عَرَفْـتَ الرَّجُـلَ وَ هَـلْ عَلِمْـتَ مَـا كَـانَ عِنْـدَهُ مِـنْ عِلْـمِ الْكِتَـابِ؟ قَـالَ: قُلْـتُ: أَخْـبرنى بـهِ. قَـالَ: قَـدْرُ قَطـرَةٍ مِـنْ مَـاءِ الْبَحْـرِ الاْخْضَـرِ، فَمَـا يَكُـونُ ذَلِـكَ مِـنْ عِلْـمِ الْكِتَـابِ؟ قَـالَ: قُلْـتُ: جُعِلْـتُ فِـدَاكَ: مَـا أَقَـلَّ هَـذَا! فَقَـالَ: يَـا سَـدِيرُ، مَـا أَكْـثَرَ هَـذَا أَنْ يَنْسِـبَهُ اللَـهُ عزَّوَجَـلَّ إل؟ الْعِلْـمِ الَّـذِى أُخْـبِرُكَ بهِ. يَا سَـدِيرُ، فَـهَلْ وَجَـدْتَ مَـا قَـرَأْتَ فِـى كِتَـابِ اللـه عَزَّوَجَـلَّ أَيضـاً: قُـلْ كَفَـى بِاللَـهِ شَـهِيدًا بَيْنِـى وَ بَيْنَكُـمْ وَ مَـنْ عِنْـدَهُ عِلْـمُ الْكِتَـابِ؟ قَـالَ: قُلْـتُ: قَرَأْتُـهُ جُعِلْـتُ فِـدَاكَ. قَـالَ: فَمَـنْ عِنْـدَهُ عِلْـمُ الْكِتَـابِ كُلِّـهِ أَفْـهَمُ أَمْ مَـنْ عِنْـدَهُ عِلْـمُ الْكِتَـابِ بَعْضِـهِ؟ قُلْـتُ: لاَ، بَـلْ مَـنْ عِنْـدَهُ عِلْـمُ الْكِتَـابِ كُلِّـهِ[2]. قَـالَ: فَـأَوْمَـى

١ـ يعـنى آصـف بـن برخيـا وصـىّ و وزيـر سـليمان عليـه السـلام، و ذلـك حـين دعـا سـليمانُ بلقيـس إلى الإسـلام هـى وقومـها و إلى عـدم الاسـتعلاء عليـه و أن يـأتوه مسـلمين، فكـان ذات يـوم جالسـاً فى مجلسه فقال لمـن حولـه مـن الجـنّ المسـخّرين لـه: مـن يـأتينى بعرشـها قبـل أن يـأتونى مسـلمين؟ قـال: يَـا أَيُّـهَا الْمَـلاَ أَيُّكُـمْ يَّـأْتِينِى بعَرْشِـهَا قَبْـلَ أَ ن يَـأْتُونِى مُسْـلِمِينَ * قَـالَ عِفْرِيـتٌ مِّـنَ الْجِـنِّ أَنَـا ءَاتِيـكَ بـهِ قَبْـلَ أَ ن تَقُـومَ مِـن مَّقَـامِكَ وَ إِنِّـى عَلَيْـهِ لَقَـوِىٌّ أَمِـينٌ * قَـالَ الَّـذِى عِنـدَهُ عِلْـمٌ مِّـنَ الْكِتَـابِ أَنَـا ءَاتِيـكَ بـهِ قَبْـلَ أَ ن يَرْتَـدَّ إِلَيْـكَ طَرْفُـكَ فَلَمَّـا رَءَاهُ مُسْـتَقِرًّا عِنـدَهُ قَـالَ هَـذَا مِـنْ فَضْـلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ (الآيات ٣٨ إلى ٤٠، من السورة ٢٧: النمل.)

٢ـ حيـث أن نسـبتهما إلى بعضـهما كنسـبة البحـر الاخضـر (المحيـط الاطلسـىّ) إلى

بِيَدِهِ إلى صَدْرِهِ وَقَالَ: عِلْمُ الْكِتَابِ وَاللَهِ كُلِّهِ عِنْدَنَا، عِلْمُ الْكِتَابِ وَاللَهِ كُلِّهِ عِنْدَنَا.

وَرَوَى هَذَا الْحَدِيثَ أَيْضاً الصَّفَّارُ فِى «بصائر الدرجات» بِتَغْيِيرٍ يَسِيرٍ بِزِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ. [1]

و روى الصفّار هذا الحديث فى «بصائر الدرجات» باختلاف يسير فى اللفظ، و ذكره القندوزىّ الحنفىّ مختصراً . [2]

و روى القندوزىّ أيضاً عن عمر بن أُذينه، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : قَالَ أميرالمؤمنينَ صلوات الله عليه: أَلاَ إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِى هَبَطَ بِهِ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مِنَ السَّمَاءِ إلى الأَرْضِ وَ جَمِيعَ مَا فُضِّلَتْ بِهِ النَّبِيُّونَ إلى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ فِى عِتْرَةِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَهُ عَلَيهِ وَعَلَيْهِم. [3]

و روى الشيخ الطبرسىّ فى «الاحتجاج» بسنده عن الوليد السمّان أنّه قال: قَالَ لى أَبُو عَبْدِالله عليه السّلام: مَا يَقُولُ النَّاسُ فِىأُولِى الْعَزْمِ وَ عَنْ صَاحِبِكُمْ ـ يَعْنى أَميرُالْمُؤمِنينَ ـ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا يُقَدِّمُونَ عَلى؟أُولِى الْعَزْمِ أَحَداً. فَقَالَ:إِنَّ اللَهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى قَالَ عَنْ مُوسَى: «وَ كَتَبْنَا لَهُ فِى الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ مَوْعِظَةً» وَ لَمْ يَقُلْ كُلَّ شَىْءٍ. وَ قَالَ عَنْ عِيسَى: « وَ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ». وَ لَمْ يَقُلْ كُلَّ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ. وَ قَالَ عَنْ صَاحِبِكُمْ ـ يَعْنى أَميرالْمؤمِنينَ عَلَيهِ السَّلاَمُ ـ : «قُلْ كَفَى' بِاللَهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَا'بِ »، فَقَالَ اللَهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَلاَ رَطْبٍ

القطرة الواحدة.

١ـ «غاية المرام» ص ٣٥٧ الحديث الثانى مكرّر. و نقل ذيل هذا الحديث فى « مجمع البيان » ج ٣، ص ٣٠١ ؛ و فى « الكافى » كتاب الحجّة ج ١، ص ٢٥٧.

٢و٣ـ «ينابيع المودّة» باب ٣٠، ص ١٠٣.

وَلاَ يَأْبس إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ»، وَ عِلْمُ هَذَا الْكِتَابِ عِنْدَهُ.[١] و ذكر القندوزىّ الحنفىّ هذه الرواية باختصار.[٢]

و روى على بن إبراهيم فى تفسيره عن عمر بن أُذينة أنّه قال: قال أبو عبدالله عَلَيهِ السَّلاَمُ: «الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» هُوَ أَمِيرُالمؤمِنِينَ عَلَيهِ السَّلاَمُ. وَ سُئِلَ عَن الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِن الْكِتَابِ أَعْلَمُ أَمْ مَن الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، فَقَالَ: فَأَعْلِمُ كَانَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ إِلاّ بِقَدْرِ مَا تَأْخُذُ الْبَعُوْضَةُ بِجَنَاحِهَا مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ. قَالَ أَمِيرُالْمُؤمِنِينَ: أَلاَ إِنَّ الْعِلْمُ الَّذِى هَبَطَ بِهِ آدَمُ مِنَ السَّمَاءِ إِلى الأَرْضِ وَ جَمِيعَ مَا فُضِّلَتْ بِهِ النَبِيُّونَ إِلى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ فِى عِتْرَةِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ.[٣] و ذكر القندوزىّ الحنفىّ هذه الرواية باختصار.[٤]

إذن أتّضح من مجموع ما تقدّم أنّه لاشكّ و لا ترديد أنّ المراد من الذى عنده علم الكتاب فى الآية المشار إليها هو أميرالمؤمنين عليّبن أبى طالب عليه السلام و أنّ الاحتمالات الأُخرى المطروحة واهية و خاطئة. وكيف يمكن أن لايكون المعنىّ بهذه الآية هو أميرالمؤمنين الذى كان ملازماً للنبىّ الاكرم منذ بداية الرسالة فى الليل و النهار. و فى الحلّ والترحال، و فى الحرب و السلم، ويكون عبداللهبن سلام الذى أسلم فى المدينة بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة النبويّة؟!

ومضافاً إلى ذلك كلّه فإنّ عبدالله بن سلام، كما تفيده ترجمته

١ـ «غاية المرام» ص ٣٥٨، الحديث الثامن عشر.

٢ـ «ينابيع المودّة» باب ٣٠، ص ١٠٣.

٣ـ «غاية المرام» ص ٣٥٨، الحديث الثالث.

٤ـ «ينابيع المودّة» باب ٣٠، ص ١٠٣.

لم يبايع أميرالمؤمنين و لم يقرّ بإمامته، فكيف يقرنه رسول الله مع الله فى الشهادة على رسالته ؟

و لقد عدّة البرقىّ فى رجاله من صحابة النبىّ.[١] و جعله ابن داود فى رجاله فى الباب الاوّل،[٢] أى فى المعتمدين و الموثّقين، مع أنّ صاحب «تنقيح المقال» يقول: عدّ ابن داود كثيراً من الناس فى الباب الاوّل، ثمّ جرّحهم فى الباب الثانى الخاصّ بالضعفاء و المجهولين.[٣]

ويقول أيضاً: و حال عبدالله بن سلام عندى مجهول و هذا يعنى أنّه لاإعتبار لرواياته. و عدّه المشايخ الثلاثة فى علم الرجال أيضاً من أصحاب رسول الله و اصفين له بالإسرائيلىّ، ثمّ الانصارىّ و قالوا أنّه كان حليفاً لبنى القينقاع، و هو من ولد يوسف بن يعقوب. و كان اسمه فى الجاهليّة : الحصين، فسمّاه النبىّ حين أسلم عند قدومه المدينة مهاجراً بعبدالله وتوفّى سنة ثلاث و أربعين على ما أرّخه أبو أحمد العسكرىّ. ثمّ يقول : ويمكن استفادة سوء حاله ممّا رواه ابن أبى الحديد فى «شرح نهج البلاغة» . يقول ابن أبى الحديد: إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام لمّا بويع بعد عثمان أرسل خلف جمع و أمرهم بالبعد، فقيل له: ألاَ تبعث إلى حسّان بن ثابت وكعب بن مالك، و عبدالله بن سلام ؟ فقال : لاَ حاجَةَ لَنَا فِيمَنْ لاَ حاجَةَ لَهُ فِينَا ـ[٤] انتهى.

و يقول العلاّمة الشيخ محمّد تقى الشوشترىّ بعد نقل كلام أميرالمؤمنين عليه السلام فيه عن ابن أبى الحديد : ذكر الطبرىّ

١ـ «رجال» البرقىّ، ص ٢.

٢ـ «رجال» ابن داود، ص ٢٠٥.

٣و٤ـ «تنقيح المقال» ج ٢، ص ١٨٥.

والمسعودىّ أيضاً كلام أميرالمؤمنين عليه السلام فيه. [١]

و أمّا فى رجال العامّة، فلم نعثر على ترجمة له فى طبقات ابن سعد و«ميزان الاعتدال» للذهبىّ، إلاّ أنّ ابن عبدالبرّ ذكر ترجمته، إلى أن قال: قال بعض المفسّرين فى قول الله عزّوجلّ: وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنى إِسْرَٰءِيلَ على مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرتُمْ، و قوله: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَٰبِ هو عبدالله ابن سلام. ثمّ قال: و أنكر ذلك عكرمة و الحسن و قالا: كيف يكون ذلك والسورة مكّيّة، وإسلام عبدالله بن سلام كان فى المدينة. ثمّ قال: قال أبوعمر: و كذلك سورة الاحقاف مكّيّة. بما فيها من آية وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِى إِسْرَٰءِيلَ فلا اعتبار للقولين جميعاً. [٢]

وقال إبن الاثير الجزرىّ: لمّا أُريد قتل عثمان، جاء عبدالله بن سلام، فقال له عثمان: ما جاء بك؟ قال: جئت فى نصرك. قال: اخرج إلى الناس، فاطردهم عنّى، فإنّك خارجٌ خير إلىّ منك داخل. فخرج عبدالله إلى الناس، فقال: أيّها الناس، إنّه كان اسمى فى الجاهليّة فلان، فسمّانى رسول الله: عبدالله، و نزلت فىّ آيات من كتاب الله عزّ وجلّ: وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنى إِسْرَٰءِيلَ على مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرتُمْ، و الآية: قُلْ كَفَى بِالله شَهِيدًا بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَٰبِ.

« أيّها الناس، إنّ لله سيفاً مغموداً، و إنّ الملائكة قد جاورتكم فى بلدكم هذا الذى نزل فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فالله الله فى هذا الرجل أن تقتلوه، فوالله لئن قتلتموه، لتطردنّ جيرانكم الملائكة وليسلنّ سيف الله المغمود عنكم، فلا يغمد إلى يوم القيامة. قال الناس:

١ـ «قاموس الرجال» ج ٥، ص ٤٧١.

٢ـ «الاستيعاب» ج ٣، ص ٩٢٢

اقتلوا عثمان اليهودىّ، فقتلوا عثماناً». [١]

يظهر لنا من هذا كلّه أنّ عبدالله بن سلام كان يعتبر نفسه عالماً بالكتاب، أى: التوراة، و يرى أنّ الآية المذكورة نزلت فيه، كما قال السيوطىّ: أخرج ابن جرير، وابن مردويه عن طريق عبدالملك أنّ محمّدبن يوسف بن عبدالله بن سلام، وهو حفيد عبدالله، قال: قال عبدالله بن سلام : قَدْ أنزَلَ الله فِى القُرآنَ : قُلْ كَفَى' بِالله شَهِيدًا بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَـٰبِ. [٢]

و قال السيوطىّ أيضاً: روى ابن مردويه عن طريق عبدالملك، عن جُندب أنّه قال: جَاءَ عَبْدُالله بْنُ سَلاَمٍ حَتّى أَخَذَ بِعِضَادَتَى بَابَ الْمَسْجِدِ ثُمَّ قَالَ: أُنْشُدُكُمْ بالله، أتَعْلَمُونَ أنِّى أنَا الَّذِى أُنْزِلَتْ فِيهِ: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَـٰبِ؟ قالوا: اللَهُمَّ نَعَم. [٣]

فى ضوء ذلك، فإنّ عبدالله بن سلام يعتبر الآية نازلة فيه، وكذلك يعتبرها ابنه و حفيده. و كما روينا سابقاً فإنّ الإمام الباقر عليه السلام فنّد ادّعاء ابن عبدالله بن سلام أمام عبدالله بن عطا، و قال إنّما ذلك على بن أبى طالب، علماً أنّ بعض الذين قالوا بنزول الآية فيه، مثل مجاهد، إنّما قالوا بذلك من عندهم، لا روايةً عن رسول الله.و قلنا فيما تقدّم إنّ الشعبىّ قال: ما نزل فى عبدالله بن سلام شىء من القرآن. و أنكر سعيد بن جبير هذه الدعوى بشدّة، و قال: و كيف و هذه السورة مكّيّة؟

مضافاً إلى ذلك، فإنّ معاوية بن أبى سفيان عندما التقى قيس بن سعد بن عُبادة فى المدينة ، و قال قيس : وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَـٰبِ على [بن

١ـ «اسد الغابة» ج ٣، ص ١٧٦.

٢و٣ـ «الدرّ المنثور» ج ٤، ص ٦٩.

أبى طالب] ، قال معاوية بن أبى سفيان هو عبدالله بن سلام، قال قيس أنزل الله : إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وِ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ، و أنزل أَفَمَنْ كَانَ عَلَى' بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ. فالهادى من الآية الاُولى، و الشاهد من الثانية على بن أبى طالب لانّه نصبه صلّى الله عليه وآله يوم الغدير، و قال: مَنْ كُنْتَ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَولاَهُ. و قال: أَنْتَ مِنّى بمَنْزلَةِ هَارونَ مِنْ مُوسَى إِلاّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِى، فسكت معاوية، و لم يستطع أن يردّها. [1]

إذَن، لايبقى لَىّ مجال للشكّ لَنّ عبدالله بن سلام غير مقصود فى هذه الآية، فهو إمّا يعتبر نفسه عالماً بالتوراة فرأى هذه الآية، أعنى: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَـ'ب، فاستنبط معنى التوراة من الكتاب خطأً، واعتبر نفسه مصداق الآية، و أنّها نزلت فيه، لاقدّر الله ، و أمّا أنّه تعمّد فى ادّعاء هذه المنزلة و هو يعلم أنّ الكتاب هذا هو القرآن المجيد، و أنّ الذى عنده علمه هو على بن أبى طالب، والعلم عندالله . بَيدَ أنّه مهما كان فإنّ هذا الادّعاء خطأ بحت، كما اتّضح لنا من خلال مجموع البحث.

و أمّا لَنّ هذه الروايات المذكورة منحولة و ملفّقة من قبل الامويّين وأعداء أميرالمؤمنين عليه السلام كما نلمس ذلك فى نقاش معاوية مع قيس بن سعد بن عبادة، لانّ معاوية كان يهتمّ كثيراً فى تحريف الآيات و الروايات الواردة فى أميرالمؤمنين عليه السلام و حجب فضائله و مناقبه من خلال إلصاقها بشخص آخر. و لم يجد هنا شخصاً مناسباً غير عبدالله بن سلام فزعم نزول الآية فيه. و هو ـ طبعاً ـ ما كان يستطيع أن ينسب هذه الفضية إلى أبى سفيان أو إلى نفسه، و هما ممّن سلّ سيفه

١ـ «ينابيع المودّة» باب ٣٠، ص ١٠٤ نقلاً عن كتاب «سليم بن قيس الهلالىّ» و أصل هذه الرواية موجود فى كتاب سليم بالتفصيل من ص ١٩٩ إلى ٢٠١.

و أصلته بوجه الإسلام حتّى حان فتح مكّة. كما أنّ عمر و أبابكر لم يكونا عالمين بالكتاب، لذلك فلم يكن هناك طريق أقرب و أيسر من تحريف معنى الكتاب بالتوراة بدلاً عن القرآن، والذى عنده علم الكتاب بعبدالله بن سلام بدلاً عن أميرالمؤمنين عليه السلام.

و على الرغم من أنّ هذا التحريف لم يَخْفَ على الباحثين والمحقّقين، و أنّ الشعبيّ، و الحسن البصرىّ، و سعيد بن جبير، و حتّى عِكْرَمَة نفسه الذى كان عدوّاً لامير المؤمنين، كانوا يرون أنّ إلصاق هذه الفضيلة بعبدالله بن سلام أمر عار من الصحّة والصواب، بَيدَ أنّه لم يكن هناك طريق أقرب من هذا للتمويه على عامّة الناس الذين لم يستوعبوا الخصوصيّات المتعلّقة بمكّيّة السورة و إسلام عبدالله فى المدينة ، ولم يستطيعوا التفريق بين القرآن و التوراة فى هذه الآية. و ليس أمام الخصم إلاّ تحريك سوق العناد وا لعداء لاهل البيت، و لذلك نجد أنّ أعداء أهل البيت و النواصب أمثال ابن تيميّة و من لفّ لفّه أصرّوا على إلصاق هذه الآية بعبدالله بن سلام بكلّ ماأُوتوا من قوّة مخالفين بذلك هذه الروايات الجمّة والقرائن الكثيرة التى يرونها رأى العين و لم يتراجعوا عن آرائهم السقيمة وتأويلاتهم الواهية. و يتجلّى لنا فى الحقيقة هنا صدق هذه الآية المباركة فى سورة الرعد: أَفَمَن يَّعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى' إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُواْ الأَلْبَابِ.

و من المناسب هنا أن نذكر نصّاً كلام الشيخ سليمان القندوزىّ الحنفىّ المذكور فى كتاب «ينابيع المودّة» و قد نقله عن بعض المحقّقين بخصوص نزول هذه الآية فى أميرالمؤمنين على بن أبى طالب.

قال بعض المحقّقين: إنّ الله تبارك و تعالى بعث خاتم أنبيائه وأشرف رسله وأكرم خلقه بمنّه و فضله العظيم بسابق علمه و لطفه بعد أخذه العهد

و الميثـاق علـى أنبيائـه و عبـاده بمحمّـد صلّـى اللـه عليـه وآلـه بقولـه: لتؤمنـن بـه و لتنصرنّـه ـ و لمّـا فتـح اللـه أبـواب السـعادة الكـبرى و الهدايـة العظمـى برسـالة حبيبـه علـى العـرب و قريـش و خصوصـاً علـى بـنى هاشـم بقولـه تعـالى: وَ أَنْـذِرْ عَشِـيرَتِكَ الْأَقْرَبِـينَ وَ رَهْطَـكَ الْمُخْلَصِـينَ، [1] اقتضـى العقـل أن يكـون العـالم بجميـع أسـرار كتـاب اللـه لابـدّ أن يكـون رجـلاً مـن بـنى هاشـم بعـد النـبىّ صلّى اللـه عليه [وآلـه] لانّـه أقـرب إليـه مـن سـائر قريـش، و أن يكـون إسـلامه أوّلاً ليكـون واقفـاً علـى أسـرار الرسـالة و بـدء الوحـى، و أن يكـون جميـع الاوقـات عنـده بحسـن المتابعـة ليكـون خبـيراً عـن جميـع أعمالـه و أقوالـه وأن يكـون مـن طفولتـة منزّهـاً مـن أعمـال الجاهليّـة ليكـون متخلّقـاً بأخلاقـه و مؤدّبـاً بآدابه و نظيراً بالرشيد من أولاده.

فلـم توجـد هـذه الشـروط لاحـد إلاّ فى علـى بـن أبى طـالب عليه‌السـلام وأمّا عبداللـه بـن سـلام لم يسـلم إلاّ بعـد الهجـرة (إذ مضـى أكـثر مـن نصـف المـدّة علـى البعثـة النبويّـة) فلـم يعـرف سـبب نـزول السـور الـتى نزلـت قبـل الهجـرة، و لمّـا كـان حالـه هـذا، لم يعـرف حـقّ تأويلـها بعـد إسـلامه. مـع أنّ سـلمان الفارسـىّ الـذى صـرف عمـره الطويـل ثلاثمائـة و خمسـين سـنة فى تعلّـم أسـرار الإنجيـل و التـوراة و الزبـور و كتـب الانبيـاء السـابقين و القـرآن لم يكـن مـن عنـده علـم الكتـاب لفقـده الشـروط المذكـورة. فكيـف يكـون مـن عنـده علـم الكتـاب ابـن سـلام الـذى لم يقـرأ الإنجيـل، و لم توجـد فيـه الشـروط ولم يصـدر منـه مثـل مـا صـدر مـن علـى يعسـوب الديـن مـن الاسـرار و الحقـائق فى الخطبـات مثـل قولـه: سَـلُونى قَبْـلَ أَنْ تَفْقِدُونـى فَـإِنَّ بَيْـنَ جَنْبَـىَّ عُلُومـاً كَالبحَـارِ الزَّواخِـر، و مثـل ما صـدر من أولاده الائمّـة الهـداة عليهـم سلام اللـه و بركاته من المعارف

١- العبارة الثانية ليست من الآية

و الحكم فى تأويلات كتاب اللـه و أسراره؟ [١]

يقـول الشـعبىّ: مَـا أَحَـدٌ أَعْلَـمَ بِكِتَـابِ اللـه بَعْـدَ النَّبِـىِّ مِـنْ عَلِيِّبْـنِ أَبِـى طَالِبٍ عليه السّلام وَ مِنَ الصَّالِحِينَ مِنْ أَوْلَادِهِ عليهم السَّلام.[٢]

وروى عـاصم بـن أبى النُّجـود عـن عبدالرْحمـن بـن سُـلمى أنـّه قـال: مَارَأَيْتُ أَحَداً أَقْرَأَ مِنْ على بن أَبى طَالِبٍ. [٣]

وروى أبـو عبدالرّحمـن عـن ابـن مسـعود أنـّه قـال: لَـوْ كُنْـتُ أَعْلَـمُ أَحَـداً أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللـه مِنِّى لاَتَيْتُهُ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: فَعَلِىٌّ؟ قَالَ: أَوَلَمْ آتِهِ؟

فِى ضَـوء مـا تقـدّم فـإنّ أمـيرالمؤمنين علـى بـن أبى طـالب عليه‌السـلام كان أعلم الأُمّـة بعـد رسـول اللـه صلّـى اللـه عليـه وآلـه و سـلّم و الآيـة الكريمـة وَمَـنْ عِنْـدَهُ عِلْـمُ الْكِتَـابِ تنطبـق عليـه طبعـاً. و لـو كـان هنـاك فـرد مـن أفـراد الأُمّة أعلم منـه بكتـاب اللـه عنـد نـزول الآيـة فإنـّها تنطبـق عليـه. و الآن ينبغـى أن نـرى، لمـاذا ذكـر النـبىّ شـاهداً آخـر مـع اللـه، و مـا هـى قيمـة شـهادته فى مقـابل شـهادة اللـه؟ لا جَـرَمَ إنّ ذلـك الشـاهد ينبغـى أن تكـون شـهادته قريبـة مـن شـهادة اللـه مـن حيـث الـوزن و الرصانـة، و هـو أمـيرالمؤمنين سـند القـرآن وكفيلـه وحفيظـه. القـرآن كـلام لفظـىّ، و هـو كـلام اللـه الفعلـىّ، هـو حقيقـة القـرآن، و القـرآن مـترجم لوجـوده، و كلاهمـا حقيقـة واحـدة ظـهرت بشـكلين: لفظـى و فعلـى. و همـا مترابطـان لايقبـل أحدهمـا الانفصـال عـن الآخـر. و فى الحقيقـة أنّ رسـول اللـه، مضافـاً إلى إقامتـه شـهادة اللـه اللفظيّـة المكتوبـة فى القـرآن المجيـد عـل؟ رسـالته أمـام المشـركين، فإنـّه يـأتى بشـاهد آخـر هـو مـركز إشـعـاع الانـوار الإلهيّـة ، و مظهـر الاسمـاء الإلهيّـة ، و الـعـارف بـكتـاب

١ـ «ينابيع المودّة» باب ٣٠، ص ١٠٤.

٢ـ «مجمع البيان» ج ٣، ص ٣٠١

التكوين و التشـريع. و مصـدر هذيـن الشـاهدين هـو كـلام رسـول اللـه الـذى نقلـه الشـيعة و السـنّة فى روايـات متواتـرة، و هـو قولـه: إِنِّـى تَـارِكٌ فِيكُـمْ الثَّقَلَيْـن : كِتَـابَ اللـه، وَ عِـتْرَتِى أَهْـلَ بَيْتِـى وَ لَـنْ يَفْتَرقَـا حَتّـى يَـرِدَا علـى الْحَـوْضَ مَـا إِنْ تَمَسَّـكْتُمْ بـهِمَا لَـنْ تَضِلُّـوا بَعْـدِى أَبَـداً.[1] إذ إنـّه يمكـن أن نجعـل هذاالحديـث مفسّـراً للآيـة المذكـورة، و يمكـن أن نسـتدلّ بالآيـة علـى اقـتران الإمـام بكتـاب اللـه.

و يجـدر التنويـه بـأنّ الآيـة تليـت فى بعـض القـراءات الشـاذّة وَ مِـنْ عِنْـدَهُ عِلْـمُ الْكِتَـابِ أو وَ مِـنْ عِنْـدَهُ عُلِـمَ الْكِتَـابُ كمـا نقـل السـيوطىّ ذلـك.[2] إلاّ أنّ مـن الطبيعـىّ أنّ هـذه قـراءة شـاذّة لايوثـق بهـا فى مقـابل جميـع القـراءات، و مضافـاً إلى ذلـك فإنـّها لاتحمـل موضوعـاً سلسـاً مـن حيـث المعـنى إذ يقـول النـبىّ أنّ اللـه شـهيد بيـنى و بينكـم، و مِـنْ عِنْـدِهِ عُلِـمَ الكِتـاب. و علـى الرغـم مـن أنّ هـذا المعـنى فى حـدّ نفسـه صحيـح، بَيـدَ أنّ هـذه الجملـة بوصفـها تعريفـاً لله شـاهداً فى مقابل مشركى قريش تفتقد العذوبة و الظرافة.

١ـ نقـل أحمـد بـن حنبـل هـذا الحديـث عـن زيـد بـن ثـابت بطريقـين صحيحـين، الاوّل فى أوّل الصفحـة ١٨٢، و الثـانى فى آخـر الصفـحة ١٨٩، فى الجـزء الخـامس مـن مسـنده. قـال النـبىّ صلّـى اللـه عليـه [وآلـه] وسلّم: إِنِّـى تَـارِكٌ فِيكُـمُ الثَّقَلَيْـن كِتَـابَ اللـه وَ أَهْـلَ بَيْتِـى وَ أَنَّـهُمَا لَـنْ يَفْتَرِقَـا حَتّـى يَـرِدَا عَلَـىَّ الْحَـوْضَ. و (قـال السـيوطىّ) فى تفسـير «الـدرّ المنثـور» ج ٢، ص ٧: و أخرجـه الـترمذىّ وَ حسّـنه و ابـن الانبـارىّ فى المصـاحف عـن زيـد بـن أرقـم رضـى اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه صلّـى اللـه عليـه [وآلـه] وسلّم: إِنِّـى تَـارِكٌ فِيكُـمْ مـا إِنْ تَمَسَّـكْتُمْ بـهِ لَـنْ تَضِلُّـوا بَعْـدِى أَحَدُهُمـا أَعْظَـمُ مِـنَ اىخَـر كِتَـابَ اللـه حَبْـلٌ مَمْـدُودٌ مِـنَ السَّـماءِ إلى الارْضِ وَ عِـتْرَتِى أَهْـلَ بَيْتِـى وَلَـنْ يَفْتِرقَـا حَتّـى يَـرِدا عَلَـىَّ الْحَـوْضَ فَـانْظُرُوا كَيْـفَ تَخْلُفُونـى فِيـهَما. و نقـل صـاحب «غايـة المـرام فى ص ١١ فمـا بعدهـا تسـعة و ثلاثـين حديثـاً عـن طريـق العامّـة، و اثنـين و ثمـانين حديثـاً عـن طريـق الخاصّة.

٢ـ «الدرّ المنثور» ج ۴، ص ٢٥٩ .

جاء فى «أمالى» الشيخ الطوسىّ ما نصّه: مَرَّ أميرُالمؤمنينَ بمَلا فِيهِمْ سَلْمَانُ، فَقَالَ لَهُمْ سَلْمَانُ: قُومُوا فَخُذُوا بِحُجْزَةِ هَذَا، فَوَاللَه لاَيُخْبِرُكُمْ بِسرِّ نَبِيِّكُمْ غَيْرُهُ.[١]

و قال النقّاش فى تفسيره: قال ابن عبّاس: علىى علم علماً علّمه رسول الله، و رسول الله علّمه الله، فعلم النبىّ علم الله، و علم علىى من علم النبىّ، و علمى من علم علىى. و ما علمى و علم أصحاب محمّد فى علم علىّ إلاّ كقطرة فى سبعة أبحر.[٢]

يقول العونىّ:

وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ وَ عِلْمُ مَا يَكُونُ وَ مَا قَدْ كَانَ عِلْماً مُكْتَماً[٣]

و يقول أبو مقاتل بن الداعى العلوىّ:

وإِنَّ عِنْدَكَ عِلْمَ الْكَوْنِ أَجْمَعَهُ مَا كَانَ مِنْسَالِفٍ مِنْهُ وَ مُؤْتَنَفِ[٤]

ويقول نصر بن المنتصر:

وَ مَنْ حَوى عِلْمَ الْكِتَابِ كُلِّهِ عِلْمَ الَّذِى يَأتِى وَ عِلْمَ مَا مَضى[٥]

ويقول أميرالمؤمنين عليه السلام: (و منها يعنى آل محمّد عليهم السلام): هُمْ مَوْضِعِ سِرِّهِ، وَ لَجَأُ أَمْرِهِ، وَ عَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَ مَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَ جبَالُ دِينهِ

إلى أن يقول: لاَ يُقَاسُ بآلِ مُحمَّدٍ عَلَيهِمُ السَّلاَمُ مِنْ هَذِهِ الاُمَّةِ أَحَدٌ، وَ لاَ يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً . هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَ عِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ

١- «مناقب» ابن شهرآشوب ج ١، ص ٢٥٩.
٢ـ «مناقب» ابن شهرآشوب ج ٢، ص ٣٠ .
٣ ـ «مناقبابن شهرآشوب» ج ١، ص ٢٥٨ .

يَفِـيءُ الْغَـالِي، وَ بِـهِمْ يَلْحَـقُ التّـالِي، وَ لَـهُمْ خَصَـائِصُ حَـقِّ الْوِلاَيَـةِ، وَ فِيـهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِراثَةُ.[١]

١ـ «نهج البلاغة» ج ١ ص ٢٩.

اَلدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

إِلَى اَلدَّرْسُ السَّادِسِ وَالْخَمْسِيْنَ

تفسير الآية:

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهِ . . .

بسْمِ اللـه الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ

و صلَّى اللـه على محمّد و آله الطَّاهرين

و لعنة اللـه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوّة إلاّ باللـه العلىّ العظيم

قال اللـه الحكيم فى كتابه الكريم:

أَفَمَن كَانَ عَلَى' بَيِّنَةٍ مِّـن رَّبِّـهِ وَيَتْلُـوهُ شَـاهِدٌ مِّنْـهُ وَمِـن قَبْلِـهِ كِتَـٰبُ مُوسَـى' إِمَامًـا و رَحْمَـةً (كمـن ليـس علـى هـذه الصفـة)أُولَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُـونَ بـهِ وَمَـن يَكْفُـرْ بـهِ مِـنَ الاْحْـزَابِ فَالنَّـارُ مَوْعِـدُهُ و فَـلاَ تَـكُ فِـى مِرْيَـةٍ مِّنْـهُ إِنَّـهُ الْحَـقُّ مِـن رَّبِّـكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ. [1]

إنّ المقصـود مـن صـاحب البيّنـة فى هـذه الآيـة المباركـة هـو الرسـول الاكـرم صلّـى اللـه عليـه وآلـه وسـلّم والشـاهد هـو أميرالمؤمنين علـى بـن أبىطـالب عليـه السـلام. و الاحـاديث المـأثورة عـن الخاصّـة و العامّـة فى هـذا الحقـل جمّـة. بـل إنّ الاحـاديث الـتى نقلـها العامّـة بأسـنادهم تفـوق أحـاديث الخاصّـة. فقـد ذكـر العلاّمـة المحـدّث البحـرانىّ ثلاثـة و عشـرين حديثـاً عـن طريـق العامّـة، و أحـد عشـر حديثـاً عـن طريـق الخاصّـة. [2] و مـن الضـرورىّ هنـا أن نبدأ ببحث تفسير للآية قبل الخوض فى الاحاديثالواردة.

١ـ الآية ١٧، من السورة ١١: هود.

٢ـ «غاية المرام» من ص ٣٥٩ إلى ٣٦١.

هذه الآية فى سورة هود، و سورة هود من السور المكية. تبدأ السورة بقوله تعالى: الٓر كتٰب أحكمت ءايٰته ثم فصلت من لدن حكيم خبير. إذ تتحدث هنا عن قرآن محكم، و قرآن مفصل، أو بكلمة بديلة، قرآن له حقيقة واحدة فى العوالم العلوية، و له سور و آيات و أحكام و معارف و قضايا مستقلة بعضها عن بعض فى هذا العالم. و تتحدث الآيات التى تتلو تلك الآية عن الدعوة إلى عبادة الله، و التوبة إليه، و تذكر بأن المرجع إلى الله؛ و تأتى الآية الخامسة لتتحدث عن الذين يثنون صدورهم من كفار قريش ليعرضوا عن ذلك. و فى الآيات التى تتلوها حديث عن إرادة الله و قيوميته و خالقيته، و عن المعاد و بعث الناس من بعد الموت، و إنكار المنكرين. و أحوال المؤمنين فى الصمود و الاستقامة، و حالات غيرهم فى التلون، والارتياب النفسى، واليأس، وكفران النعمة، والفخر، والفرح الذى ليس فى موضعه.

ثم نصل إلى الآية الحادية عشرة التى تخاطب النبى فتقول: فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك و ضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك (فلا تحزن من هذه الكلمات) إنما أنت نذير (من عواقب الشرك و الظلم الوخيمة) و الله على كل شىء وكيل . و تتحدث الآية التى تتبعها عما يقوله المشركون بأن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم قد افترى هذا القرآن: أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات و أدعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. يا رسول الله فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا إنما أنزل بعلم الله و أن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون؟

ثم تتلو ذلك آيتان تتحدثان عن الثمار التى يقطفها من يريد الحياة الدنيا، و بعدهما نلتقى قوله تعالى: أفمن كان على' بينة (و بصيرة باطنية الهية) من ربه و يتلوه شاهد منه و من قبله كتٰب موسى' إماما و رحمة

(مصدّقاً لدعواه و شبيهاً له فى بيانه و دعوته ، كمن ليس كذلك ؟)أُولَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ.

و لمّا كانت الآيات السابقة قد بيّنت إنكار المشركين لاحقيّة القرآن فإنّ هذه الآية ناظرة إلى تلك الآيات، و هى فى مقام الاستدلال و إقامة البرهان على لزوم الإيمان بالقرآن المجيد، و الاستفهام هنا إنكارى. و ينبغى أن نرى هنا ما هو القصد من البيّنة، و ما معنى يَتْلُو، و شَاهِد.

و قد جاءت البيّنة فى بعض الآيات القرآنيّة بمعنى الحجّة كقوله تعالى: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ، [١] و جاءت فى بعضها الآخر بمعنى الآية و المعجزة كقوله تعالى: قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِن رَّبِّكُمْ هَـٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ. [٢] و وردت فى آيات أُخرى بمعنى البصيرة الخاصّة و النور المخصوص الذى منحه الله الانبياء كما جاء فى قوله تعالى على لسان نبيّه نوح عليه السلام : يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّى وَ ءَاتَانِى رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ. [٣] و ذكرت فى آيات من الكتاب العزيز على أنّها مطلق البصيرة الإلهيّة و النور الباطنىّ، كما فى قوله تعالى: أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ. [٤] و هذا المعنى هو الذى تقصده الآية التى هى مدار بحثنا، لانّه تعالى يقول بعدها بصيغة الجمع:أُولَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ.

والواضح هو أنّ جميع المؤمنين ليست لهم بصيرة النبوّة الخاصّة وإن كان القصد من صاحب البيّنة هو رسول الله وفقاً لموضوعها، بَيدَ أنّه لمّا كان هذا القسم من الآية تمهيداً لما يليه ، و هو قوله تعالى : فَلاَ تَكُ فِى مِرْيَةٍ

١ـ الآية ٤٢، من السورة ٨: الانفال.

٢ـ الآية ٧٣، من السورة ٧: الاعراف.

٣ـ الآية ٢٨، من السورة ١١: هود.

٤ـ الآية ١٤، من السورة ٤٧: محمّد

منه، فالقصد من البينة، إذن، هى تلك البصيرة الإلهية المطلقة التى أفاض الله بها على نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم. و ليس القصد منها هو القرآن، لانها لاتنسجم مع مايليها، و هو قوله تعالى: فلا تك فى مرية.

و يستفاد مما تقدم أنه لايصح كلام البعض فى أن صاحب البينة المقصود فى هذه الآية هو رسول الله خاصة على وجه العموم، لترتب قوله فى صيغة الجمع أولـ'ئك يؤمنون به على ذلك، و قد أخذ هذا اللفظ من مفاد قوله: من كان على' بينة من ربه.

و كذلك لايصح قول بعضهم إن المراد هنا أصحاب رسول الله، لان النبى نفسه له بينة. فتنطبق الآية عليه على وجه الحصر لاعلى وجه العموم ويريد الله أن يقول له: أنت الذى لك بينة إلهية و شاهد خارجى ومن قبلك كتاب موسى مصدقا لك، ينبغى لك أن تؤمن بالقرآن، ولا يعتريك الشك فيه، و لا يضيق صدرك من قول المشركين الذين طلبوا منك إنزال كنز أو مجىء ملك، و عليك أن تقوم بالتبليغ و إرشاد الناس بقدم راسخة و إرادة لاتلين.

و أيضا لايستقيم قول من قال إن المراد بالبينة هنا القرآن أو حجة العقل، لان هذه مقدمة إلى القرآن و الامر بالتمسك به. أى أن الذى له بصيرة باطنية و نور إلهى يؤمن بالقرآن، و أنت يا رسولنا الذى لك مثل هذه البينة أيضا لاتشك فى القرآن. و لا معنى أن يؤمر من كان عنده القرآن بالإيمان به، و يحذر من الشك فيه.

و أما حجة العقل، فلما كانت البينة التى عند النبى أقوى من الحجة العقلية، لذلك لا معنى أن نقصر هذه البينة القائمة فى وجود خاتم النبيين على دليل العقل . و أما القصد من كلمة يتلو فإنه التتابع لا القراءة و التلاوة

لانّه من غير الصحيح أن نقول: إنّ ذلك الشاهد يقرأ النبىّ أو يقرأ نور بصيرته؛ و قلنا إنّ البيّنة هى ليست القرآن حتّى تصحّ تلاوته.

و أمّا القصد من كلمة شاهِد، فالواضح أنّه أداء الشهادة لا تحمّلها لانّ تحمّلها لايكون حجّة على المشركين بل الحجّة عليهم، و بل المفضى إلى تقوية الرسول و تأييد بصيرته الإلهِيّة و نوره الربّانىّ هو أداء الشهادة؛ لذلك فإنّ الشاهد هنا هو الذى أقرّ بأحقّيّة رسالة النبىّ، و دعم رسالته ببصيرته الإلهيّة، و أمن به. لانّ شهادة الإنسان صاحب اليقين و البصيرة تكتسح كلّ شكّ و شبهة، و تُذهب كلّ خوف من الوحدة و الوحشة، و لعلّ الاشخاص الذين يتركون وحدهم فى أمر أو جانب يتضعضعون أمام المحن الصعبة و الاحداث المؤلمة، على عكس ما لو أعانهم أحد فى سرّه وأسندهم و لم يتركهم وحدهم فى الميدان، فإنّ الوحشة تزول و القلب ينشط فى مثل هذه الحالة.

و هنا أيضاً يقول تعالى حيال تهجّم المشركين و مواجهتهم العنيفة: يا أيّها النبىّ إنّ من كانت له بيّنة إلهيّة و أعانه شاهد خارجىّ، فهو يؤمن بالقرآن، و لايشكّ و لايتضعضع. و لاريب أنّ هذا الشخص هو علىّ بن أبىطالب الذى أسلم منذ اليوم الاوّل للنبوّة، و أعان النبىّ فى تحمّل أعباء الرسالة، و مواجهة الصعوبات التى كانت تعترض طريقها، و لبّى دعوته عندما أمره الله بإنذار عشيرته الاقربين فى قوله: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ.[1] و قام وحده فى حديث العشيرة، و كان مؤازراً و معيناً و وزيراً للنبىّ فى جميع المشاكل التى و اجهتها النبوّة و المصاعب الناجمة عن حمل مهمّة الرسالة الثقيلة . و فى ضوء ما قيل فإنّ الذى تنطبق عليه الآية على

١ـ الآية ٢١٤، من السورة ٢٦: الشعراء.

وجه الحصر هو أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

و ذكر المفسر أبو الفتوح الرازى كلاما لطيفا فى وجه انحصار الشاهد بعلى بن أبى طالب، و دفع الاحتمالات الاخرى. و لما ذكر فى البداية الاحتمالات و الاقوال الواردة فى الشاهد، ثم انبرى إلى تفنيدها بكلامه العذب، لذلك نذكر أيضا تلك الاقوال و الاحتمالات أولا ثم نذكر كلامه فى تفنيدها بعد ذلك. يقول: [1] ليس هناك خلاف بين المفسرين فى أن المراد من صاحب البينة هو رسول الله، بل الخلاف قائم بينهم فى معنى الشاهد. قال عبدالله، وعلقمة، وإبراهيم، ومجاهد، وأبوصالح، وأبوالعالية وعكرمة: هو جبرئيل؛ و قال الحسن البصرى، و قتادة: هو لسان رسول الله وقال البعض: وجه رسول الله لان من نظر إلى شمائله و سيماه كان يعترف بنبوته و رسالته؛ و قال الحسين بن الفضل: الشاهد هو القرآن، و نظمه العجيب و أسلوبه الباهر و إعجازه خير شاهد على النبوة؛ و قال ابن جريج ومجاهد: الشاهد هو الملك الذى كان يحفظ رسول الله و يؤيده و يقويه. وقال بعض آخر: إن الشاهد هو رسول الله نفسه. و هذه الاحتمالات والاقوال، و إن كانت نسبت إلى المفسرين، لكنها تبدو مشوشة و غير مستساغة، لان كل واحد منها يخالف ظاهر الآية : و يتلوه شاهد منه، إذ جاءت فى هذه الآية ثلاث كلمات: الاولى: يتلوه بمعنى يجىء بعده؛ والثانية: شاهد؛ و الثالثة؛ منه و يرجع الضمير إل؟ رسول الله، و هو صاحب البينة. و عند ملاحظة هذه الكلمات الثلاث، يظهر خطأ جميع الاحتمالات التى طرحها المفسرون.

١ـ ذكر فى «الدر المنثور» ج ٣، ص ٣٢٤ هذه الاحتمالات و الاقوال عن أصحابها وكذلك جاءت فى «مجمع البيان» ج ٣، ص ١٥٠

أمّا الذی قال: هو جبرئیل، أو المَلَك الموكّل برسول الله، فقوله باطل بكلمة مِّنْهُ، لانّ الملك و جبرئیل لیسا من جنس رسول الله، بل هما من الملائكة، و رسول الله من البشر، و یدلّ الضمیر فی مّنْهُ علی أنّ ذلك الشاهد هو من جنس رسول الله. و أمّا من قال: إنّه القرآن، فقوله باطل أیضاً بكلمة یَتْلُوهُ و كلمة مِّنْهُ لانّ القرآن لایأتی تالیاً للنبیّ، مضافاً إلی أنّه لیس من جنسه. و أمّا من قال: إنّه لسان رسول الله، فهو باطل بكلمة یَتْلُوهُ و كلمة شَاهِدٌ لانّ لسان النبیّ لایتلوه و لایأتی بعده، مضافاً إلی أنّ لسان الشخص لیس شاهداً علی صحّة دعواه.

و أمّا من قال: إنّه النبیّ نفسه، فقوله لیس ذا بال أبداً لانّه ینافی الكلمات الواردة یَتْلُوهُ، و شَاهِدٌ، و مِّنْهُ و لانّ رسول الله لایتلو نفسه، و لیس شاهداً علیها، و لیس منها. و لمّا كانت هذه الاحتمالات و الاقوال جمیعها باطلة، فالمتیقّن به أنّ ذلك الشاهد هو الذی روی فیه المؤالف و المخالف عن رسول الله أنّه هو المعنیّ بهذه الآیة، وهو أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام. و هذا ما ینسجم مع جمیع الكلمات الواردة فی الآیة: یَتْلُوهُ، شَاهِدٌ، مِّنْهُ، لانّه علیه السلام كان إلی جانب رسول الله صلّی الله علیه وآله وسلّم و كان یتبعه، و كان شاهداً صادقاً علی نبوّته دائماً، مضافاً إلی أنّه من جنس البشر، بل من رسول الله نفسه. [1]

و أقرب الآیات إلی الآیة المشار إلیها من حیث الدلالة و المعنی هی الآیات الواردة فی السورة ٤٦، و هی الاحقاف، و الآیات هی ١٠، ١١ و١٢، یقول تعالی: قُلْ أَ رَءَيْتُمْ إن كَانَ مِنْ عِنْدِالله وَ كَفَرْتُم بِهِ وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِی إسْرَءِيلَ عَلَی' مِثْلِهِ فَامَنَ وَ اسْتَكْبَرْتُمْ إنَّ الله لَا يَهْدِی الْقَوْمَ

١ـ «تفسیر أبی‌الفتوح الرازیّ» ج ٦، ص ٢٥٥ (بالفارسیّة) و قد أوردنا ترجمة كلامه. (م)

الظـ'لمين * و قال الذيــن كفـروا للذيـن ءامـنوا لـو كـان خـيرا مـا سـبقونآ إليـه و إذ لـم يـهتدوا بـه فسـيقولون هــ'ذآ إفـك قـديم * و مـن قبلـه كتــ'ب موسـى'َإمامــا و رحمـة و هــ'ذا كتــ'ب مصـدق لسـانا عربيــا لينــذر الذيــن ظلمــوا و بشــرى' للمحسنين.

يتبين لنا عند ملاحظة هاتين الطائفتين من الآيات و مقارنتهما أنـهما:

أولا: ذكرتــا القــرآن أو البينــة الإلهيــة الــتى ينكرهــا المشــركون علــى سبيل الاستفهام الإنكارى.

ثانيـا: بينتـا التـوراة بوصفـها كتـاب هدايـة و رحمــة للنــاس، و قــد نزلــت قبـل القــرآن ممــهد الطريــق لكتــاب اللــه، و هــو القــرآن المجيــد، و القــرآن مصـدق لهـا أيضــا، مضافــا إلى ذلــك فــإن القــرآن ليــس أول كتــاب يرفضــه المشـركون، بـل كـانت التـوراة قبلـه علـى هـذه الشــاكلة أيضــا، و آيــات القــرآن و المواضيــع الــتى يحتويــها امتــداد لمواضيــع التــوراة فى الاخــلاق و الأحكــام و المعـارف، و مصدقـة لهــا، إذن لايبــدو هنــاك أى مــبرر لاســتنكاف أولئــك ، كمــا جــاء فى القــرآن قولــه تعــالى فى الآيــة التاســعة الــتى تســبق الآيــات المذكورة : قل ما كنت بدعا من الرسل .

ثالثـا: كمـا جـاء فى الآيـة الـتى هـى مـدار بحثنـا: و يتلـوه شـاهد منـه، فــإن المـراد هنـا هـو وصـى رسـول اللــه أمــيرالمؤمنين علــى بــن أبى طــالب عليــه السـلام الـذى يمثـل سـند النبـوة و الشـاهد علـى رسـالة رسـول اللــه، و كذلــك فى بـنى إسـرائيل، فـإن وصـى موسـى هـو يوشـع بـن نـون الـذى كــان ســندا لنبــوة موسى و شاهدا على رسالته، و هــو الـذى آمـن بـه، و لذلـك يقـول جـل مـن قـائل : و شهد شاهد من بنى إسر'ءيل على' مثله . [١]

١ـ عندمــا طــالع أحــد أخلائنــا و إخواننــا فى الاءيمــان، و هــو مــن مفــاخر علمــاء طــهران ، مخـطـوطـة هـذا الكتـاب ، كتـب فى الهـامـش قـائـلا : « إن الاحتـمـال المـطروح فى أن قـولـه : و شـهـد

و استهداء بالروايات المستفيضة المأثورة عن رسول الله فی أنّ ماوقع علی الامم السالفة سيقع أيضاً علی هذه الاُمّة حذو النعل بالنعل والقُذَّة بالقُذَّة، فإنّ شهادة علی بن أبی طالب عليه السلام علی نبوّة رسول‌الله صلّی الله عليه وآله وسلّم تُضاهی شهادة وصیّ موسی علی نبوّته

شَاهِدٌ مِنْ بَنی إسْرَ'ءِيل عَلَی' مِثْلِهِ يخصّ إيمان يوشع بن نون بالتوراة بعيد للغاية، و يبعث علی تفكيك مفردات الآية، و لا يحضرنی أنّ أحد المفسّرين ذكر هذه الاحتمال، كما لم تُؤثَر رواية فی هذا الباب أيضاً. نعم، احتمل بعض المفسّرين أنّ المراد بالشاهد هنا هو موسی‌بن عمران نفسه، و شهادته علی مثل القرآن، أعنیّ التوراة، من حيث إنّ التوراة إشتملت علی وصف للنبیّ الاكرم و بشّرت به، و فی هذه الحالة، يستقيم الترابط بين الآيات و نظمها». يقول مؤلّف الكتاب: لايتمّ هذا الكلام، و ذلك، أوّلاً: أنّ استبعاد دلالة الآية وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِن بَنی إسْرَ'ءِيلَ عَلَی'مِثْلِهِ علی إيمان يوشع بن نون بالتوراة، و الغموض الذی يكتنف الترابط بين مفردات الآية يصحّان إذا كان المراد من التوراة هو الكتاب السماویّ النازل علی موسی فحسب، لا من حيث اشتمالها علی وصف للنبیّ الاكرم، و التبشير به، بَيدَ أنّه إذا كان المراد من التوراة فی هذه الآية، كتاب بهذه المواصفات، فالمعنی واضح تماماً و الترابط متحقّق . و ما هو الفرق بين أن نعتبر الشاهد من بنی إسرائيل فی هذه الآية موسی النبیّ أو وصیّة يوشع بن نون؟ لانّنا يجب أن نجعل كلمة مثله فی كلا الحالتين: التوراة، و لمّا كانت التوراة مشتملة علی التصديق بالرسول الاكرم، فهذه الآية تشكّل دليلاً و حجّة لرسول الله علی اليهود الذين لم يقرّوا بدعوته.

ثانياً: جاء فی الرواية المأثورة، التی نقلها السيوطیّ، قوله: فآمن هذا بكتابه و نبيّه وكفرتم يا أهل مكّة. فواضح أنّ الظاهر من كلمة نبيّه هو النبیّ الذی كان فی ذلك الزمان، و هو موسی، لا نبيّنا الذی أقام هذه الآية من جانبه إتماماً للحجّة علی اليهود؛ و تريد الآية أن تقول: هو آمن بنبيّه، فَلِمَ لا تؤمنون بنبيّكم؟! فی ضوء ذلك، لايمكن أن يكون المراد من الشاهد غير يوشع بن نون. و علی الرغم من عدم وجود رواية عندنا تؤيّد ذلك، فليس عندنا رواية تخالفه أيضاً؛ و ما لم يستند قول المفسّرين علی حجّة قاطعة و رواية مأثورة عن المعصوم، فهو يعتبر رأياً شخصيّاً. و لا إشكال فی دحضه علی أساس الظواهر و القرائن المستفادة من تطبيق الآيات، و تحليل المعنی، و القصد الذی يستنبط من الآيات .

إذن، فالمقايسة بين هاتين الطائفتين من الآيات، أعنى: الآيات المشار إليها فى سورة هود، و الآيات الواردة فى سورة الاحقاف تفيدنا أن الشاهد من بنى إسرائيل الذى شهد على صحة ما يشاكل القرآن، و هى التوراة، يماثل الشاهد الذى هو من جنس رسول الله و شهد على صحة نبوته . و الشاهد على كلامنا هو رواية أوردها السيوطى فى تفسيره. يقول: أخرج سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن منذر عن مسروق رضى الله عنه أنه قال فى قول الله تعالى: و شهد شاهد من بنى إسر'ءيل على' مثله، قال: موسى مثل محمد، والتوراة مثل القرآن فآمن هذا بكتابه و نبيه و كفرتم يا أهل مكة.

و العجيب أن أغلب المفسرين ـ بما فيهم مفسرو الشيعة ـ ذكروا أن المراد من الشاهد فى الآية المشار إليها هو عبدالله بن سلام؛ وقد صرح بذلك حتى المرحوم الطبرسى ، [1] و الفيض الكاشانى ،[2] و أستاذنا الاعظم العلامة الطباطبائى [3] * مد ظله و نقل السيوطى أيضا رواية فى هذا الباب ، قال: أخرج أبويعلى، و ابن جرير، و الطبرانى، والحاكم عن عوف بن مالك الاشجعى قال: انطلق النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم و أنا معه حتى دخلنا على كنيسة اليهود يوم عيدهم، فكرهوا دخولنا عليهم. فقال لهم رسول الله: أرونى اثنى عشر رجلا منكم يشهدون أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله يحبط الله عن كل يهودى تحت أديم السماء الغضب

١ـ «مجمع البيان» ج ٥، ص ٨٦ .
٢ـ «تفسير الصافى» ج ٢، ص ٥٥٤ . ذكر ذلك تحت عنوان: قيل: عبدالله بن سلام.
٣ـ تفسير «الميزان» ج ١٨، ص ٢١٠.
* الكتاب مؤلف زمن حياة العلامة الطباطبائى قدس سره، و آثرنا الاءبقاء على تعبير المؤلف. (م)

الـذى عليـه، فسـكتوا، فمـا أجابـه منـهم أحـــد. ثم رد عليـــهم، فلـــم يجبـــه أحـــد، فثلـث فلـم يجبـه أحـد. فقـال: أبيتـم فواللـــه لانـا الحاشـر، و أنـــا العـــاقب، و أنـــا المقفـى، آمنتـم أو كذبتـم، ثم انصـــرف و أنـــا معـــه، حتـــى كدنـــا أن نخـــرج فـــإذا رجـل مـن خلفـه، فقـال: كمـا أنـت يـا محمـــد. فـــأقبل، فقـــال ذلـــك الرجـــل: أى رجل تعلمونى فيكم يا معشر اليهود؟

فقالوا: واللـه ما نعلـــم فينـا رجـلا أعلـم بكتـاب اللـــه و لا أفقـه منـك و مـن أبيـك و لا مـن جـدك. قـال: فـإنى أشـهد باللـــــه إنـــه النـــبى الـــذى تجدونـــه فى التـوراة و الإنجيـل. قـالوا: كذبـت، ثم ردوا عليـه و قـالوا شـرا. فقـال رســـول اللـــه صلى اللـه عليه [وآلـــه] وسـلم كذبتـم، لـن يقبـل منكـم قولكـم، فخرجنـا و نحـن ثلاث: رسول اللـه، و أنا، و ابـــن سـلام. فـأنزل اللـــه: قـل أرأيتـم إن كـان مـن عنـد اللـه و كفرتم به و شـــهد شـاهد مـن بـنى إسـرءيـل علـى' مثلـه فـــامن واسـتكبرتم إن اللـه لايهدى القوم الظـٰلمين.

لكـن كمـا ذكرنـا فـإن الشـاهد المشـار إليـه شـخص مـن بـنى إسـرائيل قـــد شـهد علـى التـــوراة فى عصـــر موســـى. و هـــو مـــاينطق علـــى وصـــى موســـى، يوشع بن نون. و هذه الآية لاتنطبق على عبداللـه بن سلام للاسباب التالية:

أولا: سـورة الاحقـاف مكيـة وإسـلام عبداللـــه بـن ســـلام كـــان فى المدينـــة فـلا جـدوى مـن جعـل رسـول اللـــه شـهادة شـخص لم يسـلم بعـد ولم يظـهر علـى مسـرح الحيايـة الإسـلامية سـندا لنبوتـه، و شـاهدا علـــى أحقيتـــه أمـــام مشـــركى قريش و منكريهم.

ثانيـا: تنـص الآيـة المباركـة علـى أن هـذا الشـاهد قـــد شـــهد علـــى مثـــل القـرآن، لا علـــى القـــرآن نفســـه، و المـــراد بمثـــل القـــرآن هنـــا التـــوراة، فمـــاذا يجنـبى المشـركون مـن وراء الشـهادة علـى التـوراة؟ بينمـــا نجـــد أن قولـــه تعـــالى : و يتلـــوه شـــاهد منـــه يفيـــدنـا أن أمـيرالمـؤمـنـين شـهد عـلى النبـوة نفسـها. وأما

شهادة ذلك الشخص من بنى إسرائيل فى عصر موسى على نبوته أو على التوراة فإنها كانت ستؤتى ثمارها، و ستمثل سندا لنبوته.

ثالثا: كان إسلام عبدالله بن سلام فى بداية الهجرة إلى المدينة وليس بعد استقرار النبى فيها و يوم عيد اليهود. يقول ابن عبدالبر فى ترجمة عبدالله بن سلام : عبدالله سلام بن الحارث الإسرائيلى ثم الانصارى . يكنى أبا يوسف، و هو من ولد يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما و كان حليفا للانصار، يقال كان حليفا للقوافلة [٢٧] (و هم) من بنى عوف بن الخزرج. و كان اسمه فى الجاهلية الحصين. فلما أسلم، سماه رسول الله صلى الله عليه] وآله [و سلم عبدالله. توفى بالمدينة أيام معاوية سند ٤٣ (ه)؛ و هو أحد الاحبار. أسلم إذ قدم رسول الله صلى الله عليه] وآله [و سلم المدينة.

قال عبدالله بن سلام: خرجت فى جماعة من أهل المدينة للنظر إلى رسول الله صلى الله عليه] وآله [و سلم فى حين دخوله المدينة، فنظرت إليه و تأملت وجهه، فعلمت أنه ليس بوجه كذاب، و كان أول شيء سمعته منه : أيها الناس، أفشوا السلام، و أطعموا الطعام، و صلوا الارحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام.

رابعا: يدل سياق الآية الكريمة قل أرأيتم إن كان من عندالله و كفرتم به و شهد شاهد من بنى إسر'ءيل على' مثله على أن خطاب النبى لم يكن موجها إلى بنى إسرائيل.

خامسا: أن الإنجيل ليس من كتب اليهود، و اليهود لايقرون به أبدا بل هم يفترون على مريم و ينسبون إليها مالايليق ويعتبرون عيسى ابن

١ـ اسم طائفة من الانصار.

سفاح. فكيف يمكن فى هذه الحالة، و وفقا لهذه الرواية ، أن يقول عبدالله بن سلام لليهود: أشهد الله أن محمدا هو النبى الذى و جدتموه فى التوراة و الإنجيل؟!

نستنتج مما تقدم أن هذه الرواية منحولة. ناهيك عن هذا كله فإن روايات قد جاءت عن طريق العامة فى أن آية واحدة من القرآن لم تنزل فى عبدالله بن سلام أو فى أن هذه الآية لاتخصه . يقول السيوطى : أخرج ابن منذر عن الشعبى أنه قال:

ما نزل فى عبدالله بن سلام شىء من القرآن.[1] و يقول أيضا: أخرج عبدالله بن حميد، و ابن منذر عن عكرمة أنه قال فى الآية: و شهد شاهد من بنى إسر'ءيل على' مثله، قال: ليس بعبد الله بن سلام، هذه الآية مكية فيقول من آمن من بنى إسرائيل كمن آمن بالنبى صلى الله عليه [وآله] وسلم. [2]

و يقول أيضا: أخرج ابن جرير و ابن أبى حاتم عن مسروق أنه قال : قوله: و شهد شاهد من بنى إسر'ءيل على' مثله. قال: والله ما نزلت فى عبدالله بن سلام، ما نزلت إلا بمكة و إنما كان إسلام ابن سلام بالمدينة، و إنما وكانت خصومة خاصم بها محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم.[3]

نعم. إن نزول الآية فى عبدالله بن سلام مستبعد إلى حد اضطر فيه البعض أن يقول بأن الآية مكية و إن إسلام عبدالله سلام كان بالمدينة وذلك من أجل تصحيح هذا الموضوع . يقول السيوطى : أخرج الحسن بن مسلم أنه نزلت هذه الآية بمكة و عبدالله بن سلام بالمدينة. [4]

و يقول أيضا : أخرج ابن سعد ، و ابن عساكر عن الحسن البصرى أنه

١إلى ٤ ـ «الدر المنثور» ج ٦، ص ٣٩ .

قال: نزلت حم و عبدالله بالمدينة مسلم.[1] و هاتان الروايتان غير صحيحتين أيضا لاننا قلنا : إن عبدالله بن سلام لم يكن قد أسلم بعد عند نزول سورة الاحقاف. و كما قلنا فى تفسير الآية: و من عنده علم الكتـ'ب، فإن عبدالله بن سلام، و ابنه، و حفيده دون غيرهم ينسبون هذه الآية إلى أنفسهم، و لم ينسبها شخص آخر إليهم.

بيد أنه لما كان نزول هذه الآية فى أميرالمؤمنين على عليه السلام فإن علماء الشيعة رضوان الله عليهم أصروا على أنها لم تنزل فى عبدالله بن سلام، و برهنوا على ذلك. و أما الآية: و شهد شاهد... فلما لم تكن فيه عليه السلام. لذلك لم يعيروا لها اهتماما، و مروا عليها دون تحر دقيق حتىقال البعض من أهل السنة، إن علماء الشيعة أيضا قالوا بنزولها فى عبدالله بن سلام، مع أنها نزلت فى يوشع بن نون وصى موسى عدل على بن أبى طالب وصى محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم. و لافرق فى إمكان نزول الآيتين المذكورتين: و من عنده علم الكتـ'ب، و شهد شاهد... فى عبدالله بن سلام وعدم إمكان نزولهما فيه. فكلتاهما مكيتان . فإذا كان جائزا فى إحداهما فهو جائز فىالاخرى، و العكس صحيح.

مضافا إلى ذلك ما هو وزن عبدالله بن سلام الذى يعتبره البعض مغمورا مجهول الحال، وهو لم يبايع أميرالمؤمنين عليا بالخلافة بعد عثمان، حتى يهتم رسول الله بشهادته أمام المشركين، و يجعله قرينا لنبوته و للتوراة التى فيها هدى و رحمة للناس؟ أجل، هذا بحث تناولنا فيه الآية الكريمة: و شهد شاهد من بنى إسر'ءيل على' مثله، فلنعرج الآن على الآية التى هى مدار بحثنا: و يتلوه شاهد منه.

١- « الدر المنثور » ج ٦ ، ص ٣٩ .

وردت حول هذه الآية روايات جمة عن طريق الشيعة و السنة، و هى تنص على أن عليا أميرالمؤمنين عليه السلام هو المقصود بهذه الآية . وفيمايلى عدد منها أثر بمضامين متنوعة، نذكرها هنا كمثال على ما نقول:

الاولى: طائفة من الروايات نقلت عن عبدالله بن عباس. قال الموفق بن أحمد الخوارزمى فى قوله تعالى: أفمن كان على' بينة من ربه ويتلوه شاهد منه. قال ابن عباس: هو على يشهد للنبى و هو منه. [١] و نقل العلامة الطباطبائى هذه الرواية أيضا من «تفسير البرهان» عن الخوارزمى. [٢]

و نقل إبراهيم بن محمد الحموينى، و هو من فضلاء العامة، فى «فرائد السمطين» بسلسلة سنده المتصل عن إبن عباس أنه قال: «أفمن كان على' بينة» رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم «و يتلوه شاهد منه» على عليه السلام خاصة. [٣] و ذكر الحاكم الحسكانى هذه الرواية أيضا و بالعبارة نفسها. [٤] و ذكرها الثعلبى بالعبارة ذاتها فى تفسيره عن ابن عباس. [٥] و نقلها العلامة الطباطبائى عن الثعلبى، [٦] و كذلك ذكرها على بن عيسى الاربلى فى «كشف الغمة» عن ابن عباس. [٧]

الثانية : روايات نقلت عن أنس بن مالك . روى حماد بن سلمة عن

١ـ «غاية المرام» ص ٣٥٩ الحديث الثانى؛ و جاء فى «ينابيع المودة» ص ٩٩ باختلاف يسير فى اللفظ.

٢ـ تفسير «الميزان» ج ١٠، ص ٢٠١.

٣ـ «غاية المرام» ص ٣٥٩، الحديث الثالث.

٤ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٠١.

٥ـ «غاية المرام» ص ٣٦٠، الحديث الثامن؛ و نقل ذلك فى «تفسير أبىالفتوح» ج ٦ ص ٢٥٦ عن الثعلبى.

٦ـ تفسير «الميزان» ج ١٠، ص ٢٠١.

٧ـ «غاية المرام» ص ٣٦٢، الحديث الحادى عشر

ثابت ، عن أنس أنه قال: «أفمن كان على' بينة من ربه» قال: هو رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم «و يتلوه شاهد منه» هو على بن أبى طالب عليه السلام. كان والله لسان رسول الله. [١]

و نقل الحاكم الحسكانى هذه الرسالة أيضا عن أنس بسلسلة سنده المتصل، إلا أنه أضاف إليها جملة فى آخرها: كان والله لسان رسول الله إلى أهل مكة فى نقض عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم. [٢]

الثالثة: روايات أثرت عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم نفسه. يقول ابن المغازلى الشافعى: قوله تعالى: أفمن كان على' بينة من ربه و يتلوه شاهد منه. قال رسول الله: أنا عل؟ بينة من ربه و عل؟ الشاهد. [٣] و نقل الحاكم الحسكانى هذه الرواية عن رسول الله نفسه بسندين: أحدهما عن محمد بن أحمد بن محمد المفيد. [٤] و الآخر عن ابن عباس. [٥] و ذكر السيوطى هذا الحديث أيضا عن رسول الله مع اختلاف يسير فى اللفظ. [٦]

الرابعة: روايات جاءت عن الإمام محمد الباقر عليه السلام. فقد روى على بن إبراهيم فى تفسيره بإسناده المتصل عن أبى بصير، والفضيل ، قالا : عن أبى جعفر عليه السلام قال : إنما نزلت : أفمن كان على' بينة من

١ـ «غاية المرام» ص ٣٦٢، الحديث الثالث عشر.
٢ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٨٠.
٣ـ «غاية المرام» ص ٣٦٠، الحديث السابع عشر.
٤ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٧٦.
٥ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٧٥.
٦ـ «الدر المنثور» ص ٣٢٤.

ربه يعنى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم و يتلوه شاهد منه إماما و رحمة. [١] و صفة الإمام و الرحمة فى الآية تخص عليا لا التوراة، ولكن حصل تقديم و تأخير لكى توصف التوراة.

الخامسة: رواية مأثورة عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام. فقد روى محمد بن يعقوب الكليني بسنده المتصل عن أحمد بن عمر الحلال أنه قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عز وجل: «أفمن كان على' بينة من ربه و يتلوه شاهد منه» فقال: أمير المؤمنين ـ عليه السلام الشاهد من رسول الله عل؟ بينة من ربه. [٢]

السادسة: رواية جاءت عن قيس بن سعد بن عبادة. يقول سليم بن قيس الهلالى الكوفى: [٣] أنقل هذا الحديث عن قيس بن سعد بن عبادة فى مشاجرة بينه و بين معاوية. قال قيس: لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاجتمعت الانصار إلى أبى بكر، فقال: تبايع سعدا (ابن عبادة)؟ فجاءت قريش فخاصموا بحجة على و أهل بيته و خاصمونا بحقه و قرابته. فما يعدوا فعقد قريش أن يكونوا ظلموا الانصار و آل محمد. ولعمرى ما لاحد من الانصار ولا من قريش، و لا من العرب ، و لا من العجم

١ـ «غاية المرام» ص ٣٦١،الحديث الاول. و جاء أيضا فى هذا الكتاب نفسه، ص ٣٦٢، الحديث الثامن عن العياشى فى تفسيره عن الإمام الباقر عليه السلام، و قال الإمام فى آخرها: **ثم أوصياؤه واحدا بعد واحد.**

٢ـ «غاية المرام» ص ٣٦١، الحديث الثانى؛ و تفسير «الميزان» ج ١، ص ١٩٩. و جاء فى «الكافى» باللفظ التالى: **أميرالمؤمنين عليه السلام الشاهد من رسول الله، و رسول الله على بينة من ربه.**

٣ـ نقلنا هذه الرواية عن «غاية المرام» ص ٣٦١، الحديث السابع، الطبعة الحجرية الرحلية ولكنها جاءت مفصلة و مشروحة مع مقدمات المفاوضات التى جرت بين قيس و معاوية فى «كتاب سليم بن قيس» من ١٩٩ إلى ص ٢٠٢. طبع النجف .

فى الخلافة حق و لا نصيب مع على بن أبى طالب و ولده من بعده. فغضب معاوية، و قال: يا بن سعد عمن أخذت هذا، و عمن ترويه، و ممن سمعته؟ أبوك حدثك بهذا و عنه أخذته؟ فقال له قيس بن سعد: أخذته عمن هو خير من أبى و أعظم حقا من أبى. قال: من هو؟ قال: على ابن أبى طالب؛

أخذته من عالم هذه الامة و ربانيها و صديقها و فاروقها الذى أنزل الله فيه ما أنزل: «قل كفى' بالله شهيدا بينى و بينكم و من عنده علم الكتـ'ب.» فلم تكن اية نزلت فيه إلا ذكرها.

فقال معاوية: إن صديقها و فاروقها عمر، والذى عنده علم الكتاب عبدالله بن سلام. قال قيس: أحق بهذه الاشياء وأولى بها الذى أنزل الله فيه: «أفمن كان على' بينة من ربه و يتلوه شاهد منه». الذى أنزل الله فيه : «إنما أنت منذر و لكل قوم هاد» والذى نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. يوم غدير خم فقال: من كنت أولى به من نفسه، فعلى أولى به من نفسه و قال فى غزوة تبوك: أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى. [1]

السابعة: الرسالة التى كتبها عمرو بن العاص إلى معاوية، و ذكر فيها نزول هذه الآية فى أميرالمؤمنين عليه السلام و ذلك لما كتب معاوية إلى عمرو بن العاص، و هو فى فلسطين، يدعوه إلى قتال أميرالمؤمنين على عليه السلام. كتب ابن العاص فى جوابه: «من عمرو بن سعد بن أبى العاص [2] إلى معاوية بن أبى سفيان ؛ أما بعد، فقد وصل لى كتابك فقرأته

١ـ «غاية المرام» ص ٣٦١، الحديث السابع.

٢ـ ذكر ابن أبى الحديد نسب عمرو بن العاص فى شرحه ج ٦، ص ٢٨١. قال: هو عمرو بن العاص بن وائل، أبوه العاص بن وائل أحد المستهزئين برسول الله، والمكاشفين له بالعداوة و الاذى. و فيه و فى أصحابه أنزل قوله تعالى: إنا كفيناك المستهزئين.

وفهمته. فأما ما دعوتنى إليه من خلع ربقة الإسلام من عنقى، والتهور فى الضلالة معك و إعانتى إياك على الباطل و إختراط السيف فى وجه على و هو أخو رسول الله، و وصيه، و وارثه، و قاضى دينه، و منجز وعده، و زوج ابنته سيدة نساء الجنة، و أبو السبطين الحسن و الحسين سيدىشباب أهل الجنة (فلن يكون) .[1]

و أما ما قلت إنك خليفة عثمان فقد صدقت، ولكن تبين اليوم عزلك عن خلافته، و قد بويع لغيره، فزالت خلافتك.

و أما ما عظمتنى به و نسبتنى إليه من صحبة رسول الله، و إنى صاحب جيشه، فلا أغتر بالتزكية و لاأميل بها عن الملة.

و أما ما نسبت أبا الحسن أخا رسول الله و وصيه إل؟ البغى و الحسد لعثمان و سميت أصحابه فسقة، و زعمت أنه أشلاهم على قتله، فهذا كذب و غواية.

ويحك يا معاوية، أما علمت أن أباالحسن بذل نفسه بين يدى رسولالله صلى الله عليه [وآله] ، و بات على فراشه! و هو سابق السبق إلى الإسلام و الهجرة، و قد قال فيه رسول الله: هو منى و أنا منه، و هو منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبى بعدى. و قد قال فيه يوم غدير خم : ألا و من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله.

و هو الذى قال فيه رسول الله يوم خيبر: لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله. و هو الذى قال فيه عليه السلام يوم الطير: اللهم ائتنى بأحب الخلق إليك.[2] فلما دخل عليه قال: و إلى وإلى .

---

١ ـ العبارة بين الاقواس عن مناقب الخوارزمى.

٢ـ و فى مناقب الخوارزمى (بأحب خلقك إليك)

وقد قال فيه يوم النظير: على إمام البررة و قاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله. و قد قال فيه: على وليكم من بعدى، وأكد القول عليك وعلى و على جميع المسلمين و قال: إنى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى. و قد قال: أنا مدينة العلم و على بابها .

و قد علمت يا معاوية ما أنزل الله تعالى فى كتابه فيه من الآيات المتلوات فى فضائله التى لايشركه فيها أحد، كقوله تعالى: **يوفون بالنذر؛ إنما وليكم الله و رسوله و الذين ءامنوا الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكـ'وة و هم ر'كعون؛ أفمن كان على' بينة من ربه و يتلوه شاهد منه و من قبله كتـ'ب موسى'؛ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه؛ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى'.**

و قد قال رسول الله: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ سلمك سلمى و حربك حربى، و تكون أخى و ولى فى الدنيا والآخرة. يا أبا الحسن، من أحبك فقد أحبنى و من أبغضك فقد أبغضنى . ومن أحبك أدخله الله الجنة و من أبغضك أدخله الله النار، و كتابك يا معاوية الذى هذا جوابه ليس مما ينخدع به من له عقل أو دين، و السلام». [1]

و ينبغى أن نعلم أن عمرو بن العاص لم ينطلق فى هذه الرسالة من وحى الإخلاص والحب لسيدنا أميرالمؤمنين على عليه السلام و إن كان مقرا بهذه الفضائل لعلى بن أبى طالب، بيد أنه كتب هذه الرسالة إنكارا لمعاوية و ردا عليه حين رام أن يخدعه برسالته التى كتبها إليه. على أى حال فإن معاوية قد دعاه و وعده بحكومة مصر. و كم نصحه ولده عبدالله وغلامه وردان أن لاينجرف فى تيار معاوية ، لكنه لم يسمع . و بعد

١ـ «غاية المرام» ص ٣٥٩، الحديث الاول، و «المناقب» للخوارزمى، طبع النجف ص ١٢٩ و ١٣٠.

مراسلات جرت بينه و بين معاوية حول حكومة مصر المطلقة بلا قيد أو شرط، رضخ لمعاوية. و أخذ من معاوية الامر فى توليته مصر على شرط القتال مع علىبن أبى طالب. [١] و كان له فى حرب صفين مقام الصدارة و الوزارة فى جيش معاوية.

ذكر ابن أبى الحديد شرحا مفصلا فى ترجمة عمرو بن العاص ضمن شرح الخطبة الثالثة و الثمانين من خطب نهج البلاغة. [٢] و نذكر هنا نبذة منها فى غاية الإيجاز. يقول: أبوه العاص بن وائل **أحد المستهزئين برسول الله والمكاشفين له بالعداوة** و فيه أنزل قوله تعالى: **إنا كفيناك المستهزئين.** [٣] ويلقب العاص بن وائل فى الإسلام بالابتر، لانه كان يقول: سيموت هذا الابتر غدا، فينقطع ذكره، يعنى رسول الله، فأنزل الله سبحانه: **إن شأنئك هو الابتر.** [٤]

أما عمرو (ابن عاص) نفسه فقد كان أحد من يؤذى رسول الله بمكة، و يشتمه و يضع فى طريقه الحجارة، لانه كان يخرج من منزله ليلا فيطوف بالكعبة، و كان عمرو يجعل له الحجارة فى مسلكه ليعثر بها. [٥] وهو أحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنة رسول الله لما خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة، فروعوها و قرعوا هودجها بكعوب الرماح، حتى أجهضت جنينا ميتا من أبى العاص بن الربيع بعلها. فلما بلغ ذلك رسولالله، نال منه و شق عليه مشقة شديدة و لعنهم . [٦]

و كان عمرو يعلم صبيان مكة شعرا فى هجاء النبى ، فينشدونه

---

١ ـ ذكر ابن أبى الحديد فى «شرح نهج البلاغة» ج ٢ من ص ٦١ إلى ٧٣ طريقة التحاق عمرو بن العاص بمعاوية مفصلا ضمن شرح الخطبة السادسة و العشرين .

٢ ـ «شرح النهج» ج ٦ من ص ٢٨٠ إلى ٣٣٠ .

٣ إلى ٦ ـ «شرح النهج» ج ٦، ص ٢٨٢.

ويصيحون برسول الله إذا مربهم. وكان نفسه يهجو رسول الله. فقال رسول‌الله: و هو يصلى بحجر إسماعيل: **اللهم إن عمرو بن العاص هجانى و لست بشاعر فالعنه بعدد ما هجانى** .[١]

(قال سليم بن قيس: قال أميرالمؤمنين: أنشد عمرو قصيدة فى سبعين بيتا فى هجاء رسول الله، فقال رسول الله: اللهم العنه بكل بيت لعنة) .[٢]

و روى أهل الحديث أن النضر بن الحارث، و عقبة بن أبى معيط وعمرو بن العاص عهدوا إلى سلا جمل [٣] فرفعوه بينهم، و وضعوه على رأس رسول الله و هو ساجد بفناء الكعبة، فسال عليه، فصبر و لم يرفع رأسه وبكى فى سجوده و دعا عليهم. فجاءت ابنته فاطمة عليها السلام و هى باكية، فاحتضنت ذلك السلا فرفعته عنه فألقته و قامت على رأسه تبكى فرفع رأسه، و قال ثلاثا: **اللهم عليك بقريش**. ثم قال رافعا صوته: **إنى مظلوم فانتصر**. ثم قام فدخل منزله، و ذلك بعد وفاة عمه أبى طالب بشهرين. [٤] و لشدة عداوة عمرو بن العاص لرسول الله، أرسله أهل مكة إلى النجاشى ليزهده فى‌ا لدين، و ليطرد عن بلاده مهاجرة الحبشة، و ليقتل جعفر بن أبى طالب عنده، و هذا مذكور مشهور فى السير. [٥]

و أما « النابغة» أم عمرو بن العاص [و اسمها سلمى] فقد كانت أمة لرجل من عنزة ، فسبيت ، فاشتراها عبدالله بن جدعان التيمى بمكة .

---

١ ـ «شرح النهج» ج ٦، ص ٢٨٢

٢ ـ كتاب «سليم بن قيس» ص ١٧٢.

٣ ـ السلا رحم يكون فيه الطفل، و إذا انقطع فى البطن هلكت الام و الولد على عكس المشيمة و هى غشاء رقيق داخل الرحم يكون على الطفل و يخرج معه عند الولادة.

٤ و ٥ ـ «شرح النهج» ج ٦ ، ص ٢٨٢.

فكـانت بغيـا ثم أعتقـها، فوقـع عليـها أبـو لهـب بـن عبدالمطلـب، و أميـة بـن خلـف الجمحـى، و هشـام بـن المغـيرة المخزومـى، و أبوسـفيان بـن حـرب والعـاص بـن وائـل السـهمى، فى طـهر واحـد، فولـدت عمـرا، فادعـاه كلـهم فحكمـت أمـه فيـه، فقـالت: هـو مـن العـاص بـن وائـل، و ذاك لان العـاص بـن وائـل كـان ينفـق عليـها كثـيرا، و كـان أبوسـفيان شـحيحا و بخيـلا. و مـع أن عمـرو بـن العـاص كـان أشـبه بـأبى سـفيان لكـن سـلمى نسـبته للعـاص بـن وائـل وليس لابى سفيان. [1]

و مجمـل الكـلام أن عمـرو بـن العـاص لم يتـوان لحظـة واحـدة فى عدائـه لرسـول اللـه حتـى آخـر غـزوة الخنـدق عندمـا رجـع المشـركون إلى مكـة. يقـول عمـرو بـن العـاص: جمعـت رجـالا مـن قريـش كـانوا يـرون رأيـى، و يسـمعون منـى، فقلـت لهـم: إنـى و اللـه لارى أمـر محمـد يعلـو الامـور علـوا منكـرا. و أرى أن نـأتى الحبشـة فنلحـق بالنجاشـى. فـإن ظـهر محمـد علـى قومـه، أقمنـا عنـد النجاشـى، فـأن نكـون تحـت يديـه أحـب إلينـا مـن أن نكـون تحـت يـدى محمـد . فإن ظهر قومنا فنحـن مـن قـد عرفـوا (و لـن يأتينـا منـهم إلا خـير). قـالوا: إن هـذا لرأى . و جمعوا الهدايا الكثيرة و اتجهوا صوب النجاشى.

يقـول عمـرو بـن العـاص : كنـا عنـد النجاشـى بعدمـا جئنـاه بالهدايـا والتحف، إذ قدم عمرو بن امية، و كان رسـول اللـه ـ صلـى اللـه عليـه وآلـه وسـلم بعثـه إليـه فى شـأن جعفـر بـن أبى طـالب و أصحابـه ثم خـرج مـن عنـده. فقلـت لاصحـابى : (آن لى أن أنتقـم مـن محمـد) هـذا عمـرو بـن أميـة لـو قـد دخلـت علـى النجاشـى فسـألته إيـاه فضربـت عنقـه. فدخلـت عليـه فسـجدت لـه (و بعـد السـلام و التحيـة) قلـت لـه : أيهـا الملـك ! إنـى قـد رأيـت رجـلا خرج من عندك ،

١ ـ «شرح نهج البلاغة» ج ٦ ، ص ٢٨٣.

و هو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لاقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا و خيارنا. يقول ابن العاص: فغضب الملك، ثم مديده، فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لى الارض لدخلت فيها فرقا منه . ثم قلت: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا، ما سألتكه. فقال : أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر (جبرائيل الامين) الذى كان يأتى موسى لتقتله؟ فقلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ فقال: أى والله! أطعنى ويحك واتبعه، فإنه والله لعلى حق، و ليظهرن على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون و جنوده. قلت: فبايعنى له على الإسلام، فبسط يده، فبايعته على الإسلام، و خرجت عامدا لرسول الله صلى الله عليه وآله و سلم، فلما قدمت المدينة، جئت إلى رسول الله وقد أسلم خالد بن الوليد، و قد كان صحبنى فى الطريق إليه. فقلت : يا رسول الله، أبايعك على أن تغفر لى ما تقدم من ذنبى. ولم أذكر ما تأخر. فقال: **بايع يا عمرو؛ فإن الآسلام يجب ما قبله و إن الهجرة تجب ما قبلها. فبايعته و أسلمت .**[1]

ويقول إبن عبد البر: إن إسلام عمرو بن العاص كان سنة ثمان، وأنه قدم، و خالد ابن الوليد، و عثمان بن طلحة المدينة، فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **رمتكم مكة بأفلاذ كبدها.**[2]

يتضح لنا من هذه الرواية جيدا أن إسلام عمرو بن العاص لم يكن من دافع خلوص السريرة، و عزم سابق، و إرادة حقيقية، بل إنه لما جوبه برفض النجاشى عندما التجأ إليه بعد أن ارتكب كل جريمة، و دعاه النجاشى إلى الإسلام . لم يجد بدا له ولدينا إلا البيعة و التسليم فى آخر المطاف .

---

١ ـ «شرح نهج البلاغة» شرح الخطبة ٨٣ ، ج ٦ ، ص ٣١٨ و ٣١٩.

٢ ـ «الاستيعاب» ج ٣، ص ١١٨٥.

و بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذات السلاسل من بلاد قضاعة فى ثلاثمائة ليدعوهم إلى الإسلام. و كانت جدته أم العاص‌بن وائل من بلى، فبعثه رسول الله إلى أرض بلى و عذرة، و فى الطريق كتب إلى النبى يستنجده، فأمدة بجيش فيه مائتا فارس بقيادة أبى عبيدة بن الجراح .[١] ثم ولاه رسول الله عمان، فلم يزل عليها حتى قبض رسول الله.[٢] و كان عمر بن الخطاب ولاه بعد موت يزيد بن أبى سفيان فلسطين والاردن . و ولى معاوية دمشق، و بعلبك، و البلقاء. و ولى سعيد بن عامر بن خذيم حمص. ثم جمع الشام كلها لمعاوية، وكتب إلى عمروبن العاص أن يسير إلى مصر. فسار إليها ابن العاص فافتتحها، فلم يزل عليها واليا حتى مات عمر. فأمره عثمان عليها أربع سنين و نحوها، ثم عزله عنها و ولاها عبدالله بن سعد بن أبى سرح العامرى .[٣]

يقول ابن عبد البر: إن عمرو بن العاص ادعى [فى زمان ولايته] على أهل الإسكندرية أنهم قد نقضوا العهد الذى كان عاهدهم، فعمد إليها فحارب أهلها، و افتتحها، و قتل المقاتلة و سبى الذرية. فنقم ذلك عليه عثمان، و لم يصح عنده نقضهم العهد، فأمر برد السبى الذين سبقوا من القرى إلى مواضعهم، وعزل عمرا عن مصر، و ولى عبدالله بن سعد بن أبى سرح العامرى مصرا بدله. فكان ذلك بدو الشر بين عمرو بن العاص وعثمان بن عفان. فلما بدا بينهما من الشر مابدا، اعتزل عمرو فى ناحية فلسطين بأهله[٤] و بعد قتل عثمان ، و بيعة المهاجرين و الانصار

١ ـ «شرح النهج» ابن أبى الحديد ج ٦ ، ص ٣٢٠؛ و «الاستيعاب» ج ٣، ص ١١٨٦.
٢ ـ «شرح النهج» ج ٦ ، ص ٣٢٠.
٣ـ «شرح النهج» ج ٦ ، ص ٣٢٠ ؛ و «الاستيعاب» ج ٣ ، ص ١١٨٧.
٤ ـ «شرح النهج» ج ۶، ص ٣٢١؛ و «الاستيعاب» ج ٣، ص ١١٨٧

أميرالمؤمنين عليا عليه السلام بالخلافة، و تمرد معاوية بادعائه حكومة الشام، و رفض الإمام ذلك، كتب معاوية إلى عمرو بن العاص فى فلسطين يستنجده لقتال أميرالمؤمنين. و هذه هىالرسالة التى نقلناها آنفا. و ذكرنا جواب عمرو بن العاص مفصلا. وعندما وصل جوابه إلى معاوية، كتب إليه معاوية كتابا آخر وعده فيه بحكومة الامصار و الاموال الطائلة، و كتب فى آخره هذه الابيات الثلاثة.

جهلت و لم تعلم محلك
و أرسلت شيئا من عتاب و ما تدرى
فثق بالذى عندى لك اليوم آنفا
من العز و الإكرام والجاه والقدر
فأكتب عهدا ترتضيه مؤكدا
و أشفعه بالبذل منى و بالبر

فكتب إليه عمرو بن العاص مجيبا بهذه الابيات:

أبى القلب منى أن أخادع بالمكر
بقتل ابن عفان أجر إلى الكفر
و إنى لعمر و ذو دهاء و فطنة
و لست أبيع الدين بالربح والوفر
فلو كنت ذا رأى و عقل و حيلة
لقلت لهذا الشيخ إن خاض فى الامر
تحية منشور جليس مكرم
بخبط [بخط] صحيح ذىبيانعلىمصر
أليس صغيرا ملك مصر ببيعة
هى العار فى الدنيا على العقب من عمرو

فـإن كنـت ذا ميـل شديد إلى العلى
وإمـرة أهـل الـديـن مثـل أبى بـكر
فأشـرك أخـا رأى و حـزم و حيلة
معـاوى فـى أمـر جليـل لـذى الذكر
فـإن رواء الليـث صعب على الورى
و إن غـاب عمرو زيـد شـر إلى شـر[1]

و خلاصـة الكـلام أن عمـرو بـن العـاص يقـول هنـا بأنـه حـازم فطـن ذودهـاء. و أن معاويـة إذا أشـركه فى الرئاسـة، فإنـهما يسـتطيعان الوقـوف بوجـه الليـث الباسـل علـى بـن أبى طـالب. و إلا فـإن معاويـة و حـده لايسـتطيع ولايجـنى مـن عملـه إلا الدمـار و الشـر. و بعـد أن قـرأ معاويـة كتـاب عمـرو كتب إليـه كتابـه فى توليـة مصـر. و عندمـا وصـل الكتـاب إلى عمـرو بـن العـاص ذهـب بـه مذاهـب شـتى، وفكرمـاذايفعل،فاستشـار ابنيـه: عبداللـه ومحمـد، فنـهاه عبداللـه عـن الرحيـل نحـو معاويـة قـائلا لـه: لسـت مجعـولا خليفـة، ولاتزيـد علـى أن تكـون حاشـية لمعاويـة علـى دنيـا قليلـة أو شـكتما أن تهلكـا، فتسـتويا فى عقابهـا. أمـا محمـد فقـد قـال لـه: أرى أنـك شـيخ قريـش ، وصـاحب أمرهـا و إن تصـرم هـذا الامـر و أنـت غـافل، تصـاغر أمـرك، فـالحق بجماعـة أهـل الشـام، طالبـا بـدم عثمـان، فإنـه سـيقوم بذلـك بنـو أميـة . فقـال عمـرو، أمـا أنـت يـا عبداللـه، فـأمرتنى بمـا هـو خـير لى فى ديـنى، و أنـت يـا محمـد فـأمرتنى بمـا هـو خـير لى فى دنيـاى، و أنـا نـاظر، فلمـا جنـه الليـل، رفـع صوته و أهله يسمعون، فقال:

تطـاول ليـلى بالهـمـوم الطـوارق
و خـوف التـى تجلـو وجـوه العواتق

١ ـ «مناقب» الخوارزمى ص ١٣٠ و ١٣١

و إن لبـن هنـد سـالنى أن أزوره
و تـلك التـى فيهـا بنات البوائق[١]
أتـاه جـرير مـن عـلى بخطـة
أمـرت عليـه العيش ذات مضائق
فـإن نـال مـنى مـا يـؤمـل رده
و إن لـم ينلـه ذل ذل المـطابـق
فـوالله مـا أدرى و مـا كنـت هكذا
أكـون و مـهمـا قـادنى فهو سابقى
أخـادعـه إن الخـداع دنيـة
أم أعطيـه مـن نفسى نصيحة و امق
أم أقعـد فـى بيتـى و فى ذاك راحة
لشـيخ يخـاف الموت فى كل شارق
و قـد قـال عبـدالله قولا تعلقت
به النفـوس إن لم تقتطعنـى عوائقى
و خـالفـه فيـه أخـوه مـحمـد
و إنـى لصـلب العـود عند الحقائق[٢]

فلمـا أسـفر الصبـح، أراد عمـرو أن يستشـير غلامـه وردان، و كـان داهيـة مـاردا، ولكنـه قبـل أن يطلـق لسـانه بـالكلام، بـادره وردان قـائلا: إن شـئت أنبـأتك بمـا فى قلبـك؟ فقـال عمـرو: هـات. قـال وردان: اعـتركت الدنيـا والآخـرة علـى قلبـك، فقلـت: علـى معـه الآخـرة فىغـير دنيـا، و فى الآخـرة عـوض مـن الدنيـا ، و معـاويـة مـع الدنيـا بغير آخـرة ، و ليس فىالدنيا عوض من

١ ـ البائقة: الداهية، و الجمع البوائق. (م)
٢ـ «شرح نهج البلاغة» ابن أبى الحديد ، ج ٢، ص ٦٢ .

الآخرة، و أنت واقف بينهما! قال: قاتلك الله! ما أخطأت ما فى قلبى فما ترى يا وردان؟ قال: أرى أن تقيم فى بيتك، فان ظهر أهل الدين، عشت فى عفو دينهم. و إن ظهر أهل الدنيا، لم يستغنوا عنك.[1] ولكن عمرو تهيأ للرحيل، و هو يقول:

يا قاتل الله وردانا و مدحته
أبدى لعمرك ما فى النفس وردان
لما تعرضت الدنيا عرضت لها
بحرص نفسى و فى الاطباع إدهان
نفس تعف و أخرى الحرص يغلبها
والمرء يأكل تبنا و هو غرثان
أما على فدين ليس يشركه
دنيا و ذاك له دنيا و سلطان
فاخترت من طمعى دنيا على بصر
و ما معى بالذى أختار برهان
إنى لاعرف ما فيها و ابصره
و فى أيضا لما أهواه ألوان
لكن نفسى تحب العيش فى شرف
و ليس يرضى بذل العيش إنسان [3]

فجد عمرو بن العاص السير حتى بلغ مفترقا يتشعب إلى طريقين : أحدهما طريق العراق ، والآخر طريق الشام . فمنعه عبدالله ووردان من

١ ـ «شرح نهج البلاغة» ابن أبى الحديد ج ٢، ص ٦٣
٢ ـ فى «مناقب» الخوارزمى: وفطنته.
٣ ـ «شرح نهج البلاغة» ابن أبى الحديد ج ٢، ص ٦٣ ؛ و «مناقب» الخوارزمى ص ١٣١.

السير نحو الشام قائلين له: الآخرة فى طريق العراق، لكن عمرو بن العاص لم يطاوعهما فعرج نحو الشام.[1] و دخل على معاوية، و ثبت له الامر بولاية مصر، و علم معاوية كيف يخدع الناس بالاخذ بثأر عثمان خليفة رسول الله متظاهرا أن عليا و أصحابه هم الذين قتلوه. فأرسلا على شرحبيل‌بن السمط و هو شيخ الشام و أميرها فخدعاه بأن عليا هو الذى قتل عثمان فلابد من قتاله أخذا بثأر الخليفة المظلوم. فانخدع ذلك الرجل المسكين وأعلن للناس عن وجوب متابعة معاوية، و أن لايألوا جهدا فى الاخذ بثأر عثمان. و تمخض ذلك كله عن حرب صفين.

ذكروا أن مائة ألف قد قتلوا فى تلك الحرب حتى كاد النصر أن يكون لاميرالمؤمنين عليه السلام فى ليلة الهرير، لولا خطة ماكرة جديدة طرحها عمرو بن العاص، و هى رفع المصاحف على الرماح مما أدى إلى حدوث الاضطراب و التضعضع فى جيش الإمام، و بدا عليهم الضعف و الفتور واستغل المنافقون المندسون فى جيشه الموقف فأرغموه على التسليم لأمر الحكمين. و خدع عمروبن العاص حكم أهل الشام أبا موسى الاشعرى حتى حكم بعزل أميرالمؤمنين عن الخلافة. و فى هذا الموقف لاحت البوادر الاولى لانشقاق الخوارج، فشكلوا لهم جبهة فى مقابل الإمام. و لم يقر الإمام عليه السلام بالتحكيم و اعتبره خدعة... ثم إنه استعد مرة أخرى لقتال أهل الشام للإطاحة بحكومة معاوية الفاسدة، و جهز جيشا عدته مائة ألف، و كاد أن يتحرك لولا سيف ابن ملجم المرادى أحد الخوارج الحمقى إذ فلق هامته، فانتقل من هذه الدار المتعبة إلى جوار ربه حيث الأمن والامان و السعادة.

---

١ ـ «مناقب» الخوارزمى ص ١٣٢.

تحرك عمرو بن العاص إلى مصر أيام خلافة الإمام أميرالمؤمنين وقتل محمد بن أبى بكر والى الإمام على مصر. و عمل كل ما فى جهده لتوسيع رقعة حكومته، و لم يقصر لحظة واحدة طيلة حياته عن عداء أهل البيت. و حدث مرة أنه عير الإمام الحسن عليه السلام و عابه فى مجلس معاوية.[1] و كذلك وبخ عبدالله بن جعفر.[2] لكن الإمام الحسن عليه‌السلام وعبدالله بن جعفر أجاباه جوابا شافيا و كشفا للملاسيئاته و قبائحه وجرائمه.

إن قصدنا من ترجمة عمرو بن العاص هنا هو: أولا: ظهر لنا أن إيمانه كان سطحيا لم ينفذ إلى أعماق قلبه، فما أن أقبلت إليه الدنيا حتى طلق دينه و باع نفسه و دينه بولاية مصر. ثانيا: على الرغم من العداء الذى كان يكنه عمرو لاميرالمؤمنين، بيد أنه أفصح فى البداية عن مناقبه وفضائله، و لم يمتنع عن الاعتراف بها، و ذكر فى رسالته الاولى إلى معاوية بكل صراحة عشرين منقبة من مناقب أميرالمؤمنين التى جاءت فى الروايات المأثورة، والفضل ما شهدت به الاعداء. و مما اعترف به هو الآية التى هى مدار بحثنا: **أفمن كان على' بينة من ربه و يتلوه شاهد منه**، إذ صرح على أنها نزلت فى أميرالمؤمنين على عليه السلام.

الثامنة: رواية مأثورة عن الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام روى ابن المغازلى بسنده عن عباد بن عبدالله، قال: **سمعت عليا [عليه السلام] يقول فى خطبة: ما نزلت آية من كتاب الله إلا و قد علمت متى أنزلت، و فيمن أنزلت، و ما من قريش رجل إلا و قد أنزلت فيه آية من**

١ـ «شرح نهج البلاغة» ابن أبى الحديد ج ٦، ص ٢٨٧.

٢ ـ «شرح النهج» ج ٦ ، ص ٢٩٥

كتاب الله عز وجل تسوقه إلى جنة أو نار. قال رجل: يا أميرالمؤمنين فما نزل فيك؟ قال: أما تقرأ: أفمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه ـ الآية؟ **فرسول الله صلى الله عليه** [وآله] **وسلم على بينة من ربه و أنا التالى الشاهد منه**؛ أيضا عن زين العابدين، والباقر، الصادق عليهم السلام ذكروا هذا الحديث. نقل القندوزى الحنفى هذه الرواية عن إبن المغازلى.

التاسعة: الروايات المأثورة عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام روى الشيخ الطوسى فى أماليه بسنده عن على بن الحسين، عن الحسن فى خطبة طويلة ألقاها بحضور معاوية، قال فيها: **أقول معشر الخلائق و لكم أفئدة و أسماع: و هو: إنا أهل بيت أكرمنا الله بالآسلام واختارنا و اصطفانا و اجتبانا فأذهب عنا الرجس و طهرنا تطهيرا، والرجس هو الشك، فلا نشك فى الله الحق و دينه أبدا، و طهرنا من كل أفن و عيبة مخلصين إلى آدم نعمة منه، لم يفترق الناس فرقتين إلا جعلنا الله فى خيرما فات الامور إلى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم للنبوة واختاره للرسالة و أنزل عليه كتابه ثم أمره بالدعاء إلى الله عز وجل فكان أبى عليه السلام أول من استجاب لله تعالى و لرسوله و أول من آمن و صدق الله و رسوله. و قد قال الله تعالى فى كتابه المنزل على نبيه المرسل: «أفمن كان على' بينة من ربه و يتلوه شاهد منه» فرسول الله الذى على بينة من ربه و أبى الذى يتلوه و هو شاهد منه ـ و ساق الخطبة و هى طويلة.** [1] و قد نقل الشيخ الطوسى بسنده عن الإمام الحسن هذه الخطبة الطويلة جدا حتى آخرها. و نقل العلامة الطباطبائى فى تفسيره عن أمالى الشيخ شيئا منها بمقدار الحاجة عند تفسيره الآية المذكورة . [2] و نقل القندوزى الحنفى أيضا

---

١ ـ «غاية المرام» ص ٣٦١ ، الحديث الخامس .

٢ـ تفسير «الميزان» ج ١٠، ص ١٩٩.

خطبة الإمام الحسن، و الاستشهاد بهذه الآية الشريفة.[١]

العاشرة: روايات جمة أثرت عن أميرالمؤمنين عليه السلام نفسه. وتقسم هذه الروايات إل؟ أقسام من حيث المضمون :

الاول: روايات جاء فيها استشهاد الإمام بالآية المذكورة فقط. فقد روى ابن شهرآشوب عن الحافظ أبى نعيم الاصفهانى، عن ابن عباس بثلاثة طرق، أنه قال :

سمعت عليا يقول : قول الله تعالى: «أفمن كان على' بينة من ربه و يتلوه شاهد منه» رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عل؟ بينة و أنا الشاهد.[٢]

و نقل الشيخ سليمان القندوزى مثل هذه الرواية عن الحموينى فى «فرائد السمطين» عن ابن عباس، و عن زاذان، عن أميرالمؤمنين عليه‌السلام.[٣] وكذلك عن الحموينى بإسناده عن جابربن عبدالله وبإسناده الآخر عن البخترى، وكلاهما روى عن أميرالمؤمنين عليه‌السلام.[٤] و روى أيضا عن أبىنعيمالاصفهانى، و الثعلبى، والواقدى بأسانيدهم عن ابن عباس، و زاذان، و جابر، و كلهم رووا عن أميرالمؤمنين عليه السلام .[٥] و نقل العلامة الطباطبائى مد ظله ذلكعن«تفسير البرهان» عن ابن مردويه ، عن أميرالمؤمنين عليه السلام.[٦] و رواه السيوطى عن أبىحاتم، و ابن مردويه ، و أبى نعيم فى كتاب « معرفة الصحابة » ،[٧] و عن ابنمردويه، و ابن

١ـ «ينابيع المودة» ص ٩٩.
٢ ـ تفسير «الميزان» ج ١٠، ص ٢٠١.
٣ إلى ٥ ـ «ينابيع المودة» الباب ٢٦، ص ٩٩.
٦ ـ تفسير «الميزان» ج ١٠، ص ٢٠١.
٧ – «الدر المنثور» ج ٣، ص ٣٢٤.

عساكر، [١] أيضا، عن أميرالمؤمنين عليه السلام. و رواه الحاكم‌الحسكانى بسند واحد عن عباد بن عبدالله ، [٢] و بسند ثان عن عباد بن عبدالله أيضا ، [٣] و بسند ثالث عن الحارث، عن أميرالمؤمنين عليه‌السلام .[٤]

الثانى : روايات يقول فيها الإمام: لو ثنيت لى وسادة، فأجلست عليها لحكمت بين جميع أهل الاديان السماوية بكبتهم، و فى تضاعيف كلامه ذكر نزول الآية المشار إليها فيه. روى الحموينى فى «فرائد السمطين» بسلسلة سنده عن زاذان أنه قال :

سمعت عليا يقول: والذى فلق الحبة و برأ النسمة لو كسرت لى وسادة (يقول ثنيت) فأجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم ، و بين أهل الآنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الزبور بزبورهم، و بين أهل الفرقان بفرقانهم. والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما من رجل من قريش جرت عليه المواسى إلا و أنا أعرف آية تسوقه إلى جنة أو تسوقه إلى نار، فقام رجل فقال: فأنت أيش [٥] نزل فيك؟

فقال على ـ عليه السلام ـ «أفمن كان على' بينة من ربه و يتلوه شاهد منه» فرسول الله عليه [وآله] وسلم على بينة من ربه و يتلوه أنا شاهد منه .[٦]

و روى مثل هذه الرواية : الثعلبى فى تفسيره أيضا عن زاذان ، عن

١- «الدر المنثور» ج ٣، ص ٣٢٤ .

٢ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٧٥.

٣ـ «شواهد التنزيل»، ص ٢٧٦.

٤ـ «شواهد التنزيل» ص ٢٧٨.

٥ ـ مختصر «أى شىء».

٦ ـ «غاية المرام» ص ٣٥٩، الحديث الرابع نقلا عن «فرائد السمطين».

الإمام، [١] و محمد بن الحسن الصفار فى « بصائر الدرجات » عن الاصبغ بن نباتة، عن أميرالمؤمنين، [٢] و العلامة الطباطبائى عن «بصائر الدرجات»، [٣] والحاكم الحسكانى بسندين، أحدهما عن فرات بن إبراهيم الكوفى بسنده عن حبيب بن يسار ، [٤] و رواه الطبرى بإسناده عن جابر بن عبدالله، عن أميرالمؤمنين عليه السلام. [٥]

و الرواية التى تتكفل ببيان مواصفات كلام الإمام بشكل خاص ، و بنحو مفصل، هى التى رواها الحموينى بسلسلة سنده عن أبى المؤيد موفق بن أحمد المكى بسلسلة سنده عن طريق العامة عن نوح بن قيس ، عن الاعمش، عن عمر بن مرة، عن أبى البخترى قال: **رأيت ابن عم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم عليا عليه السلام صعد المنبر بالكوفة عليه مدرعة كانت لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم متقلدا بسيف رسول الله متعمما بعمامة رسول الله و فى اصبعة خاتم رسول الله فقعد عليه السلام على المنبر و كشف عن بطنه و قال اسألونى من قبل أن تفقدونى فإن ما بين الجوانح منى علم جم، هذا سفط العلم هذا لعاب رسول الله، هذا مازقنى رسول الله زقا من غير وحى أوحى إلى فوالله لو ثنيت لى الوسادة فجلست عليها لافتيت لاهل التوراة بتوراتهم و لاهل الآنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الله التوراة والآنجيل فتقول: صدق على، قد أفتاكم بما أنزل فى ؛ و أنتم تتلون الكتاب ـ أفلا تعقلون ـ : و يتلوه شاهد**

١ ـ «غاية المرام» ص ٣٦٠، الحديث التاسع.
٢ ـ «غاية المرام» ص ٣٦١، الحديث الثالث.
٣ ـ تفسير «الميزان» ج ١٠، ص ٢٠٠.
٤ ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٨٠.
٥ ـ «غاية المرام» ص ٣٦٠، الحديث العاشر.

منه. [١]

الثالث : روايات أثرت عن الإمام فى شأن نزول الآية، ليس فيها عبارة **لو ثنيت لى الوسادة،** بل قال الإمام فقط: ما من رجل من قريش جرت عليه المواسى إلا و أنا أعرف آية تسوقه إلى جنة أو تسوقه إلى نار، فقام إليه ابن الكواء فقال: و ما أنزل فيك؟ و لايذكر اسمه فى أغلب هذه الروايات بل يقول: قام إليه رجل و سأله، و يقرأ الإمام قوله تعالى: **أفمن و كان على' بينة من ربه و يتلوه شاهد منه.** و يفسره بأن المراد من صاحب البينة رسول الله، و الشاهد هو نفسه، و يقول فى بعضها: والله لان تعلمون ما خصنا الله به أهل البيت أحب إلى مما على الارض من ذهبة حمراء أو فضة بيضاء.

و من هذه الروايات رواية رواها ابن المغازلى الشافعى بسنده عن عبادبن عبدالله ، قال :

سمعت عليا يقول: ما نزلت آية فى كتاب الله جل وعزـ إلا وقد علمت متى نزلت و فيم أنزلت ، و ما من قريش و رجل إلا قد نزلت فيه آية من كتاب الله تسوقه إلى جنة أو نار. فقام إليه رجل فقال: يا أميرالمؤمنين فما نزلت فيك؟ فقال: لولا أنك سألتنى على رؤوس الملآ ما حدثتك ! أما تقرأ: أفمن كان على' بينة من ربه و يتلوه شاهد منه؟ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم على بينة من ربه و أنا الشاهد منه، أتلوه وأتبعه والله لان تعلمون ما خصنا الله عزوجل به أهل البيت أحب إلى مما على الارض من ذهبة حمراء أو فضة بيضاء . [٢]

---

١ ـ «غاية المرام» ص ٢٩٥، الحديث السادس

٢ـ «مناقب» ابن المغازلى، الحديث ٣١٨ ، ص ٢٧٠ .

و ذكر الشيخ سليمان القندوزى [١] هذه الرواية بإيجاز عن ابن المغازلى، و رواها السيوطى، عن أبى حاتم و ابن مردويه، كما رواها أبو نعيم الاصفهانى فى كتاب «معرفة الصحابة» [٢] و الحاكم الحسكانى تحت الحديث ٣٧٥ عن عبدالله بن نجى، والحديث ٣٧٩ بسند آخر عن جابر، عن عبدالله بن نجى، والحديث ٣٨٦ عن زاذان، [٣] و ذكرها أيضا أبو نعيم الاصفهانى فى ترجمة أميرالمؤمنين من كتاب «معرفة الصحابة» فى الورقة الثانية و العشرين، عن الطبرانى بسنده عن عباد بن عبدالله الاسدى. [٤] و كذلك ذكرها الطبرى فى تفسيره فى ذيل الآية الكريمة ج ١٢ ص ١٥ بسلسلة سنده عن عبدالله بن يحيى. [٥]

كما ذكرها أبو الفتوح الرازى نقلا عن «تفسير الثعلبى» بإسناده عن حبيب بن يسار، عن زاذان. [٦]

و رواها العلامة السيد هاشم البحرانى فى «غاية المرام» عن طريق العامة تحت عنوان: الحديث الخامس من الباب الحادى و الستين، عن الحموينى بسلسلة سنده عن جابر بن عبدالله، [٧] و عن الواحدى بإسناده عن عبادبن عبدالله تحت عنوان : الحديث السابع ، [٨] و عن كتاب «نضح

١ـ «ينابيع المودة» باب ٢٦، ص ٩٩.
٢ ـ «الدر المنثور» ج ٣، ص ٣٢٤.
٣ ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٧٦ إلى ٢٨١.
٤ ـ «شواهد التنزيل» ج ١، هامش ص ٢٧٧.
٥ ـ «شواهد التنزيل» ج ١، هامش ص ٢٧٩.
٦ ـ «تفسيرابى‌الفتوح» ج ٦ ، ص ٢٥٦ .
٧ـ «غاية المرام» باب ٦١ ، ص ٣٥٩ .
٨ـ «غاية المرام» باب ٦١، ص ٣٦٠.

الخطيب» مرفوعا، عن ابن الكواء [١] تحت عنوان: الحديث الرابع عشر، و عن القاضى عثمان بن أحمد، و أبى نصر القشيرى فى كتبهم تحت عنوان: الحديث الخامس عشر.[٢]

و عن الثعلبى مرفوعا، عن أميرالمؤمنين عليه السلام تحت عنوان : الحديث التاسع عشر، [٣] و عن ابن المغازلى الشافعى مرفوعا عن عبادبن عبدالله الاسدى تحت عنوان: الحديث (العشرون)، [٤] و عن الجبرى تحت عنوان : الحديث الحادى (والعشرون)، [٥]

و عن ابن أبى الحديد فى «شرح نهج البلاغة» عن عبدالله بن الحارث تحت عنوان: الحديث الثانى (والعشرون) [٦] و عن ابن أبى الحديد أيضا فى «شرح النهج» عن صاحب كتاب «الغارات» عن المنهال بن عمرو ، عن عبدالله بن الحارث (غاية المرام، باب ٦٠ ، الحديث ٢٣ ، ص ٣٦٠) .

و رواه أيضا عن طريق الخاصة، فقد نقله عن الشيخ الطوسى فى «الامالى» بإسناده عن أميرالمؤمنين عليه السلام تحت عنوان: الحديث الرابع من الباب الثانى و الستين، [٧] و عن الشيخ المفيد فى «الامالى» بسنده عن عباد بن عبدالله تحت عنوان: الحديث السادس ، [٨] و عن العياشى، عن جابر بن عبدالله بن يحيى عن أميرالمؤمنين عليه السلام تحت عنوان : الحديث التاسع، [٩] و تحت على بن عيسى الإربلى فى «كشف الغمة» [١٠] عن عباد بن عبدالله الاسدى، عن أميرالمؤمنين عليه السلام.

و نقله العلامة الطباطبائى مد ظله عن تفسير « الدر المنثور» بتخريج

١ إلى ٨ ـ «غاية المرام» باب ٦١، ص ٣٦٠ .

٩ إلى ١٠ ـ «غاية المرام» باب ٦٢، ص ٣٦٢.

أبی نعیم، و إبن أبی حاتم، و ابن مردویه، عن أمیرالمؤمنین علیه السلام، [١] و رواه العلامة المجلسی عن «أمالی» الشیخ بإسناد أخی دعبل، عن الإمام الرضا، عن أبائه، عن أمیرالمؤمنین علیه السلام،[٢] و کذلك عن «تفسیر علی بن إبراهیم» عن أبیه بإسناده عن أبی بصیر، والفضیل بن یسار عن الإمام محمد الباقر علیه السلام.[٣] و عن «الاحتجاج» للشیخ الطبرسی، عن سلیم بن قیس الهلالی الکوفی،[٤] و عن «بصائر الدرجات» بإسناده عن الاصبغ بن نباته،[٥] و عن «تفسیر العیاشی» أیضا عن جابر بن عبدالله الانصاری، عن عبدالله بن یحیی، [٦] و عن «مناقب» ابن شهرآشوب، عن «تفسیر الطبری» بإسناده عن جابر بن عبدالله، عن أمیرالمؤمنین علیه السلام عن الاصبغ بن نباته، و الإمام زین العابدین، والباقر، والصادق والرضا علیهم السلام ،[٧] وأیضا عن «مجالس» الشیخ المفید بإسناده عن عباد بن عبدالله . [٨]

و عن « تفسیر فراتبن إبراهیم » بثمانیة أسناد : الاول : عن الحسین بن سعید بإسناده عن عباد بن عبدالله. [٩] الثانی: عن جعفر بن محمد الفزاری بإسناده عن زاذان.[١٠] الرابع: عن جعفر بن محمد بن هشام بإسناده عن الحسن بن الحسین. [١١] الخامس: عن الحسین بن الحکم بإسناده عن عبدالله بن عطا عن الإمام الباقر علیه السلام. [١٢] السادس: عن الحسین بن سعید بإسناده عن زاذان بنص آخر غیر النص المتقدم. [١٣] السابع : عن محمد بن عیسی بن زکریا الفلاح بإسناده عن عباد بن

١ ـ تفسیر «المیزان» ج ١٠، ص ٢٠٠.
٢ إلی ٧ ـ «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٣.
٨ إلی ١٣ ـ «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٤.

عبدالله. [١] الثامن: عن عبيد بن كثير بإسناده عن عبدالله بن يحيى.[٢] و كذلك رواه عن «كشف الغمة» عن أبى بكر بن مردويه، عن عباد بن عبدالله الاسدى، [٣] و أيضا عن «الطرائف» للسيد ابن طاووس، عن ابن المغازلى. [٤]

إن جميع هذه الروايات ـ فى الحقيقة ـ والروايات التى تقدمت عليها تنبى عن قضية واحدة، و هى صعود أميرالمؤمنين عليه السلام على المنبر فى مسجد الكوفة و انشغاله بالحديث عن علومه الكثيرة، و قيام شخص و سؤاله عن الآية النازلة بحقه، و جواب الإمام بتلاوة الآية المشار إليها و تفسيرها. وصفوة القول إن كل واحد من الرواة نقل القسم الذى يرتئيه من هذه الواقعة. مضافا إلى ذلك أن النقل لما كان يتركز على المعنى، لذلك رويت العبارة المنقولة عنه بألفاظ متنوعة لاتخل بالمعنى ، و أغلب الظن أن أتم رواية مأثورة من حيث كيفية الخطبة، و سؤال ذلك الرجل عن شأن نزول آية فى الإمام عليه السلام هى الرواية التى نقلها الشيخ أبو الفتوح الرازى عن كتاب «نصح الخطيب». قال: صعد أميرالمؤمنين عليه السلام ذات يوم على منبر مسجد الكوفة فقال: **سلونى قبل أن تفقدونى فإن العلم يفيض بين جنبى فيضا لو وجد مستفاضا. ألا و إنكم لن تسألونى عن فئة باغية و أخرى هادية إلا أخبرتكم بهاديها و باغيها و سائقها و قائدها إلى يوم القيامة.**

فقام ابن الكواء و قال: **ما ادعى مثله نبى و لا وصى.** فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: أنت لاتسأل تفقها بل تسأل تعنتا. فقال له ابن

---

١ ـ «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٣.

٢ إلى٤ ـ «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٤.

الکواء: أمرنا أن نسأل عما لا نعلم. فقال له الإمام: **سل تفقها و لا تسأل تعنتا، و سل عما یعنیك.**

فقال ابن الکواء: سأسأل عما یعنینی. فقال له الإمام: سل. فقال : **أخبرنی ما الذاریات ذرو ا؟ قال: تلك الریاح. قال: الحـ'ـملات وقرا ؟** قال : السحاب الثقال . قال : **الجـ'ـریات یسرا ؟** قال: الفلك التی تجری فی البحر. قال: **المقسمـ'ـت أمرا؟** قال: الملائکة الذین یقسمون أرزاق الناس، قال: أین یکون **البیت المعمور؟** قال: هو بیت فی السماء یدخله فی کل یوم سبعون ألف ملك فوجا فوجا، و یدخل الفوج الاول فیه مرة أخری حتی یوم القیامة . قال: ذوالقرنین ملك أو نبی؟ قال ما کان ذوالقرنین ملکا ولانبیا بل کان عبدا صالحا لله، أحب الله و أحبه الله ، و کان ینصح عبادالله. قال: قرناه من ذهب أو من فضة؟ قال: ما کان له قرن، فلا ذهب ولافضة. إنه قومه دعام إلی الله فضربوه علی قرنه الأیمن ، فغاب عنهم زمانا ثم جاءهم و دعاهم إلی الله ثانیا فضربوه علی قرنه الأیسر (فقیل له: ذاالقرنین). و فیکم مثله (یقصد نفسه إذ ضرب بالسیف علی رأسه ضربتین: الاولی فی غزوة الاحزاب، ضربه عمرو بن عبدود ، و الاخری فی محراب العبادة ضربه ابن ملجم المرادی، و لذلك قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: علی فاروق هذه الامة و صدیقها و ذوقرنیها) .[1]

١ـ یقول ابن شهرآشوب فی الجزء الاول من «المناقب» ص ٥٦٩: أبو عبید فی «غریب الحدیث»: إن النبی قال لامیرالمؤمنین: إن لك بیتا فیالجنة و إنك لذو قرنیها . سوید بن غفلة وأبو الطفیل: قال أمیرالمؤمنین: إن ذا القرنین کان ملکا عادلا فأحبه الله و ناصح الله فنصحه الله، أمر قومه بتقوی الله فضربوه علی قرنه بالسیف فغاب عنهم ماشاءالله ، ثم رجع إلیهم فدعاهم إلی الله فضربوه علی قرنه الآخر بالسیف فذلك قرناه ،

قال: أخبرنى فيمن نزلت هذه الآية: **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا و أحلوا قومهم دار البوار؟** قال: **هما الا فجران من قريش: بنو أمية و بنو المغيرة.** قال: أخبرنى عن قوله تعالى: **قل هل أنبئكم بالاخسرين أعمالا؟** قال: **أهل حروراء، يقصد الخوارج.** قال: أخبرنى ما هى المجرة؟ **قال: شراج السماء منها هبط الماء المنهمر.** قال: فما قوس قزح؟ قال الإمام: لاتقل قزح، لانه اسم الشيطان، قل: قوس الله، و فيه الامان من الغرق. قال: أخبرنى عن محاق الهلال. فتلا الإمام قوله تعالى : **و جعلنا اليل والنهار ءايتين فمحونا ءاية اليل و جعلنا ءاية النهار مبصرة .** قال : أخبرنى عن أصحاب رسول الله . قال الإمام: عمن أخبرك؟ قال: عن عبدالله بن مسعود؟ قال: **قرأ القرآن ثم وقف عنده.** قال: أخبرنى عن أبى ذر. قال: **عالم شحيح على علمه.** قال: أخبرنى عن سلمان. قال: **أدرك علم الاول و اىخر و هو بحر لا ينزح (و من لك بلقمان الحكيم)**[1] **و هو منا أهل البيت.** قال: أخبرنى عن حذيفة بن اليمان. قال : **عراف بالمنافقين، و سأل رسول الله عن المضلات، و إن سألتموه وجدتموه خبيرا بها.** قال: أخبرنى عن عمار بن ياسر. قال: **خالط الإسلام لحمه و دمه و هو محرم على النار، كيفما دار الحق دار معه.**

قال: أخبرنى عن نفسك. قال: **قال الله تعالى: فلا تزكوا أنفسكم وكذلك قال: و أما بنعمة ربك فحدث. كنت أول داخل و آخر خارج ، و كنت إذا سألت أعطيت، و إذا سكت ابتديت، و بين جوانحى علم جم .**

و فيكم مثله ـ يعنى نفسه ـ لانه ضرب على رأسه ضربتين إحداهما يوم الخندق و الثانية ضربة ابن ملجم

١ـ أى هو مثل لقان الحكيم.

قال : ما نزل فى حقك من القرآن؟ قال: ألم تقرأ سورة هود: **أفمن كان على' بينة من ربه و يتلوه شاهد منه؟** فصاحب البينة من ربه رسول الله والشاهد عليه الذى يتبعه هو أنا. قال ابن الكواء: و **حقك لا اتبعت أحدا بعدك** . [١]

يقول المرحوم الميرزا أبوالحسن الشعرانى فى تعليقه على تفسير هذه الآية: ذكر المجلسى فى «بحار الانوار» هذه الرواية عن كتاب «الغارات» لإبراهيم الثقفى. إلا أنه ذكر لفظ شرج السماء بصيغة المفرد بدل لفظ **شراج السماء**. و الشرج هو مسيل الماء. و كأن الإمام أراد أن يشبه طرق السماء المضيئة بمسيل الماء على الارض . [٢]

أجل يبدو على الظاهر أن هذه الخطبة التى ألقاها الإمام من على المنبر فى مسجد الكوفة كانت بعد حرب النهروان و قبيل استشهاده بقليل . وفى قوله عليه السلام **سلونى قبل أن تفقدونى** تلميح إلى قرب موته واستشهاده أيضا. و الشاهد هو أن أصل هذه الخطبة قد جاء فى «نهج البلاغة»، و أشار الإمام فيها إلى قضية النهروان و أفول نجم الخوارج. فقد قال: **أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة** [٣] **و لم يكن ليجرء عليها أحد غيرى بعد أن ماج غيهبها واشتد كلبها، فاسألونى قبل أن تفقدونى ، فوالذى نفسى بيده لا تسألونى عن شىء فيما بينكم و بين الساعة و لا عن فئة تهدى مائة و تضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها و قائدها و سائقها و مناخ**

١ـ «تفسير (أبى) الفتوح الرازى» ج ٦ ، ص ٢٥٦ إلى ٢٥٨، بالفارسية

٢ـ تعليقة ص ٢٥٧ من الجزء السادس. و قد نقلنا هنا عبارة الشعرانى و عبارة أبى الفتوح فى المتن باستيحاء معناهما .

٣ـ و استأصلت الخوارج.

ركابها و محط رحالها و من يقتل من أهلها قتلا و يموت منهم موتا، و لو قد فقدتمونى و نزلت بكم كرائه الامور و حوازب الخطوب لاطرق كثير من السائلين و فشل كثير من المسؤلين. [1] الخطبة .

كانت هذه مجموعة روائية أثرت فى شأن نزول الآية: **أفمن كان على' بينة من ربه و يتلوه شاهد منه.** فى أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه‌السلام. و آن لنا أن نعلم معنى **الشاهد** و معنى **يتلوه.** و مضافا إلى ذلك، ما هى المنقبة التى يحملها عنوان الشهادة لاميرالمؤمنين عليه السلام؟

و قد عرفنا إجمالا أن معنى «**شاهد**» مهما كان فهو منصب عال و مقام رفيع، لانه جاء بين آيات كثيرة نزلت فى أميرالمؤمنين، بل كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **ما أنزل الله آية فى القرآن فيها «يـ'َأيها الذين ءامنوا» إلا و على رأسها و أميرها و شريفها. فلقد عاتب الله أصحاب محمد فى القرآن، و ما ذكر عليا إلا بخير.** [2] و مثل هذه الآيات جميعها فإن واحدها الاكمل هو أميرالمؤمنين عليه السلام. و نجد الإمام عندما وجه إليه ذلك السائل سؤالا عن منزلته و موقعه فىالقرآن، أجابه بهذه الآية واصفا نفسه بصفة: **و يتلوه شاهد منه.**

يتبين من هنا جيدا أن عنوان **شاهد** عنوان عظيم الشأن و رفيع الدرجة للغاية. و لعل أى درجة و منزلة لاتضاهية أبدا. حتى قوله تعالى : **إنما وليكم الله و رسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلـ'ـوة و يؤتون**

١ـ «نهج البلاغة» ج ١، ص ١٨٣.

٢ـ «ذخائر العقبى» ص ٨٩ عن أحمد بن حنبل فى «المناقب». و روى أبو نعيم الاصفهانى فى «حلية الاولياء» ج ١، ص ٦٤ عن موسى بن عثمان الحضرمى بسنده عن الاعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنزل الله آية فيها «ياأيها الذين ءامنوا» إلا و على رأسها و أميرها.**

الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ، [١] و قوله: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**، [٢] و قوله: **الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينُكُمْ**، [٣] و ما تلاها من قوله: **الْيَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَ رَضِيتُ لَكُم الإسلام دِينًا**، [٤] فهذه كلّها نزلت فى على عليه السلام و تبيّن أعظم مقام و درجة للإمام، بَيدَ أنّها لاتصل إلى الدرجة التى تبيّنها الآية: **وَ يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ** من حيث الاهميّة.

و توضيح ذلك أنّ «**شَاهِدٌ**» مع أنّها تعنى الشخص المؤدّى للشهادة بَيدَ أنّ أداء الشهادة بدون تحمّلها أمر غير معقول. أى أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام تحمّل جميع المراتب و الدرجات و المعارف و الكمالات و الخصوصيّات الموجودة فى البيّنة التى هى نور النبوّة أو البصيرة الإلهيّة المطلقة، و بكلمة بديلة، هو عِدل و قرين تلك الخاصّة الإلهيّة التى منّ الله بها على نبيّه الاكرم.

و لذلك جُعلت شهادة الإمام فى هذه الآية بمستوى نور النبوّة أو البصيرة الإلهيّة المطلقة، و جُعل الإمام بمستوى صاحب البيّنة، و هو رسول الله. و الشاهد على هذا المعنى روايات نقلها الشيعة و السنّة عن نبيّهم الكريم، إذ قال: خلق الله نورى و نور على من عالم واحد. و قال أيضاً: على مِنِّى كَنَفْسِى. [٥] و قال كذلك: **أَنْتَ مِنِّى بِمَنْزِلَةِ هَارونَ مِنْ مُوسى إِلاّ أَنَّهُ لاَ نَبِىَّ بَعْدِى**. [٦] أى: لأنّ عليّاً كسائر الانبياء من كلّ الجهات، حتّى فى

١ـ الآية ٥٦، من السورة ٥ : المائدة.

٢ـ الآية ٦٨، من السورة ٥ : المائدة.

٣و٤ ـ الآية ٤، من السورة ٥ : المائدة.

٥ ـ «ينابيع المودّة» ص ٥٣، الباب السابع.

٦ ـ هذا الحديث من الاحاديث المتواتراة التى نقلها الفريقان بأسنادهم الكثيرة عن رسول الله

ملكاتهم و حالاتهم و معارفهم و بصيرتهم الإلهية و نور النبوة الذى من الله به عليهم، إلا أنه لم يعط النبوة، لانها ختمت بسيد الانبياء محمد صلى‌الله عليه وآله وسلم ـ فلا نبى بعده.

و يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: و **أنا من رسول الله كالصنو من الصنو والذراع من العضد.** [1]

على أى حال، لما كانت الشهادة تعنى الحضور، و الشاهد هو الحاضر، فإن قوله: و **يتلوه شاهد منه** يدل على أن أميرالمؤمنين عليه السلام الذى هو من النبى نفسه كانت البينة و النورالإلهى دائما مشهودين عنده، و كان واقفا و حاضرا و مسيطرا عليها باستمرار. و هذه الآية كالآية التى مر ذكرها: **قل كفى بالله شهيدا بينى و بينكم و من عنده علم الكتـاب.** [2]

و لما كان للشهيد والشاهد معنى واحد، و قد قلنا هناك بأن الذى يستشف من الآية هو أن شهادة أميرالمؤمنين بمستوى شهادة الله ، فشهادته هنا أيضا هى بمستوى نبوة رسول الله، و من الواضح أن هذه الشهادة التى تمثل الوقوف على الاسرار و المعارف الإلهية و درجات النبوة تستلزم بلوغ أعلى درجات القرب و الفناء فى الذات الاحدية، و الإحاطة التامة بالعلاقات و الاتصالات القائمة بين جبرائيل و النبى الاكرم، و التحقق بمعدن الحقائق، والارتواء من العلوم الإلهية اللامتناهية. بيد أننا ينبغى أن نعلم بأن كلمة « يتلوه » تدل على أن مقامات أميرالمؤمنين عليه السلام تأتتلو

عند توجهه إلى غزوة تبوك. و هو مذكور فى أغلب المجاميع الشيعية و السنية.

١ـ «نهج البلاغة» ج ٢، ص ٧٣، ضمن رسالته إلى عثمان بن حنيف.

٢ـ الآية ٤٣، من السورة ١٣: الرعد.

مقامات الرسول الاكرم صلّى اللـه عليه وآله وسلّم وإلى جانبها. و من هذا المنطلق يتسنّى لنا الاستدلال على إمامته و ولايته بعد رسول اللـه . فقد إنساب الفيض و الكمال من رسول اللـه إلى أميرالمؤمنين، و مثّل رسول اللـه دور الاستاذ و المعلّم و المربّى للإمام، مضافاً إلى أنّ نفس رسول اللـه كانت أقوى من نفس أميرالمؤمنين. لذلك فإنّ ما يلاحظ من شعر بعض المتصوّفه فى منزلة الإمام، إذ يرونه أفضل من رسول اللـه، و يجعلون النبيّ مقدّمة للإمام و مبشّراً به، و لعلّهم استدلّوا على ذلك بصعود الإمام على كتف رسول اللـه فى الكعبة لتكسير الاصنام قائلين بأنّ ختم النبوّة كانت تحت أقدام على، كلّ ذلك مجرّد من الحقيقة و لانصيب له من الواقع. و الشاهد على ما نقول هو كلام أميرالمؤمنين نفسه: **وَ قَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِی مِنْ رَسُولِ اللـه صَلَّی اللـه عَلَیهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ بالْقَرَابَةِ الْقَرِیبَةِ وَ الْمَنْزِلَةِ الْخَصِیصَةِ ، وَ ضَعَنِی فِی حِجْرِهِ وَ أَنَا وَلِیدٌ یَضُمُّنِی إلی صَدْرِهِ، وَ یَکْنُفُنِی إلی فِرَاشِهِ ، وَ یُمِسُّنِی جَسَدَهُ، وَ یُشِمُّنِی عَرْفَهُ،** [1] **وَ کَانَ یَمْضُغُ الشَّیءَ ثُمَّ یُلْقِمُنِیهِ وَ مَا وَجَدَ لِی کَذْبَةً فِی قَوْلٍ وَ لاَ خَطْلَةً فِی فِعْلٍ، وَ لَقَدْ قَرَنَ اللـه بِهِ صَلَّی اللـهُ عَلَیهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ لَدُنْ أَنْ کَانَ فَطِیماً أَعْظَمَ مَلَکٍ مِنْ مَلاَئِکَتِهِ یَسْلُکُ بِهِ طَرِیقَ الْمَکَارِمِ وَ مَحَاسِنِ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ لَیْلَهُ وَ نَهَارَهُ. وَ لَقَدْ کُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِیلِ أَثَرَ أُمِّهِ، یَرْفَعُ لِی فِی کُلِّ یَوْمٍ مِنْ أَخْلاَقِهِ عَلَماً وَ یَأْمُرُنِی بِالاقْتِدَاءِ بِهِ . وَ لَقَدْ کَانَ یُجَاوِرُ فِی کُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءِ فَأَرَاهُ وَ لاَ یَرَاهُ غَیْرِی وَ لَمْ یَجْمَعْ بَیْتٌ وَاحِدٌ یَوْمَئِذٍ فِی الآسلام غَیْرَ رَسُولِ اللـه صَلَّی اللـه عَلَیهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ وَ خَدِیجَةَ وَ أَنَا ثَالِثُهُمْ، أَرَی نُورَ الْوَحْی وَ الرِّسَالَةِ وَ أَشُمُّ رِیحَ النُّبُوَّةِ، وَ لَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّیْطَانِ حِینَ نَزَلَ الْوَحْی عَلَیْهِ صَلَّی اللـه عَلَیهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ**

١ـ عَرْفَهُ : طيب رائحته.

فقلت: يا رسول الله! ما هذه الرنة ؟ فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته ، إنك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير و إنك لعلى خير ـ الخطبة . [1]

ويستفاد من هذه الخطبة جيدا أن أميرالمؤمنين كان أقل درجة من رسول الله ، و كان له مقام الوزارة بالنسبة إلى مقام النبوة. و كانت كمالاته ومعارفه جميعها مستقاة من رسول الله. و كان رسول الله فى الحجاب الاقرب من الله، و أميرالمؤمنين عليه السلام دونه بمرقاة واحدة، و أن مقام التوحيد و الإخلاص و الحمد أيضا قد ترشح من رسول الله إلى الإمام كما روى فرات بن إبراهيم فى تفسيره بسلسلة سنده عن الإمام الصادق عن أبيه، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « إن الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة و عدنى المقام المحمود، و هو واف لى به. إذا كان يوم القيامة نصب لى منبر له ألف درجة فأصعد حتى أعلو فوقه. فيأتينى جبرئيل بلواء الحمد، فيضعه فى يدى، و يقول: يا محمد هذا المقام المحمود الذى وعدك الله تعالى، فأقول لعلى: اصعد فيكون أسفل منى بدرجة، فأضع لواء الحمد فى يده، ثم يأتى رضوان بمفاتيح الجنة فيقول : يا محمد هذا المقام المحمود الذى وعدك الله تعالى، فيضعها فى يدى فأضعها فى حجر على بن أبى طالب، ثم يأتى مالك خازن النار فيقول : يا محمد هذا المقام المحمود الذى وعدك الله تعالى. هذه مفاتيح النار، أدخل عدوك، و عدو أمتك النار، فآخذها و أضعها فى حجر على بن أبى طالب». [2]

١ـ « نهج البلاغة » ج ١ ، ص ٣٩٢ ضمن الخطبة القاصعة .

٢ـ « بحار الانوار» ج ٣، ص ٢٨٧ باب الوسيلة فى المعاد، و فى الطبعة الحروفية ج ٧ ص٣٣٥ ، نقلا عن « تفسير فرات » .

و وردت روايات كثيرة مماثلة لهذه الرواية فى المضمون، كما جاء فى « تفسير على بن إبراهيم » ، [١] و كتاب «الامالى» لابن بابويه القمى، [٢] وكتاب « الامالى» [٣] للشيخ الطوسى، و كتاب «الخصال» [٤] لابن بابويه الشيخ الصدوق أيضا.

و جاءت روايات تدل على أن أميرالمؤمنين عليه السلام يأخذ بحجزة رسول اللـه صلى اللـه عليه وآله وسلم يوم القيامة، و يبلغ مقاماته بمساعدته، كما روى فرات بن إبراهيم بسنده عن سليمان الديلمى ، عن الإمام الصادق عليه السلام عن أميرالمؤمنين عليه السلام إلى أن قال : قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وآله وسلم: **ثم يدعى بك فيتطاول إليك الخلائق فيقولون ما يعرف فى النبيين فينادى مناد: هذا سيد الوصيين، ثم تصعد فنعانق** [٥] **عليه، ثم تأخذ بحجزتى و آخذ بحجزة اللـه و هو الحق و تأخذ ذريتك بحجزتك و تأخذ شيعتك بحجزة ذريتك .** [٦]

و لنا أن نقف على منزلة الإمام و درجته أيضا من الروايات المتظافرة بل المتواترة التى جعل رسول اللـه عليا فيها أخاه، فكان عدله و قرينه فى جميع الجوانب، بيد أنه أخذ كمالاته من النبى، لان النبى هو الذى سماه أخاه، لا أن أميرالمؤمنين سمى النبى أخاه. و لقب الاخوة شرف و فضيلة لاميرالمؤمنين لا لرسول اللـه . يقولون : **هو أخو رسول اللـه** و لايقولون :

١ـ «بحار الانوار» ج ٣، ص ٢٨٥ باب الوسيلة فى المعاد.

٢ـ «بحار الانوار» ج ٣، ص ٢٨٩ باب اللواء فى المعاد.

٣و٤ـ «بحار الانوار» ج ٣، ص ٢٩٠.

٥ ـ فى لفظ «تفسير فرات» (ص ٤١١ ـ ٤١٢ ، ج ٥٥١) : (فتعانقنى عليه» ،

٦ ـ « تفسير فرات » ص ٢٨٧ . و فى الطبعة الحروفية ج ٧ ، ص ٣٣٣ ، عن «تفسير فرات » .

رسول الله أخو علی . مع أن الاخوة هی من مقولات الإضافة و تتحقق بين طرفين ، لكنها تختلف هنا فی صدق عنوان الاخ بوصفه لقبا .

و كذلك نقف علی منزلة الإمام و درجته من خلال الروايات الكثيرة التی رواها الفريقان بأسنادهما المختلفة عن رسول الله، والتی تعكس لنا منزلة الإمام بالنسبة إلی رسول الله، منها: **أنا مدينة العلم و علی بابها** .[1] وهذه الروايات كلها التی نقلناها أخيرا، و أمثالها التی تلاحظ فی الابواب المتنوعة من كتب المناقب. كلها تفسر كلمة «يتلوه» إذ كان الإمام مقتفيا النبی فی جميع المراحل ، صلی الله عليهما و علی آلهما و رحمة الله وبركاته.

جاءت فی «مستدرك الوسائل» عن كتاب «المزار القديم» رواية عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: «ذهبت مع أبی علی بن الحسين زين العابدين عليه السلام إلی زيارة قبر جدی علی بن أبی طالب عليه‌السلام فی‌النجف، فوقف أبی عند القبر المطهر و بكی، و قال:

السلام علی أبی الائمة و خليل النبوة والمخصوص بالاخوة . السلام علی يعسوب الآيمان و ميزان الاعمال و سيف ذی الجلال. السلام علی صالح المؤمنين و وارث علم النبيين الحاكم يوم الدين. السلام علی شجرة التقوی . السلام علی حجة الله البالغة و نعمته السابغة و نقمته

١ـ «البداية و النهاية» ج ٧، ص ٣٥٩ ؛ و «ذخائر العقبی» ص ٧٧؛ و «مطالب السؤل» ص ١٣؛ و «نظم درر السمطين» ص ١١٣؛ و «حلية الاولياء» ج ١، ص ٦٤ ؛ و «علی و الوصية» ص ٢٢ و ١٧٤؛ و «إستدراكات علی و الوصية» ص ٣٨٢ نقلا عن «تاريخ ابن عساكر» المخطوط . و ذكر فی «غاية المرام» ص ٥٢٠ ستة عشر حديثا عن طريق العامة، و ستة أحاديث عن طريق الخاصة ، ص ٥٢١ ؛ و فی «الغدير» ج ٦ من ص ٦١ إلی ٧٧ مائة و أربعة وثلاثون مصدرا من مصادر هذا الحديث .

الدامغة . السلام على الصراط الواضح و النجم اللائح و الآمام الناصح و رحمة الله و بركاته. [١]

و روى الشيخ محمد بن المشهدى قال: روى محمد بن خالد الطيالسى عن سيف بن عميرة، عن صفوان الجمال قال: وردت النجف مع الصادق عليه السلام لزيارة قبر أميرالمؤمنين عليه السلام فوقف الإمام عند القبر المطهر و قرأ زيارة مفصلة. و نحن نذكر فقرات منها مما يناسب بحثنا: قال : **السلام على سيد المتقين الاخيار. السلام على أخى رسول الله وابن عمه و زوج ابنته والمخلوق من طينته. السلام على الاصل القديم و الفرع الكريم.** [٢]

إلى أن وصل إلى هذه الفقرات، إذ قال: **أخى نبيك و وصى رسولك البائت على فراشه والمواسى له بنفسه و كاشف الكرب عن وجهه، الذى جعلته سيفا لنبوته و آية لرسالته و شاهدا على أمته و دلالة على حجته و حاملا لرايته و وقاية لمهجته و هاديا لامته و يدا لبأسه وتاجا لرأسه و بابا لسره و مفتاحا لظفره .** [٣]

و أنشد الشاعر الفارسى حكيم سنائى قائلا:

مرتضائى كه كرد يزدانش
همره جان مصطفى جانش
دو رونده چو اختر گردون
دو برادر چو موسى و هارون

١ـ «مستدرك الوسائل» ج ٣، ص ١٩٧ أبواب المزار.
٢ـ «مفاتيح الجنان» ص ٢٥٥ الزيارة السادسة لأميرالمؤمنين عليه السلام .
٣ـ «مفاتيح الجنان» ص ٣٥٦ و ٣٥٧ .

هـــر دو يك قبـــله و خـــردشـان دو
هـــر دو يك روح و كالبـــدشان دو
هـــر دو يك در ز يك صـــدف بودند
هـــر دو پيرايـــة شـــرف بـــودنـد
تـا نـه بگشـــاد علـــم حيـــدر در
ندهـــــد ســـــنت پيمـــبر بـــر[1]

و أنشد السيد إسماعيل الحميرى قائلا:

قـف بالديـــار و حيهن ديارا واسق الرسوم المدمع المـدرارا
كانـت تحل بها النوار و زينب فـرعى إلهـــى زينبـا و نـوارا
قـل للذى عادى وصى محمد و أبـان لى عـن لفظـــه إنكارا
من عنده علم الكتاب و حكمه مـن شـــاهد يتلـوه منه نذارا
علـــم البـــلايا والمنـايا عنده فصل الخطاب نمى إليه وصارا

و أنشد السيد الحميرى أيضا:

أشـــهـد باللـــه و آلائـــه والمـــرء عمـــا قالـه يسأل
إن عـــلى بـــن أبى طـالـــب خليفـــة اللـه الـــذى يعدل
و إنـــه قـــد كان من أحمد كمثـل هـــارون و لا مرسـل

١ـ يقول الشاعر هنا: «جعل اللـه على المرتضى نفس المصطفى.
فهما سائران كالكوكب السيار، و هما أخوان كموسى و هارون.
كلاهما قبلة واحدة و لهما عقلان، و كلاهما روح واحدة و لهما جسمان.
كلاهما درة واحدة من صدف واحد، و كلاهما زينة الشرف.
و ما لم يفتح حيدر باب مدينة العلم فإن سنة النبى سوف لن تؤتى أكلها.»

٢ـ «ديـــوان الحمـــيرى» ص ٢١٣؛ و «الغديـــر» ج ٢، ص ٢١٧؛ و «المنـــاقب» لابـــن شهرآشوب ج ١، ص ٥٦٩ .

لَكِـنْ وَصِـــىّ خَـازِنٌ عِنْـدَهُ عِلْـــمُ مِـــنَ اللـه بـهِ يَعْمَـلُ
قَدْ قَامَ يَوْمَ الْدَّوْحِ [1] خَيْرُ الْوَرَى بوَجْهِـــهِ لِلنَّـــاسِ يَسْـــتَقْبِـلُ
وَ قَـــالَ مَـنْ قَدْ كُنْتُ مَولىً لَهُ فَـــذَا لَهُ مَـــوْلىً لَكُـــمْ مَـوْئِلُ
لَكِـــنْ تَواصَـــوا بعَلِـىِّ الْهُدى أَنْ لاَيُـــوالُـــوهُ وَأَن يَخذُلُوا [2]

و هنـــا لم يســـتطع العـــالم المعـــتزلىّ إبـــن أبىالحديـــد أن يحجـــب النـــور بالامتنـاع عـن ذكـر مقامـات الإمـام، فـأذعن معترفـاً بجميـع المـيزات الـتى كـان يشـارك الإمـام فيـها النـبىّ الاكـرم، والنـور الـذى تـلالا فى وجهـه مفاضـاً عليـه مـن نور رسول اللـه، فقال:

هَـــذَا الاْمَـائَةُ لاَ يَقُومُ بحَمْلِهَا خَلْقـــاءُ هَابطَةً وَ أَطْلَسُ أَرْفَعُ
هَـــذَا هُـــوَ النُّورُ الَّذِى عَذَبَاتُهُ كانَـــتْ بجَبْهَـــةِ آدَمَ تَتَطَلَّـــعُ
وَشِهَابُ مُوسَىحَيْثُ أَظْلَمَ لَيْلُهُ رَفَعَـــتْ لَـــهُ لاَلاَؤُهُ تَتَشَـعْشَعُ

إلى أن قال:

لَـوْلاَ مَمَـــائَكَ قُلْـــتُ إنَّـــكَ بَاسِـــطُ
الاْرْزَاقِ تَقْـــدِرُ فِـى الْعَطَـاءِ وَ تُوسِعُ
مَـا الْعَـــالَـمُ الْعِـلْـــوِىُّ إلاّ تُـــرْبَـــةٌ
فِيهَـــا لِجُثَّتِـــكَ الشَّـــرِيفَـةِ مَضْجَـعُ
مَـــا الـــدَّهْرُ إلاّ عَبْـــدُكَ الْقِـنُّ الَّذِى
بنُفُـــوذِ أَمْـــرِكَ فِـــى الْبَـــرِيَّةِ مُولِعُ
أَنَـــا فِـــى مَـدِيحِـكَ أَلْكَـنٌ لاَ أَهْتَدِى
وَ أَنَـــا الْخَطِـــيبُ الْهِبْـرَزِىّ الْمِصْقَعُ

١ـــ يوم الدوح: يوم الغدير.
٢ـ «الغدير» ج ٢، ص ٢٢٧.
٣ـ الهِبْرِزىّ: الجيّد الرمى بالسهام؛ والمِصْقَع: البليغ. (م)

أَأَقُــولُ فِيــكَ سَــمَيْدَعٌ كَــــلاّ وَ لاَ
حَاشَــا لِمِثْــلِكَ أَنْ يُقَــالَ سَمَيْدَعُ [١]
بَـلْ أَنْـتَ فِــى يَـوْمِ الْقِيَـامَـةِ حَـاكِمٌ
فِـىالْعَـالَمِـينَ وَ شَـافِــعٌ وَ مُشَـفَّعُ
وَ لَقَــدْ جَهِـلْتُ وَ كُنْـتُ أَحْـذَقَ عَالِم
أَغِــرَارُ عَـزْمِكَ أَمْ حُســامُكَ أَقْطَعُ
وَ فَقَــدْتُ مَعْــرفَتِـى فَلَسْـتُ بعَارِفٍ
هَـلْ فَضْـلُ عِلْمِـكَ أَمْ جَنَابُكَأَ وسَعُ
لِـى فِيـكَ مُـعْتَقَـدٌ سَـأَكْشِـفُ سِــرَّهُ
فَلْيُصْــغ أَرْبَـابُ النُّهــى وَ لْيَسْمَعُوا
هِيَ نَفْثَــةُ الْمَصْــدُورِ يُطفــى بَـرْدُهَا
حَــرَّ الصَّــبابَةِ فَاعْـذِلُونى أَوْ دَعُوا
وَاللــــه لَــوْلاَ حَيْــدَرٌ مَــا كَــانَتِ
الـدُّنْيَــا وَ لاَ جَمَــعَ الْبَــرِيَّةَ مَجْمَعُ
مِــنْ أَجْــلِهِ خُلِــقَ الزَّمَانُ وَضُوِّئَتْ
شُــهُبٌ كَنَسْــنَ وَ جَــنَّ لَيْلٌأَ دْرَعُ
عِلْــمُ الْغُيُــوبِ إِلَيْــهِ غَيْــرَ مُدافَع
وَالصُّبْــحُ أَبْيَــضُ مُسْــفِرٌ لاَ يُدْفَـعُ
وَ إِلَيْــهِ فِــى يَــوْمِ الْمَعَــادِ حِسَابُنَا
وَ هُــوَ الْمَــلاَذُ لَنَــا غَـداً وَالْمَفْزَعُ

إلى آخر هذه القصيدة المعروفة بعينيّة ابن أبى الحديد، و قد طبعت ضمن «المعلّقات السبع» .

١ـ السَّمَيْدَع: السيّد الكريم الجميل الجسيم الموطَّأ الاكناف. (م)

اَلدَّرْسُ السَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

إِلَى اَلدَّرْسُ السِّتِّين

تفسير الآية:

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ

إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ

بسْـمِ اللـه الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ
و صلَّى اللـه على محمّد و آله الطَّاهرين
و لعنة اللـه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوّة إلاّ باللـه العلىّ العظيم

قال اللـه الحكيم فى كتابه الكريم:
وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَآ أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَاد . [1]

أُثرت عن رسول اللـه صلّى اللـه عليه وآله وسلّم أحاديث و روايات كثيرة عن طريق الشيعة و السنّة، سواء فى كتب الحديث أو فى كتب التفسير، تصرّح أنّ المقصود بالهادى فى هذه الآية الكريمة هو أميرالمؤمنين عليّابن أبىطالب عليه السلام. و يجدر بنا أن نتطرّق إلى تفسير هذه الآية بنحو مجمل، قبل الخوض فى هذه الاحاديث و الروايات . فقد نقل المؤرّخون أنّ مشركى قريش و كفّارهم طالبوا رسول اللـه بمعجزات مماثلة لمعجزات موسى، و عيسى، و صالح، و غيرهم من الأنبياء كانقلاب العصا إلى حيّة، و اليد البيضاء، و إحياء الموتى، و إبراء الأكمه و الابرص، و إخراج ناقة حيّة من جحر الجبل. و كانوا يقولون : إن كان هذا النبىّ صادقاً، فلماذا لايأتى بمثل هذه المعجزات؟ و لماذا لاينزل ربّه عليه من السماء مثل هذه الأشياء الخارقة للعادة من أجل شدّ أزره ومعاضدته ؟

١ـ الآية ٧، من السورة ١٣: الرعد

إنّهم لم يعترفوا بالقرآن المجيد بوصفه أعظم معجزة نزلت على النبيّ، فكانوا يرتابون فيه، و لم يعتنوا به لاهثين وراء معجزات أُخرى حسيّة و ماديّة كمعجزات القرون الخالية.

بَيدَ أنّ طلبهم هذا غير صائب من عدّة جهات: أوّلاً: أنّ اختيار المعجزة الخارقة للعادة بيَدِ الله و حسب، فليس لرسول الله أن يتدخّل فيها بصورة مستقلّة فهو إنسان مخلوق و خاضع لحكم الله كبقيّة الناس. و ليس باستطاعته أن يعمل خلاف الإرادة الإلهيّة أبداً، سواء شاء هو نفسه أو أراد الآخرون منه ذلك. قال جلّ من قائل: **لاَ يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَ لاَ ضَرًّا وَ لاَ مَوْتًا وَ لاَ حَيـٰوةً وَ لاَ نُشُوراً**. فكلّما يريد الله، فإنّه يجريه على يد نبيّه، سواء كان ذلك إحياء الموتى، أو انقلاب العصا إلى ثعبان، أو إنزال القرآن. و لذلك فإنّ النظر إلى النبيّ على أنّه مستقلّ فى التأثير أو شريك فى الأثر خطأ بحت. ثانياً: كان علم السحر و الشعوذة قد بلغ ذروة فى عصر موسى فجعلالله معجزته من سنخ ذلك العلم الشائع بين الناس و أمثاله. بحيث تفوّق قدرة الإنسان، و بالفعل فقد أذعن السحرة حينئذٍ لتلك المعجزة وآمنوا بها. و كان علم الطبّ قد تطوّر فى عصر عيسى إلى درجة كان الأطبّاء يعالجون الامراض المتعذّر علاجها، فجعل الله معجزته من صنف ذلكالعلم بحيث إنّ الحاذقين فى علم الطبّ عجزوا عن الإتيان بمثلها. وحقيقة المعجزة هى أنّ العلماء المعاصرين لها، الذين كرّسوا أعمارهم فى العلوم المماثلة لها، عاجزون عن الإتيان بمثلها، و لابدّ لهم أن يعترفوا بتفوّقها و تقدّمها على غيرها من العلوم، لا أنّ عوامّ الناس عاجزون عن الاتيان بمثلها.

و فى عصر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بلغ علم الفصاحة والبلاغة أوجه، و كان الشعراء المتضلّعون ينشدون الاشعار الادبيّة مزيّنين

إيّاهـا بـأنواع الكنايـات و الاسـتعارات، و التمثيـلات مـع مراعـاة الإيجـاز و سـائر فنـون علـم العربيّـة و أدبهـا، و كـانوا يعلّقونهـا فى الكعبـة، و كـانت المعلّقـات السبع نموذجاً ماثلاً لذلك.

مضافـاً إلى ذلـك فـإنّ الإنسـان يضـع لـه فى كـلّ يـوم قانونـاً، ثمّ يُبتلـى بـه ، ولايعـرف علاجـاً لامراضـه وآلامـه. فكـان القـرآن الكـريم فى أعلـى درجـات الفصاحـة و البلاغـة إلى حـدء الإعجـاز مـن جهـة، و مـن جهـة أُخـرى، كـان مثـالاً فى رصانـة القوانـين و اسـتقامتها و سـلامتها، تلـك القوانـين و الاحكـام الفطريّـة الـتى جـاء بهـا للبشـريّة، و كلّـها قـد وّنـت علـى نسـق واحـد علـى أسـاس مـن توحيـد اللـه، و ربـط جميـع النـاس، بـل جميـع الكائنـات، بـل جميـع المخلوقـات وفقاً لقـاعدة اللطـف و التوحيـد. و مـن جهـة أُخـرى فـإنّ إعجـاز القـرآن، و كذلـك دعـوة جميـع النـاس إلى اللـه ربّـهم، الـذى هـو أقـرب إليـهم مـن كـلّ شـىء ، يعتمدان على مبدأ الجمال و الجلال الذى تنطوى فيه جميع أسماء اللـه.

و الاهمّ مـن ذلـك كلّـه هـو مـا نلحظـه مـن ترابـط و تماسـك بـين جميـع هـذه المواضيـع و القوانـين و قصـص الأنبيـاء و الأُمـم، و السـير فى الآفـاق، و النظـر إلى ملكـوت السـماوات، و النجـوم، و الليـل و النـهار و الارض و المطـر والسـحاب و الريـاح. و اخضـرار الارض و نضـارة الطبيعـة، و خلـق الإنسـان والمراحـل التدريجيّـة الـتى يمـرّ بهـا الجنـين و الحيـوان، و المـوت و البعـث وثمـرة الأعمـال و الحسـاب فى جميـع مخلوقـات ، والوجـود كلّـه ، و كلّـه قـد جمـع فى كتـاب موجـز يمكـن حملـه فى الجيـب، و هـو علـى ذلـك الـتركيب الرفيـع و النسـج البديع. مـن جهـة أُخـرى فإنّـه معجـزة رسـول اللـه الخـالدة للعلمـاء و الحـاذقين فى كـلّ عصـر و زمـان إلى يـوم القيامـة؛ كمـا رفـع نفسـه لـواء التحـدّى و دعـا النـاس جميعـهم ـ فى مقـام الإعجـاز ـ إلى الإيتـان بمثلـه. لذلـك فـإنّ النـاس إذا لم يؤمنـوا بهذا القرآن، فهم لا يؤمنون بمعجزات أُخرى كمعجزة موسى وعيسى أبداً.

و ثالثاً: أنّ ما أخذه الله على نفسه هو الإتيان بمعجزة لانبيائه، حتّى يستبين اتّصالهم به و بعالم الغيب، و تكون سنداً لنبوّتهم، لا أنّه يأتى بمعجزة جديدة كلّ يوم كما تهوى أنفس الناس. فالمعجزات المتتالية تصنع أناساً جامدين و عديمى الفهم، و تصادر منهم عقولهم، و تعطّل سنّة الله فى تربية البشريّة و إعدادها، و تقف حجر عثرة فى طريق تكاملها على أساس الاختيار و المجاهدة و العمل الصالح. و إذا كان الناس من أهل التسليم و الطاعة، فإنّهم ينبغى أن يسلّموا لاوّل معجزة تأتيهم، و إذا لم يكونوا كذلك، فإنّهم لايسلّمون مهما كانت المعجزات كثيرة و متنوّعة ، إذ يفسّرونها بالسحر و الشعوذة، و يسلكون سبلاً مضلّة تهرّباً من اتّباع أنبيائهم كما قال تعالى فى محكم كتابه العزيز: **وَ لَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لاَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَولَّوا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ** .[1]

مضافاً إلى ذلك، فليس هناك حدّ معيّن لاهواء الناس و طلباتهم ، فتراهم كلّ يوم يطلبون معجزة جديدة من نبيّهم غير معجزة الامس، و ليس لنبيّهم إلاّ أنْ يكون أُلعوبة لتنفيذ مآربهم الفاسدة. و يصبح مدعاة لتعطيل السنن الكونيّة بدل التوجّه إلى التربية و التعليم و إرائة الصراط المستقيم المؤدّى إلى الله دائماً، و بالتالى فإنّه ينبرى إلى تمشية أُمورهم عن طريق الأشياء الخارقة للعادات وفقاً لما تهوى أنفسهم.

و كان مشركو مكّة و كفّارها يطلبون من رسول الله معجزات متنوّعة ولافتة للنظر كإنزال ملائكة يرونهم، و الإتيان بكتاب محسوس من السماء ، وتحويل الحجر إلى ذهب، و تفجير الينابيع و الانهار فى جبال مكّة، أو أنْ يكون له بيت من زخرف ، أو يرتقى فى السماء ، و أمثال ذلك . و لمّا كان

١ـ الآية ٢٣، من السورة ٨: الانفال .

رسول الله لا يستجيب لطلباتهم، فإنّهم ـ دون الالتفات إلى الآيات القرآنيّة الكفيلة بعلاج كلّ مشكلة و الجواب على كلّ سؤال و توضيح كلّ غامض ـ كانوا يقولون على سبيل المؤاخذة: **لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ**. و هذه مؤاخذة بلغت من السقم و القبح درجة، نجد فيها أنّ الله جلّ شأنه أعرض عن جوابهم و لم يوجّه الخطاب إليهم فى الجواب بل و لم يتحدّث مع نبيّه عن كلامهم، و اكتفى بخطاب نبيّه فى أمر أصيل قائلاً: **إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَاد**.

تدلّ هذه الآية على أنّ الارض لاتخلو من إمام و حجّة أبداً. وسيكون هذا الإمام دليلاً و هادياً من الله لطبقات الناس المتنوّعة فى العصور المختلفة دائماً يدعوها إلى سبيل الحقّ، سواء كان هذا الدليل النبيّ المنذر أو كان الهادى بهداية الله. و لم يختلف المفسّرون فى أنّ المنذر فى هذه الآية هو الرسول الاكرم، و ذلك لأنّ قوله: **إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ** صريح فى انحصار وصف الإنذار به، بَيدَ أنّهم اختلفوا فى القصد من الهادى، فذكروا أربعة أوجه فى تفسيره.

الوجه الاوّل: قالوا: هو الله. فكأنّه يريد أن يقول: أنت أيّها النبيّ تدعو الناس إلى الله فقط، و تنذرهم من مغبّة أعمالهم القبيحة، ولكنّ الهداية بيَدِ الله فإنّه يوجّه كلّ فرقة إلى حيث أمنها و أمانها. و قد نقل هذا القول عن سعيد ابن جبير.[1] و ابن عبّاس، و الضحّاك، و مجاهد.[2] يقول السيوطىّ: أخرج ابن جرير، و ابن منذر، و ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير، قال: فى قوله تعالى: **إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**، قال: **مُحَمَّدٌ**

١ـ «تفسير (أبى) الفتوح الرازىّ» ج ٦، ص ٤٦٢.
٢ـ «تفسير مجمع البيان» ج ٣، ص ٢٧٨، و «تفسير الفخر الرازىّ» ج ١٩، ص ١٤.
٣ـ «الدّر المنثور» ج ٤، ص ٤٥.

الْمُنْذِرُ وَ الْهَادِي اللّه عَزَّوَجَلَّ. [١] و أخرج ابن جرير، و ابن مردويه، عن ابن عبّاس مثلها. [٢]

و على الرغم من أنّ الهادى فى الحقيقة هو الله، بيد أنّ ظاهر الآية الذى يفيد جعل الهادى فى مقابل النبىّ ينبئنا أنّ المقصود به هنا هو الشخص الذى يهدى الناس إلى الله، لذلك فإنّ هذا التفسير لاينسجم مع ظاهر الآية، و لايمكن قبوله.

الوجه الثانى: قالوا: الهادى هو رسول الله نفسه، و إنّ قوله: **لِكُلِّ قَوْمٍ** متعلّق بكلمة **هَاد** و مقدّم عليها، و كان فى الاصل: **إِنَّمَآ أَنتَ مُنْذِرٌ وَ هاد لِكُلِّ قَوْمٍ**. لذلك فإنّ قوله: **لِكُلِّ قَوْمٍ** متعلّق بكلمة **هَاد**. [١] و قد نقل هذا القول عن عكرمة، و أبى الضحى. [٤] و الحسن البصرىّ، والجبّائىّ. [٥] يقول السيوطىّ: أخرج ابن جرير عن عكرمة، و أبى الضحى فى قول الله تعالى: **إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَاد**؛ قالاَ: **مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم هُوَ الْمُنْذِرُ وَ هُوَ الْهَادِي**. [٦] و أخرج ابن جرير، و إبن مردويه عن ابن عبّاس مثلها. [٧]

إنّ هذا القول و إن كان لايخالف ظاهر الآية، لكنّه قابل للطعن من حيث المعنى، فلنا أن نتساءل: ما هو الدليل على ورود كلمة «مُنْذِرٌ» بشكل مطلق، و مجى «هَاد» لكلّ قوم؟ فإذا كان رسول الله هادياً لكلّ قوم، فإنّه منذر لهم أيضاً، و لابدّ ـ إذَن ـ أن يكون قوله: «**لِكُلِّ قَوْمٍ**» متعلّقاً بكلمتى:

---

١ و٢ـ «الدّر المنثور» ج ٤، ص ٤٥.
٣ـ «تفسير الفخر الرازىّ» ج ١٩، ص ١٤.
٤ـ «تفسير أبى الفتوح» ج ٦، ص ٤٦٢.
٥ـ «تفسير مجمع البيان» ج ٣، ص ٢٧٨.
٦ و٧ـ «تفسير الدرّ المنثور» ج ٤، ص ٤٥.

«مُنذِرٌ» و «هَاد»، بینما نجده فی الآیة المبارکة متعلّقاً بخصوص کلمة : «هَاد».

الوجه الثالث: قالوا: الهادی نبیّ فی کلّ زمان. فکأنّه یرید أن یقول: أیّها النبیّ، أنت تنذر الناس من عذاب الله فی هذا الزمان ، وتدعوهم إلی معجزتك المتمثّلة بالقرآن المجید و تهدیهم إلیها. و فی کلّ زمان أنبیاء یهدون الناس إلی الله بمعجزاتهم مثل: انقلاب العصا إلی حیّة ، و إحیاء الموتی، و إخراج ناقة حیّة من الجبل، و عرض القرآن الکریم علی الناس. و نقل الفخر الرازیّ هذا القول عن القاضی، و قال: تنتظم الآیة بهذا المعنی، و هو وجه صحیح.[1] و نقل الشیخ الطبرسیّ أیضاً عن ابن عبّاس فی روایة أُخری، و کذلك نقله عن قَتادة، و الزجّاج، و إبن زید. [2]

یقول السیوطیّ: أخرج إبن شیبة، و إبن جریر، و إبن منذر، و إبن أبی حاتم، و أبو الشیخ عن مجاهد فی قوله تعالی: **إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ؛ قالَ: الْمُنْذِرُ مُحَمَّدٌ صلّی الله علیه [وآله] وسلّم و لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ نَبِیٌّ یَدْعُوهُمْ إلی الله.** [3]

و هذا التفسیر لایخالف ظاهر الآیة، بَیدَ أنّنا لابدّ أن نسأل: لماذا یکون الأنبیاء فقط هم الهداة إلی الله؟ فأوصیاء الأنبیاء مثل: یوشع بن نون و شمعون الصفا، و علی بن أبی طالب، و سائر الائمّة الطاهرین هم هداة البشر إلی الله حقّاً، إذ یهدون الناس بنور الله و هدایته.

و هنا یأتی **الوجه الرابع** فنقول : الهادی هو کلّ من یهدی الناس إلی الله سواء کان نبیّاً أو وصیّ نبیّ ، و ینطبق هذا المعنی فی الآیة المبارکة

۱ـ «تفسیر الفخر» ج ۱۹، ص ۱۳.

۲و۳ـ «تفسیر مجمع البیان» ج ۳، ص ۲۷۸.

على رسول الله، و كذلك ينطبق على الائمّة الطاهرين، فهو و هم مصاديق لهذا العنوان. و نقل هذا القول فى «مجمع البيان» تحت عنوان: الاحتمال الرابع قال: **اَلْمُرَادُ بِالْهَادِى كُلُّ دَاعٍ إلى الْحَقِّ.** [1] و دعم العلاّمة الطباطبائىّ مدّ ظلّه هذا الاحتمال أيضاً. [2] يقول السيوطىّ: أخرج ابن جرير، و إبن أبى حاتم، و أبو الشيخ عن ابن عبّاس أنّه قال: **وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ؛ قَالَ: دَاعٍ.** [3]

و فى ضوء الروايات الكثيرة المأثورة عن الفريقين التى قال فيها رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله و سلّم: «أنا المنذر و على بن أبى‌طالب عليه السلام الهادى». يستبين المعنى، فهى جميعها تدلّ عليه، إذ المنذر هو الداعى إلى الحقّ، و رسول الله مصداق الهادى و مصداق المُنْذِرِ. أى أنّ الهداية مترافقة مع الدعوة و الإنذار.

أمّا على بن أبى طالب فلم تكن له نبوّة أو دعوة بل كان له فقط عنوان الهداية إلى الله.

و من الضرورىّ لنا قبل الخوض فى الروايات المأثورة أن نبيّن معنى المنذر و الهادى ليتّضح لنا موقع الإمام عليه السلام و مهمّته و حجم تحمّله.

فالإنذار يعنى التحذير و التنبيه، و الهداية تعنى الإيصال إلى المطلوب. يقول صاحب تفسير «بيان السعادة» فى ذيل تفسير الآية الشريفة: إنّ الرسول كمن يُنبّه من النوم و يُنذر من المخاوف مَنْ كان فى بادية لا طريق فيها إلى عمران و كان فيها سباع كثيرة و حيّات مهلكة و مؤذيات قويّة لم يشعر بضلالته و بمهلكات تلك البادية ، فإذا تنبّه و أنذر طلب لامحالة مَنْ

١ـ «تفسير مجمع البيان» ج ٣، ص ٢٧٨

٢ـ تفسير «الميزان» ج ١١، ص ٣٣٥ و ٣٥٩ .

٣ـ «الدرّ المنثور» ج ٤، ص ٤٥.

يدلّه على طريق العمران ويُخرجه من تلك البادية و ذلك الدالّ هو الهادىّ الذى يوصله إلى المعمورة. [١]

و نقل الشيخ إسماعيل حقّى البروسوىّ عن الغزالىّ فى كتاب «شرح الاسماء الحسنى» أنّه قال: الهادى هو الذى هدى خواصّ عباده أوّلاً إلى معرفة ذاته حتّى استشهدوا على الأشياء به، و هذى عوامّ عباده إلى مخلوقاته حتّى استشهدوا بها على ذاته، و هدى كلّ مخلوق إلى ما لابدّ له منه فى قضاء حاجاته، فهدى الطفل إلى التقام الثدى عند انفصاله، و الفرخ إلى التقاط الحبّ عند خروجه، و النحل إلى بناء بيته على شكل التسديس لكونه أوفق الاشكال لبدنه. و الهداة من العباد الأنبياء عليهم السّلام ثمّ العلماء الذين أرشدوا الخلق إلى السعادة الأُخرويّة و هدوهم إلى صراط الله المستقيم، بل الله الهادى لهم على ألسنتهم، و هم مسخرّون تحت قدرته وتدبيره . ثمّ قال : و فى تفسير «الكوالشىّ»: **المنذر محمّد** و **الهادى** على . إلى أن قال: فإنّ السلسلة ممدودة من الطرفين إلى آخر الزمان، و سيخرج فى أُمّته **مَهدىّ** يحكم بشريعته و ينفى تحريف المائلين و زيغ الزائغين فى خلافته عن ملّته. [٢]

أمّا الروايات المأثورة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم التى جاء فيها أنّ الهادى فى الآية الكريمة على بن أبى طالب فهى كثيرة ، ورواها علماء الشيعة و السنّة فى كتبهم بمضامين متنوّعة . حتّى أنّ **أحمد بن محمّد بن سعد** ألّف كتاباً حول شأن نزول الآية **إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** فى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام .[٣] و كذلك الروايات

١ـ «تفسير بيان السعادة» ج ١، ص ٣٩٢ .

٢ـ «تفسير روح البيان» ج ٤، ص ٣٤٦ .

٣ـ « مناقب » ابن شهرآشوب ج ١ ، ص ٥٦٧ . و نقل عنه « غاية المرام » ص ٢٣٧

المأثورة عن كبار الصحابة، و عن الائمّة الطاهرين التى تحوم حول تفسير الآية خاصّة به و بأئمّة أهل البيت فهى كثيرة، و ها نحن هنا نقسّم هذه الروايات إلى طبقات من حيث المتن و المضمون.

الطبقة الاولى: الروايات التى تدلّ على وجود هاد فى كلّ عصر، و أنّ كلّ إمام هو الهادى و الدليل إلى الله فى ذلك العصر.

روى محمّد بن يعقوب الكلينىّ بسنده عن موسى بن بكير، عن الفضيل، قال: **سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ؛ فَقالَ: كُلُّ إمَامٍ هَادٍ لِلقَرْنِ الَّذِى هُوَ فِيهِم.** [١]

و روى الكلينىّ أيضاً مثلً هذه الرواية بسَند آخر عن حمّاد بن عيسى عن حرير بن عبدالله، عن الإمام الصادق عليه السلام. [٢] و نقلها الشيخ الصدوق و ابن بابويه القمّىّ أيضاً بسنده عن محمّد بن مسلم، عن الإمام الصادق عليه السلام . [٣] و كذلك رواها بسنده المتّصل عن بريدبن معاوية العجلىّ، عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام ، [٤] و رواها أيضاً بسند آخر عن عمربن أُذينه، عن بريد بن معاوية العجلىّ، عن الإمام محمّد الباقر عليهالسلام. و ذكرها على بن إبراهيم القمّىّ فى تفسيره بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام . [٥] و رواها العيّاشىّ أيضاً فى تفسيره بسنده عن

و«تفسير البرهان» ج ١، ص ٥١٩ ، و «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٥ .

١ـ «غاية المرام» ص ٢٣٥، الحديث الاوّل مكرّراً؛ و «تفسير البرهان» ج ١ ص ٥١٨.

٢ـ «غاية المرام» ص ٢٣٥، الحديث السادس مكرّراً.

٣ـ «غاية المرام» ص ٢٣٥، ذيل الحديث السادس مكرّراً؛ و «تفسير البرهان» ج ١ ص ٥١٨ .

٤ـ «غاية المرام» ص ٢٣٦، الحديث الثامن، و «تفسير البرهان» ج ١، ص ٥١٨.

٥ـ «غاية المرام» ص ٢٣٦، الحديث العاشر.

أبی‌جعفر علیه السلام.[١]

الطبقة الثانية: الروايات التی تذكر أنّ الهادی هو الإمام من أهل البيت فهی تشمل الائمّة واحداً بعد الآخر. ذكر الكلينیّ بسنده عن بريد بن معاوية العجلیّ، عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام فی قول الله عزّ وجلّ: **إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ؛ فقال عليه السلام: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ الْمُنْذِرُ، وَ لِكُلِّ زَمَانٍ مِنّا هَادٍ يَهْدِيهِمْ إلى مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ الْهُدَاةُ مِنْ بَعْدِهِ علَى ثُمَّ الاَوْصِيَاءُ وَ اَحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ**.[٢]

و كذلك ذكر السيّد هاشم البحرانیّ فی «تفسير البرهان» مثل هذا الحديث عن حنّان بن سدير، عن أبيه، عن الإمام محمّد الباقر عليه‌السّلام.[٣] و نقله العيّاشیّ فی تفسيره عن بريد بن معاوية العجلیّ، عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام: **إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ. فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَا الْمُنْذِرُ؛ وَ فِی كُلِّ زَمَانٍ إِمَامٌ مِنّا يَهْدِيهِمْ إلى مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ؛ وَ اَلْهُدَاةُ مِنْ بَعْدِهِ علَى ثُمَّ الاَوْصِيَاءُ مِنْ بَعْدِهِ وَ اَحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ، وَ اَللهِ مَا ذَهَبَتْ مِنّا وَ مَازَالَتْ فِينَا إلى السَّاعَةِ، رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ الْمُنْذِرُ وَ بعَلِیٍّ يَهْتَدِی الْمُهْتَدُونَ.**[٤] و روى الكلينیّ بسنده مثله عن أبی بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام.[٥]

١ـ «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٦، و «غاية المرام» ص ٢٣٧، الحديث السابع عشر.
٢ـ «غاية المرام» ص ٢٣٥ الحديث الثانی مكرّراً، و «تفسير البرهان» ج ١، ص ٥١٨.
٣ـ «تفسير البرهان» ص ٥١٩.
٤ـ «غاية المرام» ص ٢٣٧، الحديث الثامن عشر، و «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٦.
٥ـ «غاية المرام» ص ٢٣٥، الحديث الثالث مكرّراً.

و ذكره الصفّار فى «بصائر الدرجات». [١]

الطبقة الثالثة: الروايات التى تدلّ على أنّ الهادى فى الآية الكريمة هو على بن أبى طالب. فقد روى إبراهيم بن محمّد الحموينىّ، و هو من أعيان علماء العامّة، فى كتاب «فرائد السمطين فى فضائل المرتضى و البتول والسبطين» بإسناده عن الإمام أبى الحسن على بن أحمد الواحدىّ، قال: **مِنَ الآيات فِيها على تِلْوُ الْنَبى ّ صَلَّى اللَهُ عَلَيهِو آلِهِ وَسَلَّمَ فِى قَوْلِهِ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَاد.** [٢] و روى الحسكانىّ مثلها فى ذيل ص ٣٠٣ من الجزء الاوّل من «شواهد التنزيل» عن الباب الثامن و العشرين من كتاب «فرائد السمطين» تحت الرقم ١٢٢.

و جاء أيضاً عن سعيد بن المسيّب، عن أبى هريرة، قال: **سَألتُ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيهِو آلِهِ وَسَلَّمَ عن هذه الآية، فقال لى: هَادى هذِهِ الأُمَّةِ على بنُ أَبى طالِب.** [٣]

و روى ابن شهرآشوب عن ابن عبّاس، و الضحّاك، والزجّاج قولهم : «**إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ**» **رَسُولُ اللَهِ وَ «لِكُلِّ قَوْمٍ هَاد»** على **أميرُالمؤمِنينَ** . [٤]

و رواه أيضاً عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس بسند آخر . [٥] و عن عبدالله بن عطاء عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام . [٦] وعن أبى هريرة ، ٧ و عن سعيدبن المسيّب، عن أبى هريرة، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم بسند آخر. [٨]

و روى الشيخ الطبرسىّ أيضاً هذا المضمون عن ابن عبّاس ، عن

١ـ «غاية المرام» ص ٢٣٥. ذكره فى ذيل الحديث الرابع مكرّراً.
٢ـ «غاية المرام» ص ٢٣٥، الحديث الاوّل.
٣ـ «غاية المرام» ص ٢٣٥، الحديث الرابع .
٤إلى٨ ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٥٦٧.

رسول الله . [١] و رواه الفيض الكاشانىّ أيضاً عن «مجمع البيان»، [٢] عن رسول الله ، و عن «الكافى» للكلينىّ، عن الإمام الباقر عليه السلام، عن رسول الله ، [٣] و عن «إكمال الدين» و «تفسير على بن إبراهيم»، و «تفسير العيّاشىّ». [٤] و قال أيضاً: ذكره كثير من رواة الخاصّة و العامّة بأسانيد مختلفة،[٥] و نقل عن القمّىّ قوله: و ردّ على من أنكر أنّ فى كلّ عصر وزمان إماماً، و أنّه لاتخلو الارض من حجّة. [٦]

و ذكر السيّد هاشم البحرانىّ مضمون هذه الرواية فى «تفسير البرهان» عن عبدالله بن عطاء، عن الإمام الباقر عليه السلام، [٧] و عن سعيد بن المسيّب، عن أبى هريرة، عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم، [٨] و عن ابن عبّاس، و الضحّاك، و الزجّاج،[٩] ثمّ قال: و الرواية عن ابن عبّاس فى هذه الآية بهذا المعنى مستفيضة من طرق الخاصّة والعامّة يطول الكتاب بذكرها.[١٠] و قال: قال ابن شهرآشوب : صنّف أحمد بن محمّد بن سعيد كتاباً فى قوله: تعالى: **إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ**... إنّها نزلت فى أميرالمؤمنين عليه السلام . [١١]

و يقول السيوطىّ: و أخرج ابن مردويه والضياء فى «المختارة» عن ابن عبّاس، عن رسول الله هذا المضمون.[١٢] و رواه الحاكم الحسكانىّ أيضاً عن ابن عبّاس ، عن رسول الله ، [١٣] و عن ابن عبّاس فى رواية أُخرى، [١٤]

---

١ ـ «مجمع البيان» ج ٣، ص ٢٧٨.
٢إلى٦ ـ «تفسير الصافى» ج ١، ص ٨٦٥ .
٧إلى١١ ـ«تفسير البرهان» ج ١، ص ٥١٩ .
١٢ ـ «تفسير الدّر المنثور» ج ٤، ص ٤٥.
١٣ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٩٥.
١٤ ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٩٧.

و عن أبى هريرة، عن رسول الله، [١] و كذلك عن أبى بَرزة الاسلمىّ عن رسول‌الله، [٢] وأيضاً بسنده عن عمربن عبدالله بن يعلى بن مرّة، عن أبيه عن جدّه، عن رسول الله، [٣] و كذلك بسنده عن عبدالوهاب بن مجاهد، عن أبيه . [٤]

و روى العيّاشىّ فى تفسيره عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام ، قال :

قال أميرالمؤمنين عليه‌السلام: فِينَا نَزَلَتْ هذِهِ اىَةُ: إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَاد. فَقَالَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيهِ‌وَ آلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَا الْمُنْذِرُ وَ أَنْتَ الْهَادِى، يَا على فَمِنَّا الْهَادِى‌وَ النَّجَاةُ‌وَ السَّعَادَةُ إل؟ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . [٥]

و روى أيضاً عن جابر بن عبدالله، عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: **قال النبىّ صَلَّى اللَهُ عَلَيهِ‌وَ آلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَا الْمُنْذِرُ وَ علىٌّ الْهَادِى إلى أمْرِى .** [٦]

و ذكر السيّد البحرانىّ هذه الرواية أيضاً بسند آخر عن جابربن عبدالله . [٧] و روى الصفّار فى «بصائر الدرجات» نفس المضمون بسند عن ابن يزيد ، بسنده المتّصل عن عبدالله بن عطاء ، عن الإمام محمّد الباقر

---

١ ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٩٧.
٢ ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٩٨.
٣ ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٩٩.
٤ ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٣٠٣.
٥ـ «غاية المرام» ص ٢٣٧، الحديث الخامس عشر.
٦ ـ «غاية المرام» ص ٢٣٧، الحديث التاسع عشر.
٧ـ «غاية المرام» ص ٢٣٧، الحديث الثالث و العشرون.

عليـه السـلام ، [١] و بسـند آخـر عـن محمّـد بـن الحسـين، عـن عمـرو بـن عثمـان ، عـن المفضّـل، عـن جـابر، عـن الإمـام البـاقر عليـه السـلام، [٢] و بسـند ثـالث عـن على بـن الحسـين بسـنده عـن مـروان بـن نجـم، عـن الإمـام البـاقر عليـه السـلام ،[٣] وبسـند رابـع عـن أحمـد بـن محمّـد، عـن الحسـين، عـن محمّـد بـن خـالد، عـن أيّـوب بـن الحـرّ، عـن الإمـام البـاقر عليـه السـلام . [٤] و كذلـك رواهـا فـرات بـن إبراهيم فى تفسيره عن الحسين بن الحكم بإسناده عن عبداللـه بن عطاء، عن الإمام الباقر عليه السلام . [٥]

و روى علـى بـن إبراهيـم أيضـاً فى تفسـيره عـن أبيـه، عـن يحيـى بـن أبى عمـران ، عـن يونـس ، عـن سـعدان بـن مسـلم ، عـن أبى بصـير، عـن الإمـام الصـادق عليـه السـلام فى تفسـير قولـه تعـالى : **ذَ 'لِـكَ الْكِتَـا'بُ لاَ رَيْـبَ فِيـهِ هُـدىً لِلْمُتَّقِينَ** ، قـالَ : « الكتـاب [الـذى لا ريـب فيـه] علـى عليـه السّـلام لا شـكّ فيـه **هُدَىً لِلْمُتَّقِينَ** قال عليه السّلام : تبيان لشيعتنا . [٦]

و روى محمّـد بـن يعقـوب الكليـنىّ فى « الكـافى » بإسـناده عـن عبدالرحيـم القصـير، عـن الإمـام البـاقر عليـه السـلام فى تفسـير الآيـة: **إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَاد** . قال: رسول اللـه صـلّى اللـه عليـه وآلـه وسـلّم ا **لْمُنْـذِرُ** وَعـلى ٌّ **الهـادى** ، أمـاً واللّـه مـا ذهـبت منّـا و مـازالـت فينـا إلى السـاعة . [٧] و[٨]

---

١ ـ «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٦ .

٢إلى٥ ـ «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٦ .

٦ ـ «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٦ ؛ و الطبعة الحروفيّة ٣٥/ ٤٠٢ ، عن «تفسير القمّىّ» .

٧ ـ «أُصـول الكـافى» ج ١، ص ١٩٢، ب ٦٨ ، منشـورات المكتبـة الإسـلاميّة بطـهران . و«بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٦.

٨ ـ «تفسـير البرهـان» ج ١، ص ٥١٨ . و روى فى «غايـة المـرام» ص ٢٣٥، الحديـث السـابع عـن إبـن صبّـاغ المـالـكىّ فى « الفصـول المهمّـة » عـن ابـن عبّـاس أنّـه قـال : لمّا نزل قوله

الطبقة الرابعة: الروايات التى أُثرت عن أميرالمؤمنين عليه السلام نفسه، إذ قال فيها: أنا الهادى فى هذه الآية الشريفة: و روى المرحوم الصدوق فى «الامالى» عن الطالقانىّ بسنده المتّصل عن عبّاد بن عبدالله أنّه قال: قال على عليه السلام :

ما نَزَلَتْ مِنَ الْقُرآنِ آيَةٌ إلاّ وَ قَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ نَزَلَتْ وَ فِيمَنْ نَزَلَتْ وَ فِى أَىِّ شَىْءٍ نَزَلَتْ، وَ فِى سَهْلٍ نَزَلَتْ أو فى جَبَلٍ نَزَلَتْ، قِيلَ: فَمَا نَزَل فيكَ؟ فَقَالَ: لَوْلاَ أَنَّكُمْ سَأَلْتُمُونىَ مَا أَخْبَرْتُكُمْ، نَزَلَتْ فِىَّ ايَةُ: « إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» فَرَسُولُ اللَهِ الْمُنْذِرُ وَ أَنَا الْهَادِى إلى مَا جَاءَ بِهِ. [1]

و ذكر الفارسىّ أيضاً فى كتاب «الروضة» فقال: قال على عليه‌السلام : **إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ،** «مُنْذِرٌ» مُحَمَّدٌ وَ «لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» أنا. [2]

يقول السيوطىّ: أخرج عبدالله بن أحمد فى «زوائد المسند» وإبن أبى حاتم، و الطبرانىّ فى «الاوسط»، و الحاكم، و ابن مردويه، و ابن عساكر، و صحّحه الحاكم أيضاً عن على بن أبى طالب فى قوله: **إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ؛ قَالَ: رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ : الْمُنْذِرُ وَأَنَا الْهَادِى ، وَ فِى لَفْظٍ:وَ اَلْهَادِى رَجُلٌ مِنْ بَنى هَاشِمٍ يَعْنى نَفْسَهُ .** [3]

وروى الحاكم الحسكانىّ بسنده المتّصل عن عبّاد بن عبدالله مثل

تعالى: إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنا الْمُنْذِرُ وَ علِىٌّ الهادى، و بكَ يا علىُّ يَهتدى المهتدون.

١ ـ «أمالى الصدوق» ص ٢٢٨، المجلس السادس و الاربعون و «بحار الانوار» ج ٩ ص ٧٥، و «غاية المرام» ص ٢٣٥ الحديث الخامس مكرّراً، و «تفسير البرهان» ج ١ ص ٥١٨ .

٢ـ «غاية المرام» ص ٣٢٧، الحديث الحادى و العشرون.

٣ ـ «الدرّ المنثور» ج ٤ ص ٤٥.

هذه الرواية التى نقلناها عن «أمالى» الصدوق، عن عبّاد بن عبدالله، إلى أن قال فى آخرها: **فَرَسُولُ اللَهِ الْمُنْذِرُ وَ أَنَا الْهَادِى إلى ما جاءَ بِهِ.** [1]

و قال فى هامش الجزء الاوّل، ص ٣٠٠ من « شواهد التنزيل »: قال ابن الاعرابىّ فى كتاب «معجم الشيوخ» الجزء الثانى، ورق ١٢٠، و فى نسخة أُخرى، ورق ٢٠٣ : ذكر أبوسعيد الحارثىّ عن الحسين بن على الاشقر عن منصور بن أبى الاسود، عن الاعمش، عن المنهال، عن عبّاد بن عبدالله ، عن على بن أبى طالب عليه السلام فى الآية **إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَاد**، قال: قال على: **رَسُولُ اللَهِ الْمُنْذِرُ وَ أَنَا الْهَادِى.** ثمّ قال: ذكر ابن‌عساكر فى «تاريخ دمشق» هذا الحديث فى ترجمة على بن أبى طالب تحت عنوان: الحديث ٩١٤ عن عبّاد بن عبدالله .

و رواه أيضاً صاحب «منتخب كنز العمّال» فى حاشية «مسند أحمد» الجزء الاوّل، ص ٤٥١ فى أوّل تفسير سورة الرعد عن ابن أبى‌حاتم، ورواه الحاكم فى «المستدرك» فى الحديث ٧٧ فى باب مناقب أميرالمؤمنين ج ٣ ، ص ١٢٩، رواه بسنده المتّصل عن عبّاد بن عبدالله الاسدىّ، عن أميرالمؤمنين عليه السلام، ثمّ قال: هذا الحديث أسناده كلّها صحيحة.

وقال الشّيخ محمّد باقر المحمودىّ بعد بيان هذا الحديث: و قد هاج بالذهبىّ داء النصب و ضاق به الخناق فخرج عن فطرة العقلاء من‌التكلّم على الموازين العلميّة فقال فى تلخيصه على «المستدرك»: هذا] الحديث [كذب **قَبَّحَ اللهو اَضِعَهُ!** و أنت بعد الإحاطة بما تقدّم قل بصريح القول هذا صدق: **قَبَّحَ الله مُنْكِرَهُ وَ جَاحِدَ مَزَايَا أَهْلِ الْبَيْتِ وَ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِى الْعِلْمِ بِالْجَهْلِ !** ثمّ قال : إنّ الحديث رواه أيضاً فى « كنز العمّال » ج ١ ص ٢٥١،

---

١ ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٣٠٠ .

و قال: أخرجه ابن أبى حاتم. [١]

الطبقة الخامسة: الروايات المأثورة عن أميرالمؤمنين عليه السلام التى قال فيها : الهادى رجل من بنى هاشم، يريد بذلك نفسه .

كما جاء فى الروايات التى نقلها السيوطىّ، فقال: أخرج عبدالله بن أحمد بن حنبل فى «زوائد المسند» و ابن أبى حاتم، و الطبرانىّ فى « الاوسط» و الحاكم بتصحيحه فى «المستدرك»، و ابن مردويه، و ابن عساكر، فجاء فى كلامهم لفظ: **رَجُلٌ مِنْ بَنى هَاشِم**. [٢] و روى الثعلبىّ فى تفسيره عن السدىّ، عن **عبد** خير، عن على بن أبى طالب عليه السلام أنّه قال: **الْمُنْذِرُ النَّبىُّ صَلَّى اللَهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ و الْهَادِى رَجُلٌ مِنْ بَنى هَاشِمٍ ـ يَعْنى نَفْسَهُ**. [٣]

و روى الحافظ أبو نعيم الإصفهانىّ أيضاً بهذه الاسناد عن عبد خير عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أَنَا الْمُنْذِرُ وَ الْهَادِى رَجُلٌ مِنْ بَنى هَاشِمٍ . [٤] و روى الحاكم الحسكانىّ هذا الحديث نفسه عن أبى الحسن النجّار الطَيرانىّ بسنده عن عبد خير، عن أميرالمؤمنين عليه السّلام .٥

١ـ هامش «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٣٠١.

٢ـ «الدرّ المنثور» ج ٤، ص ٤٥، و «تفسير الميزان» ج ١١، ص ٣٦٠ نقلاً عن «الدرّ المنثور».

٣ـ «غاية المرام» ص ٢٣٥، الحديث الخامس، و «مناقب» ابن شهرآشوب ج ١، ص ٥٦٧، و «ينابيع المودّة» باب ٢٦، ص ٩٩، و أخرج هذه الرواية نفسها الحموينىّ أيضاً بسنده عن أبى هريرة.

٤ـ «مناقب» ج ١، ص ٥٦٧ .

٥ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٩٩.

وذكره بسند آخر عن أبى عبدالله ، عن عثمان بن أبى شيبة ، [١] و بسند ثالث عن عبدالله الثقفىّ، عن عبد خير، عن أميرالمؤمنين عليه السلام . [٢]

و قال فى تعليقة من «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٩٩: ذكر ابن عساكر هذه الرواية بهذا السند عن أميرالمؤمنين عليه السلام تحت الرقم ٩١٢ من ترجمة أميرالمؤمنين فى «تاريخ دمشق». و ذكرها صاحب «مجمع الزوائد» فى ج ٧ ص ٤١، وقال: ذكرها عبدالله بن أحمد بن حنبل، و الطبرانىّ فى «الصغير» و«الاوسط» مع تصريحهما بوثاقه رجال السند. و ذكرها السيوطىّ فى «الدرّ المنثور» بتخريج ابن مردويه، و ابن عساكر.

الطبقة السادسة: الروايات الكثيرة المأثورة عن الرسول الأكرم صلّىالله عليه وآله و سلّم التى تذكر أنّ النبىّ طلب ماءً للوضوء، و بعد فراغه من الوضوء، أخذ بيَدِ أميرالمؤمنين عليه السلام فضمّها إلى صدره وقال : **أنتَ الْمُنذِرُ**، ثمّ ضَمّها إلى صدر أميرالمؤمنين و قال: **وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**. و قد نقلت الروايات بمضامينها المتنوّعة هذه القضيّة عن رسول الله . روىً محمّد بن الحسن الصفّار فى «بصائر الدرجات» بإسناده عن أبى حمزة الثمالىّ أنّه قال: **سمعتُ أبا جعفر عليه السلام ـ يقول: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ و آلِهِ وَسَلَّمَ بوَضُوءٍ طُهْرٍ فَلَمّا فَرَغَ أَخَذَ بيَدِ علىٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا فَأَلْزَمَهَا يَدَهُ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ» ثُمَّ ضَمَّ يَدَهُ إلى صَدْرِهِ وَ قَالَ: «وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» ثُمَّ قَالَ: يَا علىٍ! أَنْتَ أَصْلُ الدِّينِ وَ مَنَارُ الآيَانِ وَ غَايَةُ الْهُدَى وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجِّلِينَ أَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ.** [٣] و نقل فرات بن

---

١ ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٩٩.
٢ ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٣٠٠.
٣ ـ «غاية المرام» ص ٢٣٦ الحديث التاسع، و «تفسير البرهان» ج ١، ص ٥١٨ .

إبراهيم هذه الرواية فى تفسيره عن أبى حمزة، عن الإمام الباقر عليه السلام . [١]

يقول السيوطىّ: أخرج ابن جرير، و ابن مردويه، و أبونعيم الاصفهانىّ فى كتاب «معرفة الصحابة»، والديلمىّ، و ابن عساكر، و ابن النجّار، قالوا: **لَمّا نَزَلَت: «ا ءِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَاد » وَضَعَ رَسُولُ اللَهِ يَدَهُ على صَدْرِهِ فَقَالَ: أَنَا الْمُنْذِرُ، وَ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى مَنْكِبِ علىٍّ رَضِىَ اللَهُ عَنْهُ ـ فَقَالَ: أَنْتَ الْهَادِى، يَا على بِكَ يَهتَدِى الْمُهْتَدُونَ .** [٢] و روى ذلك الثعلبىّ فى تفسيره عن عطاء بن سائب، عن سعيد بن جبير، عن إبن عبّاس . [٣] و ذكر الطبرىّ أيضاً فى ج ١٣ ص ١٠٨ من تفسيره هذا الحديث نفسه عن ابن عبّاس بنفس السند. [٤] و ذكره الحاكم الحسكانىّ بأسناده بأربعة طرق عن عطاء بن سائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس . [٥]

و روى الحاكم الحسكانىّ أيضاً عن أبى الحسن الفارسىّ بإسناده عن أبى فروة السلمىّ أنّه قال : **دَعَا رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ**

---

١ ـ «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٦ .

٢ـ تفسير «الدرّ المنثور» ج ٤، ص ٤٥، و تفسير «الميزان» ج ١١، ص ٣٦٠ نقلاً عن «الدرّ المنثور» و «تفسير الفخر الرازىّ» ج ١٩ ص ١٤. و يقول صاحب «شواهد التنزيل» فى هامش الجزء الاوّل ص ٢٩٥ من كتابه : ذكره فى «كنز العمّال» ج ٦، ص ١٥٧ عن الديلمىّ عن ابن عبّاس، و جاء فى «ينابيع المودّة» باب ٢٦، ص ٩٩ باختلاف يسير فى اللفظ عن الثعلبىّ فى «الكشّاف» .

٣ ـ «تفسير البرهان» ج ١، ص ٥١٩ ، و «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٥، و «تفسير أبى الفتوح الرازىّ» ج ٦، ص ٤٦٣، و تفسير «الميزان» ج ١١، ص ٣٦٠، و «مناقب» ابن شهرآشوب ج ١، ص ٥٦٧.

٤ـ «شواهد التنزيل» ج ١، هامش ص ٢٩٣.

٥ـ «شواهد التنزيل» ج ١ ص ٢٩٣ إلى ٢٩٦.

بالطَّـهُورِ وَ عِنْـدَهُ علـى بْـنُ أَبِي طَـالِب فَـأَخَذَ رَسُـولُ اللـه بيَـدِ علـى بَعْدَمَـا تَطَـهَّرَ فَأَلْزَقَهَا بصَـدْرِهِ ثُـمَّ قَـالَ: «إِنَّـمَآ أَنـتَ مُنـذِرٌ» ثُـمَّ رَدَّهَـا إِلَى صَـدْرِ علـى ثُـمَّ قَـالَ: «وَ لِكُلِّ قَوْم هَاد» ثُمَّ قَـالَ: اِنَّـكَ مَنَـارُ الاَنَـامِ وَ غَايَـةُ الْـهُدَى وَ أَمِـيرُ الْقُـرّاءِ، أَشْـهَدُ علـى ذَلِكَ أَنَّـكَ كَذَلِكَ. [1]

و نقل ابن شهر آ شـوب هـذه الروايـة أيضـاً عـن الحـاكم الحسـكانى ّ إلاّ أنـّه ذكـر الـراوى علـى أنـّه أبـو بـرزة و أتى بكلمـة «**أَلْصَقَـها**» بديلـة عـن كلمـة «**فَأَلْزَقَـهَا**». و كذلـك فإنـّه نقـل فى ذيلـها هـذه العبـارة: **أنْـتَ مَنَـارُ الاَنَـام وَرَايَـةُ الْـهُدَى وَ أَمِـينُ الْقُـرآنِ وَ أَشْـهَدُ علـى ذَلِـكَ أَنَّـكَ كَذَلِـكَ**. [2] و ذكـر أبـو الفتـوح الرازىّ هذه الرواية أيضاً غير أنّ اسم الرواى عنده هو أبو بردة الاسلمىّ، و جـاء بكلمـة «**فَأَلْزَمَـهَا**» بديلـة عـن كلمـة «**فَأَلْزَقَـهَا**». و فى آخرهـا هـذه العبـارة: «**إِنَّـكَ مَنَـارَةُ الاَنَـامِ وَ غَايَـةُ الْـهُدَى، وَ أَمِـيرُ الْقُـرى، أَشْـهَدُ علـى ذَلِـكَ أَنَّـكَ كَذَلِكَ**». [3]

و ذكرهـا السـيّد هاشـم البحـرانىّ أيضـاً فى «غايـة المـرام» و «تفسـير البرهـان» عـن الحـاكم الحسـكانىّ، و جـاء بكلمـة «**فَأَلْصَقَـهَا**» بديلـة عـن كلمـة «**فَأَلْزَقَـهَا**» فى كـلا الكتـابين . غـير أنـّه ذكـر ذيـل العبـارة فى الحديـث كمـا نقلناهـا عـن الحـاكم الحسـكانىّ. [4] و ذكـر فى «غايـة المـرام» عبـارة **أَمِـيرُ الْغَـزَآ** بديلـة عـن **أَمِـيرُ الْقُـرّاءِ**، و راوى الحديـث فى «غايـة المـرام» هـو أبـو بـردة الاسلمىّ، أمّا فى «تفسير البرهان» فهو أبو بريدة .[5]

١و٢ـ «مناقب» ابن شهرآشوب ج ١، ص ٥٦٧ ، و «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٥.

٣ ـ «تفسير أبىالفتوح الرازىّ» ج ٣، ص ٢٧٨.

٤ ـ «تفسير البرهان» ج ١، ص ٥١٩ .

٥ ـ «غاية المرام» ص ٢٣٧، الحديث العشرون.

و ذكر الحاكم فى «المستدرك» بإسناده هذه الرواية نفسها بالنصّ الذى نقله البحرانىّ فى «تفسير البرهان» عن الحاكم الحسكانىّ.[١] و نقلها أيضاً صاحب «ينابيع المودّة» عن الحاكم الحسكانىّ فىالباب ٢٦ ص ٩٩. و الراوى عنده هو بريدة الاسلمىّ، و ذكر عبارة «**فَأَلْصَقَ يَدَهُ**» بديلة عن كلمة «**فَأَلْزَقَهَا**»، و جاء فى آخرها مايلى: «**فَقَالَ: أَنْتَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَنْتَ مَنَادُ الاَنَامِ وَ غَايَةُ الْهُدَى وَ أَمِيرُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، أَشْهَدُ عَلى ذَلِكَ أَنَّكَ كَذَلِك.**»

ثمّ قال: أخرج ابن صبّاغ المالكىّ فى «الفصول المهمّة» هذه الرواية نفسها عن ابن‌عبّاس .

و قال السيوطىّ : أخرج ابن مردوية عن أبى برزة الاسلمىّ أنّه قال : **سَمِعْتُ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيهِ‌وِ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ» وَ وَضَعَ يَدَهُ على صَدْرِ نَفْسِهِ، ثُمَّ وَضَعَهَا على صَدْرِ علي وَ يَقُولُ: «لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ»** .[٢] وذكر الحاكم الحسكانىّ هذا النصّ من الرواية بإسناده عن أبى برزةً بسنَدين .[٣] و نقلها السيّد البحرانىّ عن إبراهيم الحموينىّ فى «فرائد السمطين» بإسناده عن أبى هريرة الاسلمىّ ،[٤] و عن الثعلبىّ فى تفسيره بإسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس ، [٥] و قال ابن شهرآشوب : قال الحاكم الحسكانىّ فى «شواهد التنزيل»، و المرزبانىّ فى كتابه الذى صنّفه حول الآيات القرآنيّة النازلة بشأن أمير المؤمنين أنّ أبا برزة روى تلك

---

١ ـ «تفسير الميزان» ج ١١، ص ٣٦٠.

٢ ـ «الدرّ المنثور» ج ٤، ص ٤٥.

٣ ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٩٧ و ٢٩٨.

٤و٥ ـ «غاية المرام» ص ٢٣٥، الحديث الثانى و الثالث؛ و «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٥ عن «مناقب» ابن شهرآشوب.

الرواية المشار إليها .[١]

الطبقة السابعة: الروايات التى تشير إلى ما قيل للرسول الاعظم فى معراجه من أنّ هادى الأُمّة هو على بن أبى طالب. روى المجلسىّ عن «تفسير فرات بن إبراهيم» بسنده عن البراء بن عيسى التميمىّ رفعه عن أبى جعفر عليه السلام ـ أنّه قال: **قَالَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ : لَمّا أُسْرِىَ بِى إلى السَّمَاءِ لَمْ يَكُنْ بَيْنِى وَ بَيْنَ رَبِّى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَ لاَ نَبِىٌّ مُرْسَلٌ ، مَا سَأَلْتُ رَبِّى حَاجَةً إلاّ أَعْطَانَى خَيْراً مِنْهَا فَوَقَعَ فِى مَسَامِعِى «إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَاد» فَقُلْتُ: إِلَهى أَنَا الْمُنْذِرُ فَمَن الْهَادِى؟ فَقَالَ اللَهُ: يَا مُحَمَّدُذَاكَ على بْنُ أَبِىَ طَالِب، آيَةُ الْمُهْتَدِينَ وَ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ مِنْ أُمَّتِكَ برَحْمَتِى إلى الْجَنَّةِ .**[٢]

و روى الحاكم الحسكانىّ بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس أنّه قال: **قال رسول اللـه صلّى اللـه عليه وآله و سلّم: لَيْلَةَ أُسْرِىَ بى مَا سَأَلْتُ رَبِّى شَيْئاً إلاّ أَعْطَانِيةِ [وَ] سَمِعْتُ مُنَادِياً مِنْ خَلْفِى يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ «إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَاد» قُلْتُ: أَنَا الْمُنْذِرُ فَمَن الْهَادِى؟ قَالَ: على الْهَادِى الْمُهْتَدِى الْقَائِدُ أُمَّتِكَ إِلى جَنَّتِى غَرَّاءَ مُحَجَّلِينَ برَحْمَتِى .**[٣]

و من هنا روى إبراهيم الإصبهانىّ عن حُذيفة بن اليمان بثلاثة طرق أنّه قال: **قال النبىّ ـ صلّى اللـه عليه وآله و سلّم: إِنْ تَسْتَخْلُفُوا عَلِيّاً ـ و مَا أَراكُمْ فَاعِلِينَ ـ تَجِدُوهُ هَادياً مَهْدِيّاً يَحْمِلُكُمْ على الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاء .**[٤]

---

١ ـ «مناقب» ابن شهرآشوب ص ٥٦٧ ، و «تفسير البرهان» ج ١، ص ٥١٩ .

٢ ـ «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٦ ، الطبعة الحجريّة.

٣ ـ «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٢٩٦.

٤ ـ «مناقب» ابن شهرآشوب ج ١، ص ٥٦٧ ؛ و «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٥؛ و الطبعة الحروفيّة ج ٣٥، ص ٣٩٨ نقلاً عن «المناقب».

و نقل أبوالفتوح هذه الرواية فى تفسيره ثمّ قال: هنا إشارة، و فى تلك الإشارة بشارة لك. و هى أنّ رسول الله سمّى على بن أبى طالب هادياً و مهديّاً (لاننّا نعلم وفقاً للآية وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) أنّ الإمام الاوّل هاد، و أنّ الإمام الآخر هو المهدىّ، فنجاتك عندئذٍ لابدّ منها، لانّ رسول الله قال : **لَنْ تَهْلِكَالرَّعِيَّةُ وَ إِنْ كَانَتْ ظَالِمَةً مُسِيئَةً إِذَا كَانَتِ الْوُلاَةُ هَادِيَةً مَهْدِيَّةً.** أَلاَ تَرى كم هو رائع ما أنشده الشاعر:

تَلْقَى الاَمَانَ على حِياضِ مُحَمَّدٍ ثَوْلاَءُ مُخْرِفَةٌ وَ ذِئبٌ أَطْلَسُ
لاَذِى يَخَافُ وَ لاَ لِذَلِكَ جُرْأَةٌ يَهْدِى الرَّعِيَّةَ مَا اسْتَقَامَ الرَّيْسُ[1]

و هذان البيتان للكميت بن زيد الاسدىّ شاعر أهل البيت ، و كان شيعيّاً ونراه هنا يتحسّر على غصب الآخرين حقَّ آل محمّد و استئثارهم به ، و يشير فيهما إلى ظهور قائم آل محمّدفى ذلك العصر الذى ينشر فيه العدل أجنحته على ربوع المعمورة ، فلا تخاف الشاه من الذئب ، ولاالذئب يهاجم الشاة .

ومن هذا المنطلق نرى الزرقاء الكوفيّة تصرّح بعدل أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام بين يدى معاوية بن أبى سفيان مستشهدة بالآية الكريمة : «**إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**». فقد روى الحاكم الحسكانىّ بإسناده عن عبدالله بن عامر أنّه قال: **أُزْعِجَتِ الزَّرْقَاءُ الْكُوفِيَّةُ إِلى مُعَاوِيَةَ فَلَمّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ: مَا تَقُولِينَ فِى مَوْلَى الْمُؤمِنِينَ على؟ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:**

صَلَّى إِلاَلَهُ على قَبْرٍ تَضَمَّنَهُ
نُورٌ فَأَصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَدْفُوناً

١ ـ «تفسير أبىالفتوح الرازىّ» ج ٦ ، ص ٤٦٣ (بالفارسيّة) و قد ترجمنا كلامه. (م)

مَنْ حَالَفَ الْعَدْلَ وَ الآیَمَانَ مُقْتَرِنًا

فَصَارَ بالْعَدْلِ وَ الآیَمَانِ مَقْرُونًا

فَقَالَ لَهَا مُعَاوِیَةُ: کَیْفَ غَرَرْتِ فِیهِ هَذِهِ الْغَرِیرَةَ ؟ فَقَالَتْ: سَمِعْتُ اللَهَ یَقُولُ فِی کِتَابِهِ لِنَبِیِّهِ: «إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» الْمُنْذِرُ رَسُولُ اللهِ وَ الْهَادِی علی وَلِیُّ اللَهِ . [1]

و کذلک عندما واجه قیس بن سعد بن عبادة معاویة فی المدینة بعد استشهاد الإمام الحسن علیه السلام و جرت بینهما مناقشات حادّة، فإنّ من المناقب التی ذکرها قیس لمعاویة فی أمیرالمؤمنین علی هی استشهاده بالآیة «إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» قائلاً إنّها نزلت فی أمیرالمؤمنین علیه السلام . [2]

الطبقة الثامنة: الروایات التی تدلّ علی أنّ الهادی لیس أمیرالمؤمنین علیه السلام فحسب، بل إنّ أئمّة أهل البیت علیهم السلام بالترتیب هم مصادیق لهذا العنوان. و نقسم هذه الروایات إلی قسمین :

القسم الاوّل : الروایات التی تُشعر أنّ القرآن المجید لم ینزل فی شخص علی وجه التعیین، لانّه لو کان کذلک لمات القرآن أو إحدی آیاته بموت ذلک الشخص. و لمّا کان القرآن حیّاً أبداً ، لذلک لابدّ من وجود مصداق حیّ و معبِّر لآیاته دائماً . روی السیّد البحرانیّ، والمجلسیّ عن «تفسیر العیّاشیّ» عن عبدالرحیم القصیر أنّه قال: **کُنْتُ یَوْماً بَیْنَ الاَیّامِ عِنْدَ أَبی جَعْفَرٍ عَلَیهِ السَّلاَمُ فَقَالَ: یَا عَبْدَ الرَّحِیمِ . قُلْتُ: لَبَّیْکَ. قَالَ :**

---

١ ـ «شواهد التنزیل» ج ١، ص ٣٠٢.

٢ ـ «غایة المرام» ص ٢٣٦، الحدیث الرابع عشر نقلاً عن سلیم بن قیس الهلالیّ الکوفیّ، و «تفسیر البرهان» ج ١، ص ٥١٩

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَا الْمُنْذِرُ وَ علی الْهَادِی، مَنِّ الْهَادِی إلی الْيَوْمِ؟ [١] فَسَكَتُّ طَوِيلاً ثُمَّ رَفَعْتُ رَأسِی فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ هِیَ فِيكُمْ تَوَارَثُونَهَا رَجُلٌ فَرَجُلٌ حَتَّی انْتَهَتْ إِلَيْكَ فَأَنْتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ الْهَادِی. قَالَ: صَدَقْتَ يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ إِنَّ الْقُرْآنَ لاَ يَمُوتُ و ای‌يَةُ حَيَّةٌ لاَ تَمُوتُ، فَلَوْ كَانَتِ الآيَةُ فِی الاَقْوَامِ مَا ثُوا فَمَاتَ الْقُرْآنُ وَلَكِنْ هِیَ جَارِيَةٌ فِی الْبَاقِينَ كَمَا جَرَتْ فِی الْمَاضِينَ. وَ قَالَ عَبْدُ الرَّحِيمِ: قَالَ أَبُو عَبْدِاللَّهِ عَلَيهِ السَّلاَمُ: إِنَّ الْقُرآنَ حَیٌّ لَمْ يَمُتْ وَ إِنَّهُ يَجْرِی كَمَا يَجْرِی الَّيلُ وَ النَّهَارُ وَ كَمَا يَجْرِی الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ يَجْرِی علی آخِرِنَا كَمَا يَجْرِی علی أَوَّلِنَا. [٢]

و روی محمّد بن يعقوب الكلينیّ فی «الكافی» بسنده عن أبی بصير أنّه قال: قُلْتُ لاِبِی عبْدِاللَّهِ عَلَيهِ السَّلاَمُ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ الْمُنْذِرُ وَ علی الْهَادِی. يَا أَبَا مُحَمَّدٍ هَلْ مِنْ هَادٍ الْيَوْمَ؟ قُلْتُ: بَلَی جُعِلْتُ فِدَاكَ مَازَالَ مِنْكُمْ هَادٍ بَعْدَ هَادٍ حَتَّی دُفِعَتْ إِلَيْكَ. فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَوْ كَانَتْ إِذَا نَزَلَتْ آيَةٌ علی رَجُلٍ ثُمَّ مَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مَاتَتِ ای‌يَةُ مَاتَ الْكِتَابُ، وَ لَكِنَّهُ حَیٌّ يَجْرِی فِيمَنْ بَقِیَ كَمَا جَرَی فِيمَنْ مَضَی. [٣]

القسم الثانی: الروايات التی تجعل الائمّة عليهم السّلام مصاديق

---

١ ـ جاءت كلمة «إلَی» فی «تفسير البرهان»، و فی «غاية المرام» أيضاً، لكنّها لم ترد فی «بحار الانوار».

٢ ـ «غاية المرام» ص ٢٣٧، الحديث السادس عشر، و «تفسير البرهان» ج ١، ص ٥١٩ و «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٦.

٣ ـ «أصول الكافی» ج ١، ص ١٩٢. و جاءت متكرّرة فی «تفسير البرهان» ج ١، ص ٥١٨، و «غاية المرام» ص ٢٣٥، الحديث الثالث.

لعنوان الهادى بصورة مباشرة دون الاستشهاد بتطبيق الآية «**إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**» عليهم من باب الجرى و التطبيق، و الاستدلال بحياة القرآن.

فقد روى أبوالحسن محمّد بن أحمد بن على بن شاذان الفقيه عن طريق العامّة بإسناده عن عبدالله بن عمر أنّه قال: **قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: بى أُنذِرْتُمْ وَ بعَلِىٍّ بْن أَبى طَالِب اهْتَدَيْتُمْ . وَ قَرَأَ: «إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ». وَ بالْحَسَن أُعْطيتُمُ الآحْسَانَ وَ بالْحُسَين تَسْعَدُونَ وَ بهِ تَشْقُونَ. أَلاَ وَ إِنَّ الْحُسَينَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ مَنْ عَانَدَهُ حَرَّمَ اَللَهُ عَلَيْهِ رِيحَ اَلْجَنَّةِ .** [1]

و روى العيّاشىّ عن مسعدة بن صدقة، عن الإمام جعفر الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: **قال أميرالمؤمنين عليه السلام: فِينَا نَزلَتْ هَذِهِ ايةُ: «إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ». فَقَالَ رَسُولُ الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: أَنَا الْمُنْذِرُ وَ أَنْتَ اَلْهَادىَ يَا على، فَمِنَّا الْهَادِى وَاَلنَّجَاةُ وَ اَلسَّعَادَةُ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .** [2]

و روى الشيخ الصدوق محمّد بن على بن بابويه القمّىّ بإسناده عن الحسين بن يزيد بن عبد على، عن عبدالله بن الحسن، عن أبيه، عن الإمام الحسن عليه السلام أنّه قال: خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوماً، فقال بعدما حمد الله و أثنى عليه: **مَعَاشِرَ النَّاسِ كَأَنّى أُدْعَى فأُجيب ، وَ إِنّى تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْن كِتَابَ اللَهِ وَ عِتْرَتى أَهْلَ بَيْتِى. أَمّا إِنْ تَمَسَكْتُمْ بهما لَن ْ تَضِلُّوا، فَتَعَلَّمُوا مِنْهُمْ وَ لاَ تُعَلِّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ. لاَ تَخْلُو الأَرْضُ**

---

١ ـ «غاية المرام» ص ٢٣٥ الحديث السادس، و «تفسير البرهان» ج ١، ص ٥١٩ .

٢ ـ «تفسير البرهان» ج ١، ص ٥١٩ .

مِنْهُمْ وَ لَوْ خَلَتْ لاَنْسَاخَتْ بِأَهْلِهَا.

ثُمّ قالَ [صلوات اللهِ عليه وآله] : **اللَهُمَّ إِنِّى أَعْلَمُ أَنَّ الْعِلْمَ لاَيَبِيدُ وَلاَيَنقَطِعُ وَ أَنَّكَ لاَ تُخْلِى الاَرْضَ مِنْ حُجَّةٍ لَكَ علَى خَلْقِكَ ظَاهِرٍ لَيْسَ بِالْمُطَاعِ أَوْ خَائِفٍ مَغْمُور كَيْلاَ تَبْطُلَ حُجَّتِكَ وَ لاَ تَضِلَّ أُوْلِيَاءُكَ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ أُولَئِكَ اَلاَقَلُّونَ عَدَداً الأَعْظَمُونَ قَدْراً عِنْدَ اللَهِ.**

فلمّاً نزل عن منبره، قلت له: يا رسول الله أمَا أنت الحجّة على الخلق كلّهم؟ قال: يا حسن، إنّ الله يقول: «**إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**» **فَأَنَا الْمُنْذِرُ وَ على الْهَادى** .

قلتُ: يا رسول الله قولك: إنّ الارض لاتخلو من حجّة. قال : نعم ، على هو الإمام و الحجّة بعدى، و أنت الإمام و الحجّة بعده، و الحسين الإمام والحجّة و الخليفة من بعدك. و لقدنبّأنى اللطيف الخبير أن يخرج من صلب الحسين ولد يقال له: على سمىّ جدّه، فإذا مضى الحسين، قام بعده على ابنه، و هو الإمام و الحجّة بعد أبيه، و يُخرج الله من صلب على ولداً سميّى و أشبه الناس بى علمه علمى و حكمه حكمى و هو الإمام و الحجّة بعد أبيه . و يُخرج الله تعالى من صُلب محمّد مولوداً يقال له: جعفر، أصدق الناس قولاً و فعلاً، و هو الإمام و الحجّة بعد أبيه. ويخرج الله تعالى من صلب جعفر مولوداً يقال له: موسى سمىّ موسى بن عمران أشدّ الناس تعبّداً ، فهو الإمام و الحجّة بعد أبيه. و يُخرج الله من صلب موسى مولوداً يقال له: على معدن علم الله و موضع حكمه و هو الإمام و الحجّة بعد أبيه. و يُخرج الله من صلب على مولوداً يقال له: محمّد، فهو الإمام و الحجّة بعد أبيه . و يُخرج الله من صلب محمّد ولداً يقال له: على، فهو الإمام و الحجّة بعد أبيه. و يخرج الله من صلب على مولوداً يقال له: الحسن، فهو الإمام و الحجّة بعد أبيه . و يُخرج الله من صلب الحسن الحجّة القائم إمام شيعته

و منقـذ أوليائـه، يغيـب حتّـى لايـرى، يرجـع عـن أمـره قـوم و يثبـت عليـه آخـرون، و يقولـون: متى هـذا الوعـد إن كنتـم صـادقين. **وَ لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ مِـنَ الدُّنْيَـا إلاّ يَـوْمٌ و اَحِـدٌ لَطَـوَّلَ اللَـهُ عَزَّوَجَـلَّ ذَلِـكَ الْيَـوْمَ حَتّـى يَخْـرُجَ قَائِمُنَـا فَيَمْـلاَ الاَرْضَ قِسْـطاً وَعَـدْلاً كَمـا مُلِئَـتْ ظُلْمـاً وَ جَـوْراً، فَـلاَ تَحْلَـو الاَرضُ مِنْكُـمْ أَعْطَـاكُمُ اللَـهُ عِلْمِـى وَ فَـهْمِى وَ لَقَـدْ دَعَـوْتُ اللَـهَ تَبَـارَكَ وَ تَعَـالَى أَنْ يَجْعَـلَ الْعِلْـمَ وَالْفِقْهَ فِى عَقِبِى وَ عَقِبِ عَقِبِى وَ فِى زَرْعِى وَزَرْعِ زَرْعِى.**[١]

يضـمّ هـذا الحديـث الشـريف نقاطـاً ينبغـى الإمعـان فى كـلّ واحـدة منـها بنحو مجمل .

النقطـة الاولى : تبيـان الثقلـين ، أى : كـتاب اللـه ، و أهـل البيـت، الذيـن اعتـبر رسـول اللـه التمسّـك بهمـا تحصينـاً ضدّ الضـلال . و هـذا الحديـث مـن الأحـاديث المتواتـرة الـتى رواهـا مـا يربـو علـى الثلاثـين مـن صحابـة النـبىّ صلّىاللـه عليـه وآلـه وسلّم. و نـاهيك عـن علمـاء الشـيعة الكبـار و مصنّفـاتهم الموثوقـة، فقـد رواه أكـثر مـن مـائتى عـالم مـن علمـاء السـنّة الكبـار بألفـاظ متنوّعة ،[٢] و جاء فى ما يزيد على خمسمائة كتاب من كتبهم المعتمدة .[٣]

و خصّـص العلاّمـة آيـة اللـه مـير حـامد حسـين اللكنـهوىّ الهنـدىّ النيسـابورىّ رضـوان اللـه عليـه الجـزء الثـانى عشـر مـن كتابـه «عقبـات الانـوار» للبـحث حـول هـذا الحـديث ، و قسّـمة إلى جـزءيـن ، خصّـص الاوّل للبـحث فى

---

١ ـ «غايـة المـرام» ص ٢٣٦ الحديـث الحـادى عشـر، و «تفسـير البرهـان» ج ١، ص ٥١٧ و ٥١٨ .

٢ ـ جـاءت هـذه العبـارة فى مقدّمـة «العقبـات» فى الجـزء الاوّل مـن المجلّـد الثـانى عشـر، فى القسم الاوّل مقابل الصفحة الأُولى.

٣ ـ تجـد الفـهرس الـذى يضـمّ المصـادر الخاصّـة بسـند حديـث الثقلـين فى ملحـق الجـزء الاخير من المجلّد الثانى عشر من «عقبات الانوار» من ص ١١٦٥ إلى ١١٨٨.

سند الحديث، و الثانى للبحث فى دلالته . [١] و ألّف المیرزا نجم‌الدين شريف العسكرىّ كتاباً مستقلاً حول هذا الحديث و حديث السفينة من مصادر العامّة أسماه: «محمّد و على و حديث الثقلين و حديث السفينة». و سنتعرض إلى هذا الحديث مفصّلاً فى بحوثنا القادمة إن شاء الله تعالى.

النقطة الثانية: أنّ قوله صلّى الله عليه وآله: **لاَ تُعَلِّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ** مأثور عن رسول الله بواسطة كثير من علماء العامّة و الخاصّة. و قد نقلناه فى الصفحة الحادية و العشرين من الجزء الثالث من هذا الكتاب [٢] عن جابر بن عبدالله الانصارىّ. و إذا ضممنا هذا القول إلى قول آخر رواه الإمام الحسن عليه السلام عن جدّه فى خطبة له، فستُستنتج منهما إمامة الائمّة الاطهار و قيادتهم. و هذا القول هو: **وَ قَدْ سَمِعَتْ هَذِهِ الاُمَّةُ جَدِّى صَلَّى اللَهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا وَلَّتْ أُمَّةٌ أَمْرَهَا رَجُلاً وَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ إلاّ لَمْ يَزَلْ يَذْهَبُ أَمْرُهُمْ سَفَالاً حَتّى يَرْجِعُوا إلى مَاتَرَكُوهُ .** [٣]

يستفاد من الجمع بين هذين القولين المأثورين عن رسول الله أنّ الائمّة الطاهرين عليهم السلام يجب أن يتولّوا قيادة الناس فى جميع شؤونهم بلا استثناء سواء كانت الشؤون المعاشيّة، و سياسة المدن، و تدبير المنزل ، أو كانت الشؤون الخاصّة بالمعاد و المعارف و العلوم الدينيّة ، وذلك

---

١ ـ طبعت المؤسّسة الخاصّة بنشر نفائس المخطوطات بأصفهان هذين الجزءين الذين يشكّلان المجلّد الثانى عشر فى ستّة مجلّدات.

٢ـ الاءشارة إلى الطبعة الفارسيّة للكتاب

٣ـ «ينابيع المودّة» ص ٤٨٢، الباب التسعون. و ذكره فى «غاية المرام» ص ٢٩٨ تحت عنوان الحديث السادس و العشرين ضمن خطبة للإمام الحسن عليه السلام عند بيعته معاوية . و نقل موجزاً لهذه الخطبة بسند آخر فى ص ٢٩٨ و ٢٩٩ تحت عنوان الحديث السابع والعشرين ، و ذكر القول نفسه حول ولاية الاُمّة فى السطر الخامس عشر من الصفحة .

أوّلاً لانّ أعلميّتهم جاءت بشكل مطلق، و هذا له حكم صغرى القضيّة ، و لانّه صلّى الله عليه وآله ثانياً جعل زعامة الاعلم لازمة واجبة ، و هذا له حكم كبراها. و محصّلة ذلك كلّه، أنّ زعامتهم دائميّة و مطلقة.

يقول مولى الموحّدين و أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ضمن الخطبة ١٤٢ من خطب «نهج البلاغة» **أَيْنَ الَّذينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِباً وَ بَغْياً عَلَيْنَا ، أَنْ رَفَعَنَا اللَهُ وَ وَضَعَهُمْ ، وَأَعْطَانَا** (من نعَم علومه و معارفه) **وَ حَرَمَهُمْ ، وَ أَدْخَلَنَا** (فِى الإيمان والتوحيدو درجات القرب) **وَ أَخْرَجَهُمْ. بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى** (و بنا تُقسم الهداية بين أفراد البشر، فيأخذ كلٌّ نصيبه منها) **وَ يُسْتَجْلى الْعَمَى** (فتبصر العين و يظهر نور الباطن فى قلوب الناس فيمكن لكلّ أحد أن يميّز حجب ظلمات الجهل و أن تبصر عيونه بنور البصيرة). **إنَّ الائِمَّةَ مِنْ قُرَيش غُرسُوا فى هَذا الْبطْن مِنْ هَاشِم، لاَ تَصْلُحُ على سِوَاهُمْ، وَ لاَتَصْلُحُ الْوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهُمْ.** (وَلا تليق الإمامة و القيادة إلاّ لهم، و لا يجوز أن يكون حكّام الامّة غيرهم). [1]

و يقول فى الخطبة ١٤٥: **وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتّى تَعْرِفُوا الَّذِى تَرَكَهُ، وَ لَنْ تَأْخُذُوا بِمِثَاقِ الْكِتَابِ حَتّى تَعْرِفُوا الَّذِى نَقَضَهُ ، وَ لَنْ تُمَسِّكُوا بِهِ حَتّى تَعْرِفُوا الَّذِى نَبَذَهُ** (أى أنّ أحد شروط فهم كتاب الله و تمام معرفته، معرفة مخالفى القرآن و مُنكريه. فما لم يُعرَف أئمّة الضلال و ما لم يُتبرّأ من فعلهم و قولهم، فإنّ التمسّك بالقرآن الكريم و بحقيقة أئمّة الحقّ لم يتحقّق.) **فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ** (و هم الائمّة من أهل البيت) **فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَ مَوْتُ الْجَهْلِ، هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ**

١ـ «نهج البلاغة» الجزء الاوّل، ص ٢٦٢.

وَ صَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ وَ ظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ لاَيُخَالِفُونَ الدِّينَ وَ لاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ.[1] (حيث إنّ عملهم بالدين، و تركّز معنى الدين و روحه فى وجدانهم و نفوسهم أفضل شاهد صادق على حقيقتهم، و تطبيق أسرار الدين فى قلوبهم و جوارحهم أفضل شاهد عملىّ ذى شفاه مُطبقة و قلب ناطق، على حقيقتهم).

و يقول الإمام زين العابدين و سيّد الساجدين على بن الحسين عليه السلام فى دعاء يوم عرفة، و هو الدعاء السابع و الاربعون من أدعية «الصحيفة السجّاديّة الكاملة»: **اللَهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِى كُلِّ أَوانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ وَ مَنَاراً فِى بِلاَدِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَ جَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلى رِضْوَانِكَ، وَ أَفْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ وَ حَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَ أَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَ الانْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَ أَلاّ يَتَقَدَّمَهُ مُتَقَدِّمٌ، وَ لاَ يَتَأَخَّرُ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ، فَهُوَ عِصْمَةُ اللاّئِذِينَ وَ كَهْفُ الْمُؤمِنِينَ وَ عُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ وَ بَهَاءُ الْعَالَمِينَ.**

ذكر المرحوم السيّد على خان المدنىّ الكبير موضوعات نفيسة فى شرح هذا المقطع من الدعاء من شرح «الصحيفة السجّاديّة الكاملة» ننقل هنا ملخّصاً لها: وصف الإمام على بن الحسين عليه السلام الإمام بأربعة أوصاف:

الاوّل: عِصْمَةُ اللاّئِذِينَ أى: مانع لمن لاذ به و التجاء إليه بسبب هدايته له إلى سلوك الصراط المستقيم عن التورّط فى أحد طرفى الإفراط والتفريط.

الثانى: كَهْفُ الْمُؤمِنِينَ أى: ملجأ جماعة المؤمنين الذين يلجأون إليه عند حلول الشبهات و يعوّلون عليه فى الخلاص من الظلمات.

١ـ «نهج البلاغة» الخطبة ١٤٥، الجزء الاوّل ص ٢٦٧؛ و «ينابيع المودّة» ص ٤٤٦.

الثالث: عُروَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ أی: منقذ من تمسّك به واقتدی بأثره وانقاد لامره و نهیه من مهاوی الهلکات و الوقوع فی مساقط النقمات.

الرابع: بَهَاءُ الْعَالَمِينَ أی: به یکون انتظام أمر العالم و حسن هیئته إذ بهدیه و سیرته یعتدل میزان العدل و یقوم عماد الحقّ فی الخلق.

هذا الدعاء الذی یدلّ علی لزوم الإمام فی کلّ زمن من الازمان ممّا تطابق علیه العقل و النقل. أمّا العقل فبیانه أنّ الإنسان غیر مکتف فی الوجود و البقاء بذاته لانّ نوعه لم ینحصر فی شخصه، فلا یعیش فی الدنیا إلاّ بتمدّن و اجتماع و تعاون، و لایمکن وجوده بالانفراد، فافترقت أعداد و اختلفت أضراب، و انعقدت ضیاع و بلاد، فاضطرّوا فی معاملاتهم و مناکحاتهم و جنایاتهم إلی قانون مرجوع إلیه بین کافّة الخلق یحکمون به بالعدل ، و إلاّ تغالبوا و تهارسوا و فسد الجمیع وانقطع النسل و اختلّ النظام . و لابدّ من قانون یعیّن لهم منهجاً یسلکونه لانتظام معاشهم فی الدنیا، و یسنّ لهم طریقاً یصلون به إلی الله. و ذلک القانون هو الشرع الذی یعیّن لهم منهجاً یسلکونه لانتظام معاشهم فی الدنیا، و یسنّ لهم طریقاً یصلون به إلی الله، و یفرض علیهم ما یذکّرهم أمر الآخرة، و الرحیل إلی ربّهم وینذرهم و ینادون فیه من مکان قریب، و یهدیهم إلی الصراط المستقیم.

و لابدّ أن یکون إنساناً، لانّ مباشرة الملک لتعلیم الإنسان علی هذا الوجه مستحیل، و درجة باقی الحیوانات أنزل من هذا. فتعیّن أن یکون إنساناً، و لابدّ من تخصیصه بآیات من الله دالّة علی أنّ شریعته من عند ربّهم، لیخضع له النوع، و هی المعجزة. و کما لابدّ فی العنایة لنظام العالم من المطر، و العنایة لم تقصر عن إرسال السماء مدراراً لحاجة الخلق، فنظام العالم لایستغنی عمّن یعرّفهم صلاح الدنیا و الآخرة، نعم من لم یهمل إنبات الشعر علی الحاجبین للزینة لا للضرورة ، کیف یهمل من وجوده

رحمة للعالمين، و إقامته علماً يهتدى به لسلوك صراطه المستقيم.

فانظر إلى عنايته و لطفه تعالى كيف أعدّ لخلقه بإيجاد ذلك الشخص مع النفع العاجل و السلامة فى العقبى و الخير الآجل، فهذا هو خليفة الله فى أرضه ، و هو الإمام الذى نصبه علماً لعباده و مناراً فى بلاده .

فإن قلت: هذا البيان إنّما يوجب بعثة النبىّ، الذى هو الشارع المبيّن للشريعة لا مطلق الإمام. قلت: كما احتاج المكلّفون إلى نبىّ يستفيد الشريعة و الحكمة من الوحى، فكذلك يحتاجون إلى حافظ لما بلّغه النبىّ الأُمّة إلى الأُمّة بعد فوته، إذ لايمكنهم حفظ جميع أحكامه، و الكتاب لايفى بعد النبىّ بمعرفة الاحكام على وجه يرفع الاحتياج إلى الإمام، فإنّ فيه مجملاً و مفصّلاً، و محكماً و متشابهاً، و خاصّاً و عامّاً، و ناسخاً ومنسوخاً ، و علوماً باطنه، و دقائق غامضة من الاحكام و غيرها ممّا لايتيسّر الإحاطة به إلاّ لنبىّ بطريق الوحى، أو وصىّ ذى أُذُن واعية يعى كلّ ما يسمعة من النبىّ، فيحفظه على وجهه، و الاجتهاد ممنوع .

و إن قلنا بصحّته، فإنّما هى عند الضرورة و هى منفية من جانبه ، فلابدّ لتلك الأُمور من حافظ عالم بها على وجهها و لايتيسّر ـ كما عرفت ـ إلاّ لذى نفس قدسيّة و حدس عال، و بصيرة منيرة مصقولة من دنس الجهل و صدأ الصفات الذميمة لتنطبع فيها العلوم الإلهيّة، و تظهر فيها الاسرار الغيبيّة .

و لذلك قال بعض أهل العرفان: إنّ النبوّة و الرسالة من حيث ماهيّتهما و حكمهما ما انقطعتا و ما نسختا، و إنّما انقطع مسمّى النبىّ والرسول ، و انقطع نزول المَلَك حامل الوحى على نهج التمثّل. و على هذا وردت الاخبار عن الائمّة الاطهار عليهم السلام فى الفرق بين الرسول ؛ والنبىّ ، والمحدَّث.

إنّ الرسول: من یظهر له الملك فیکلّمه.

و النبیّ: هو الذی یری فی منامه، و ربّما اجتمعت النبوّة و الرسالة لواحد.

و المحدّث: الذی یسمع الصوت و لایری الصورة.

و اشتهر الخبر عن النبیّ الاکرم صلّی الله علیه وآله وسلّم: **إنّ فی أُمَّتی مُحَدَّثینَ مُکَلَّمِینَ.** و قال **صَلَّی اللَهُ عَلَیهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ أیضاً: إنَّ للَهِ عِبَاداً لَیْسُوا بأَنْبِیَاءَ یَغبطُهُمُ النَّبِیُّونَ.** و أمّا النقل: فهو مستفیض من طرق العامّة و الخاصّة[1] إلی آخر ما ذکره من الروایات .

ولایخفی علی الناقد البصیر والمؤمن الخبیر أنّ کثیراً من المتکلّمین أقاموا هذا اللون من الاستدلال علی لزوم الإمام، المبنی علی صیانة المجتمع و الحضارة الإنسانیّة، و رعایة الحقوق، و عدم الاعتداء علی الآخرین، و نشوء المدینة الفاضلة علی أساس تعاون البقاء لاتنازعة . و أرادوا من وراء هذا البرهان و أمثاله أن یثبتوا مسألة لزوم الحاجة إلی وجود الإمام، بَیدَ أنّ مقام الإمام أرفع من هذه المهمّة، و واجبه أکثر قیمة منها.

و یلاحظ فی الروایات المأثورة عندنا مواضیع عجیبة حول شخصیّة الإمام : نحو تعلّق حیاة البشریّة به، ولولا وجوده لساخت الارض بأهلها ، وأنّه حبل الله، و الاسم الاعظم، و آیة الحقّ الکبری، و قوام العوالم، والقیّم علی الخلق، و قوام حیاة القلوب و طمأنینتها و لذلك لو قال أحد فی مقابل البرهان المشار إلیه إنّه لو طبّق الحکماء الخبراء و العقلاء فی کلّ شعب قانون العدالة علی ذلك الشعب وفقاً لآرائهم و أسالیبهم، و مرّنوا الاشخاص

١ـ «شرح الصحیفة» للسیّد علی خان، ص ٥٠٠

على اتّباع ذلك القانون من خلال القيام بتعليمهم و تربيتهم تربية صحيحة ، و باشروا تلقين الاطفال منذ طفولتهم بالابتعاد عن الكذب والسرقة و كلّ ضرب من ضروب الخيانة و الجريمة كما يشاهد ذلك فى بعض البلدان البعيدة عن معرفة الله التى طالما تحافظ على النظم و الآداب ، فما هى حاجتنا إلى الإمام إذاً ؟ و لو كانت الفائدة من وجود الإمام تكمن فى المحافظة على الناس من الاعتداءات و الانتهاكات، فإنّها يمكن أن تتحقّق بدون وجوده أيضاً، و قد دلّت التجربة على ذلك. إنّ هذا اللون من الاستدلال هنا لا يجد له أرضيّة.

بَيدَ أنّ مقام الإمام كما ذكرنا لاينحصر فى المحافظة على العدالة والتوازن فى الحقوق، بل إنّ الإمام هو حلقة الوصل بين الخلق و الخالق . ولمّا كان الإنسان قد انغمس فى عالم الماديّات و نأى عن نسيم عالم القدس، و حرم من النفحات الربّانيّة و الاشعاعات الملكوتيّة، وجد نفسه قلقة مضطربة، و هو سيّد هذا المقام سواء كان متحضّراً أو لم يكن، و سواء عاش فى المجتمع أم لم يعش .

و لذلك لو فرضنا أنّ إنساناً يعيش وحده فى جزيرة خضراء مستمتعاً بجميع المواهب الماديّة، متحرّراً من كلّ علاقة بأحد، نحو: علاقة الزوجة و الابن، و الاب و الاُمّ، و الاُخت و الاخ، و الشريك و الجار، و الحاكم والمحكوم، والرئيس و المرؤوس، فإنّه لايخلو من هذا القلق و الاضطراب فهو معذّب بالذكريات المشوّشة، و كلّما تذكّر نقاط ضعفه فإنّه يقع فريسة للاضطراب و التخبّط، فالنأى عن حريم الله و أمانه حيث ملاذه الحقيقىّ ينغّص عليه جميع النعم التى يرفل بها فى تلك الجزيرة الخضراء، و تلوح له المناظر الجميلة الخلاّبة و كأنّها هياكل من الغول و الجنّ و الشيطان. والإنسان لايشعر بالسكينة والهدوّ ما لم يرتبط بالله . فسكينته فقط و فقط

بأُنسه مع اللـه، و قد قال جلّ من قائل: **أَلاَ بِذِكْرِ اللـه تَطْمَئِـنُّ الْقُلُوبُ** .[١]

و لا تستقرّ السكينة و ذكر اللـه و الهدوء فى القلب إلاّ بتعليم يمارسه مربٍّ كامل قد اجتاز طرق الآخرة جميعها و لسانه ناطق معبّر بقوله: سَلُونِى قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِى. فهو قمين للقيادة لا من فقد تلك الصفة. و ينبغى للإنسان إمّا أَن يبلغ هذه المرحلة أو يخضع لتربية و تعليم إنسان ناضج واع ، والاوّل هو الإمام، و الثانى هو المأموم، و ليس هناك فرض ثالث. و جاء فى القرآن الكريم على لسان أهل جهنّم عندما يخاطبون خزنتها قوله: **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِاَصْحَابِ السَّعِيرِ**.[٢] و يستفاد من هذه الآية أنّ ذنب أصحاب السعير و هم أهل جهنّم، هو الغطرسة و العمل بآرائهم الشخصيّة، و عدم الخضوع لتربية الإمام مهما خيّل إليهم أنّهم من أصحاب الافكار السامية المحمودة، إلاّ أنّ هذا لا يكفى، فالإنسان إمّا أن يصل إلى مقام العقل المستقلّ دون الحاجة إلى الاسباب الخارجيّة، أو يكون سامعاً طيّعاً لمثل هذا العقل، و إلاّ فإنّ مأواه، جهنّم النفس الامّارة و الآراء الباطلة و الخواطر الشيطانيّة، وستتجسّد هذه الاشياء فى العوالم الاُخرى على صورة نيران متّقدة .

و نجد القرآن فى مكان آخر يقسّم الناس إلى ثلاثة أقسام: **وَ كُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً. فَاَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا اَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَ اَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ مَا اَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ.وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** . يقول فى آخر السورة: **فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَ جَنَّتُ نَعِيمٍ * وَ أَمَّا إِن كَانَ مِنْ اَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ**

١ـ الآية ٢٨، من السورة ١٣: الرعد.

٢ـ الآيتان ١٠ و ١١، من السورة ٦٧ : الملك.

اَصْحَـٰبِ الْيَمِـين * وَ أَمَّـآ إِن كَـانَ مِـنَ الْمُكَذِّبِـينَ الضَّـآلِّينَ * فَـنُزُلٌ مِّـنْ حَمِيـمٍ * وَ تَصْلِيَـةُ جَحِيـمٍ . [1] إنّ المقرّبين هنا هم الائمّة الاطهار عليهم السلام خاصّةً، و من بلغ غايته المنشودة فى ظلّ تعليمهم و توجيههم، و قرّ قراره فى حرم الله، و تشرّف بخطابه تعالى: **يَـٰأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّـةُ * ارْجِعِـىٓ إِلَىٰ رَبِّـكِ رَاضِيَـةً مَّرْضِيَّـةً.** [2] و أمّا أصحاب اليمين فهم السائرون على طريق الشريعة باتّباع الإمام، بيد أنّهم لم يبلغوا الغاية المنشودة، و لم يتيسّر لهم مقام القرب . و أمّا أصحاب المشئمة المعبّر عنهم قرآنيّاً بالمكذّبين الضالين فهم المتغطرسون المتعجرفون المعاندون الذين نفخوا أنفسهم بآرائهم و أفكارهم و نأوا بجانبهم معرضين عن الإمام . و هذه حقيقة بيّنها أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ـ لكميل بن زياد النخعىّ :

قَالَ كُمَيْلُ بْنُ زِيـاد: أَخَـذَ بِيَـدى أَمِـيرُالْمُؤمِنِينَ علـى بْـنُ أَبِى طَـالِب عَلَيـهِ السَّلاَمُ فَـأَخْرَجَنى إِلى الْجَبّـانِ فَلَمّـا أَصْحَـرَ تَنَفَّـسَ الصُّعَـداءَ ثُـمَّ قَـالَ: يَـا كُمَيْـلُ إِنَّ هَـذِهِ الْقُلُـوبَ أَوعِيَـةٌ فَخَيْرُهَـا أَوعَاهَـا، فَـاحْفَظْ عَنِّـى مَـا أَقُـولُ لَـكَ : النَّـاسُ ثَلاثَـةٌ: فَعَـالِمٌ رَبّـانىّ، وَ مُتَعَلِّـمٌ علـى سَـبيل نَجَـاة، وَ هَمَـجٌ رَعَـاعٌ أَتْبَـاعُ كُـلِّ نَـاعِق، يَمِيلُـونَ مَـع كُـلِّ رِيـحٍ، لَـمْ يَسْـتَضيئُوا بِنُـورِ الْعِلْـمِ، وَ لَـمْ يَلْجَـأُوا إِلى رُكْنٍ وَثِيقٍ . [3]

يلاحظ هنا أنّ الإمام عليه السلام حصر الناس فى ثلاثة. **الاوّل** : العالم الربّانىّ و هو الإمام أو المتربّى على يده، الذى تألّقت فى قلبه الأنوار الملكوتيّة، و اجتاز هوى النفس بالمرّة ، و أخضع شيطانه و طوّعه له، خبير

١ـ آلآيات ٧ إلى ١١ و ٨٨ إلى ٩٤، من السورة ٥٦ : الواقعة

٢ـ الآيتان ٢٧ و ٢٨، من السورة ٨٩ : الفجر.

٣ـ «نهج البلاغة» ج ٢، ص ١٧١

بأسرار الكون، ضميره متنوّر و قلبه متيقّظ، و هو حيّ بحياة الحقّ و مربّ للبشريّة، **الثانى:** الذى اهتدى بهدى العالِم الربّانىّ و وطأت قدمه طريق السلوك مستضيئاً بنوره، و متحرّكاً بهمّته. **الثالث:** بقيّة الناس من الدانى والعالى الذين سقطوا كلّهم فى مهابط الهلاك بسبب اتّباع هوى النفس فأصبحوا فى عداد الحيوانات المحكومة باللذائذ الحسيّة محرومين من إدراك عوالم القرب أو همّة العروج إلى تلك المراقى و المعارج .

إنّ الثمرة التى نقتطفها من هذا الموضوع هى أنّ مهمّة الإمام ربط قلوب الناس بالله، و إعانتهم بإيصالهم إلى المقامات العالية للقرب واللقاء . و طبيعيّاً فإنّ تدبير شؤون المجتمع أيضاً من مقدّمات الوصول إلى هذه المرحلة، و ليس غاية من الإيجاد و هدفاً من التكوين، و لذلك جاء فى الروايات الواردة أنّه لو لم يكن فى الدنيا غير شخصين اثنين فلابدّ أن يكون أحدهما إماماً .

فقد روى ثقة الإسلام الكلينىّ بسنده عن ابن الطيّار أنّه **قَالَ: سَمِعْتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: لَوْ لَمْ يَبْقَ فِى الارْضِ إلاَّ اثْنَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحُجَّةَ .** [1]

و روى أيضاً بسندين آخرين أحدهما عن حمزة الطيّار، و الآخر عن محمّد بن عيسى، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: **لَوْ بَقِى اثْنَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحُجَّةَ على صَاحِبِهِ .** [2]

و كذلك روى بسنده عن كرّام أنّه قال : **قال أبو عبدالله عليه السلام : لَوْ كَانَ النَّاسُ رَجُلَيْن لَكَانَ أَحَدُهُمَا الإمام ؛ وَ قَالَ: إنَّ آخِرَ مَنْ يَمُوتُ الإمام لِئَلاّ يَحْتَجَّ أَحَدٌ على اللَهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ تَرَكَهُ بِغَيْرِ حُجَّةٍ لِلهِ**

١ـ «أُصول الكافى» ج ١ كتاب الحجّة ص ١٧٩.

عَلَيْهِ . [١]

و روى أيضاً عن يونس بن يعقوب، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: **لَوْ لَمْ يَكُنْ فِى الارض إلاَّ اثْنَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحُجَّةَ .** [٢]

النقطة الثالثة: وردت روايات تحوم حول مفاد قول النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله و سلّم: **لاَ تَخْلُو الاَرْضُ مِنهُمْ.** فقد روى محمّد بن يعقوب الكلينىّ بسنده عن الحسين بن أبى العلاء، أنّه قال: **قلت لابى عبدالله عليه السلام: تَكُونُ الاَرْضُ لَيْسَ فِيهَا الآمام؟ قَالَ: لاَ. قُلْتُ: يكونُ إمامان؟ قال: لاَ، إلاّ وَ أَحَدُهُمَا صَامِتٌ .** [٣]

و روى بسنده أيضاً عن إسحاق بن عمّار، **عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إنَّ الاَرْضَ لاَ تَخْلُو إلاّ وَ فِيهَا إمامٌ كَيْمَا إنْزَادَ الْمُؤمِنونَ شَيئاًر دَّهُمْ، وَ إنْ نَقَصُوا شَيئاً أَتِمَّةُ لَهُمْ .** [٤]

وروى بسنده أيضاً عن عبدالله بن سليمان العامرى، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: **مَا زالَتِ الاَرْضُ إلاَّ وَ لِلهِ فِيهَا الْحُجَّةُ، يُعَرِّفُ الْحَلاَلَ و الْحَرَامَ وَ يَدْعُو النَّاسَ إلى سَبيلِ اللَهِ .** [٥]

و روى بسنده أيضاً عن ابن مسكان، عن أبى بصير، **عن أحدهما عليهما السلام قال: إنَّ اللَهَ لَمْ يَدَعِ الاَرْضَ بِغَيْرِ عَالِمٍ، وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَمْ يُعْرَفِ الْحَقُّو اَلْبَاطِلُ .** [٦]

و روى بسنده أيضاً عن على بن أبى حمزة، عن أبى بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه **قال : إنَّ الله أَجَلُّ وَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَتْرُكَ**

١و٢ـ «أُصول الكافى» ج ١ كتاب الحجّة ص ١٨٠.

٣إلى٦ـ «أُصول الكافى» ج ١ كتاب الحجّة ص ١٧٨.

الاَرْضَ بغَيْرِ إمامٍ عَادِلٍ . [١]

النقطـة الرابعـة: حـولَ قولـه: صلّـى اللـه عليـه وآلـه و سـلّم: **وَ لَـوْ خَلَـتْ لاَنسـاخَتَ بأَهْلِـهَا.** روى ثقـة الإسـلام الكليـنىّ بسـنده عـن علـى بـن راشـد، عـن أبى الحسـن (يعـنى علـى بـن موسـى بـن جعفـر عليـهم السّـلام) **قَـالَ: قُلْـتُ لابِىعبداللـه عليـه السـلام: أَتَبْقَـى الاَرْضُ بِغَـيْرِ إمـامٍ؟ قـال: لَـوْ بَقِيَـتِ الارْضُ بغَيْرِ إمامٍ لَساخَتْ .** [٢]

و كَذلَـك روى بسـنده عـن محمّـد بـن فضيـل، عـن الإمـام الرضـا عليـه السـلام قـال : قلـت لـه: أَتَبْقَـى الاَرْضُ بغـيْرِ إمـامٍ؟ قـالَ : لاَ. **قُلْـتُ: إنّـا نُـروى عَـنْ أبى عَبداللَـهِ عَلَيـهِ السَّـلاَمُ أَنـَّهَا لاَ تَبْقَـى بغَـيرِ إمـام إلاّ أَن يَسْـخَطَ اللَـهُ تَعَالَى على أَهْلِ الاَرْضِ أَوْ على الْعِبَادِ : فَقَالَ: لاَ، لاَ تَبْقَى ، إذاً لَسَاخَتْ .** [٣]

و أيضـاً روى بسـنده عـن أبى هراسـة، عـن الإمـام البـاقر عليـه السـلام قَـالَ : **لَـوْ أَنَّ الآمـام رُفِـعَ مِـنَ الاَرْضِ سَـاعَةً لَمـاجَتْ بأَهْلِـهَا كَمـا يَمُـوجُ الْبَحْـرُ بأَهْلِهِ .** [٤]

و كذلـك روى بسـنده عـن المعلّـى بـن محمّـد عـن الوشّـاء، قَـالَ: **سَـأَلْتُ أبـا الحسـن الرضـا عليـه السـلام هـل تبقـى الارض بغـير إمـام؟ قـال: لاَ. قلـتُ: إنّـا نُـروى أنـّها لاتبقـى إلاّ أن يسـخط اللـه عـزّ وجـلّ علـى العبـاد؟ قـال: لاَ تَبقـى إذاً لَساخَتْ** [٥] **.**

النقطـة الخامسـة: قولـه صلّـى اللـه عليـه وآلـه و سـلّم ـ: **وَ أَنـَّكَ لاَ تُخْلِـى الاَرْضَ مِـنْ حُجَّـةٍ لَـكَ علـى خَلْقِـكَ ظَـاهِرٍ لَيْـسَ بالْمُطَـاعِ أَوْ خَـائِفٍ مَغْمُـورٍ. إلى أَن يُقول: أُولَئِكَ الاَقَلُّونَ عَدَداً الاَعْظَمُونَ قَدْراً عِنْدَ اللَـه .**

١ـ «أُصول الكافى» ج ١ كتاب الحجّة ص ١٧٨

٢إلى٥ـ «أُصول الكافى» ج ١ كتاب الحجّة ص ١٧٩.

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام فى ذيل ذلك الكلام الذى قاله لكميل عند خروجهما إلى المقبرة فى الصحراء بعد أن بيّن له الاقسام الاربعة من العلماء الذين هم طلاّب الدنيا و ضعفاء الرأى و بعد أن تمنّى أنّه لو يجد أحداً يعلمّه العلوم المودعة فى صدره، و ذكر أنّ الدنيا خلت من العلم :

اللَهُمَّ بَلَى لاَ تَخْلُو الاَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلله بحُجَّةٍ إمّا ظَاهِراً مَشْهُوراً أَوْ خَائِفاً مَغْمُوراً لِئلاّ تَبْطُلَ حُجَجُ الله وَ بَيِّنَاتُهُ، وَ كَمْ ذَا؟ وَ أَيْنَ أُولَئِكَ ؟ أُولَئِكَ وَ اَللهِ الاَقَلُّونَ عَدَداً وَ الاَعْظَمُونَ قَدْراً. يَحْفَظُ اللهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَ بَيِّنَاتِهِ حَتّى يُودِعُوها نُظَرَاءَهُمْ وَ يَزْرَعُوهَا فِى قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ. هَجَمَ بِهِمْ الْعِلْمُ على حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَ بَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِين،و اَسْتَلاَنُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرفُونَ، وَ أَنِسُوا بمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَ صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَان أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الاَعْلَى. أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِى أَرْضِهِ وَ اَلدُّعَاةً إلى دِينِهِ. آه آه شَوْقاً إلى رُؤيَتِهِمْ؛ انْصَرِفْ إذَا شِئتَ . [1]

و روى الكلينىّ بسنده عن أبى إسحاق، عن شخص يوثّقه من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام قال: **قال أميرالمؤمنين عليه السلام : اللَهُمَّ إنَّكَ لاَ تُخْلِى أَرْضَكَ مِنْ حُجَّةٍ لَكَ على خَلْقِكَ .** [2]

و كذلك روى بسنده عن أبى حمزة الثمالىّ، عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام قال: **قال:و اَللَهِ مَا تَرَكَ اللهُ أَرْضَاً مُنْذُ قَبَضَ آدَمَ عليه السلام إلاّ وَ فِيهَا إمَامٌ يُهْتَدَى بِهِ إلى اللَهِ وَ هُوَ حُجَّتُهُ على عِبَادِهِ وَ لاَ تَبْقَى الاَرْضُ بِغَيْرِ إمامٍ حُجَّةٍ لِلهِ على عِبَادِهِ .** [3]

١ـ «نهج البلاغة» ج ٢، ص ١٧٣.

٢ـ «أُصول الكافى» ج ١، ص ١٧٨.

٣ـ «أُصول الكافى» ج ١، ص ١٧٩.

و نقل أيضاً أربع روايات بأسناد مختلفة عن الإمام الصادق، و الإمام الكاظم، والإمام الرضا عليهم السلام تقول بأنّ حجّة الله على العباد لاتتمّ بغير الإمام .[1]

يقول المرحوم السيّد على خان فى «شرح الصحيفة» حول الروايات المأثورة عن طرق العامّة بشأن لزوم الإمام: أمّا من طرق العامّة فمنه الحديث المشهور المتّفق على روايته عن النبيّ: **مَنْ مَاتَ وَ لَمْ يَعْرِفْ إمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً** . و أخرج الحاكم بهذا المضمون و صحّحه عن إبن عمر، عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: **مَنْ مَاتَ وَ لَيْسَ عَلَيْهِ إمامٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**. و أخرج ابن مردويه عن على عليه السلام قال: **قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم فى قول الله تعالى: «يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ» قال: يُدعى كُلُّ قَوْمٍ بِإمامِ زَمانِهِمْ وَ كِتابِ رَبِّهِمْ وَ سُنَّةَ نَبِيِّهِمْ** . وأخرج ابن عساكر عن خالد بن صفوان أنّه قال: **لَمْ تَخْلُ الاَرضُ مِنْ قَائِمٍ لِلهِ بِحُجَّتِهِ فِى عِبَادِهِ** ـ انتهى.

النقطة السادسة: أشار الرسول الاعظم فى هذا الحديث إلى ظهور قائم آل محمّد، الحجّة بن الحسن العسكرى عجّل الله تعالى فرجه الشريف فقال: **وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الدُّنْيَا إلاّ يَوْمٌ وَ احِدٌ لَطَوَّلَ الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتّى يَخْرُجُ قَائِمُنَا فَيَمْلاَ الارْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمَاً وَ جَوراً** . و هذه المسألة لاتخصّ مذهب الشيعة بل هى مسألة عامّة و من الاُصول الإسلاميّة المقطوع بها. و وفقاً لمفاد هذا الحديث، فقد وردت أحاديث كثيرة عن كبار علماء العامّة بأسنادهم عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حول ظهور الإمام المهدى أرواحنا فداه و سنتعرّض لها بالتفصيل فى

١ـ «أُصول الكافى» ج ١، ص ١٧٧

بحوثنا القادمة، إن شاء الله.

و من أحاديث القسم الثانى من الطبقة الثامنة فى تفسير الآية: **إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** . حديث رواه الشيخ الصدوق بسنده عن موسى بن مسلم، عن مسعدة، قال: كنت عند الصادق عليه السلام إذ أتاه شيخ كبير قد انحنى متّكئاً على عصاه، فسلّم، فردّ عليه أبو عبدالله عليه السلام الجواب. ثمّ قال: يابن رسول الله، ناولنى يدك لاقبّلها، فأعطاه يده فقبّلها ثمّ بكى، ثمّ قال له أبو عبدالله عليه السلام ما يبكيك يا شيخ؟ فقال: جعلت فداك، أقمتُ على قائمكم منذ مائة سنة، أقول: هذا الشهر، و هذه السنة، و قد كبر سنّى ورقّ جلدى و دقّ عظمى واقترب أجلى و لا أرى فيكم ما أُحبّ. أراكم مقتولين مشرّدين، و أرى أعداءكم يطيرون، و كيف لا أبكى؟

فدمعت عينا أبى عبدالله عليه السلام ثمّ قال: يا شيخ، إن أبقاك الله حتّى ترى قائمنا، كنت فى السنام الاعلى. و إن حلّت بك المنيّة، جئت يوم القيامة مع ثَقَل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم و نحن ثَقَله.[1] **فقال [محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم] : إِنِّى مُخَلِّفٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ فَتَمَسَّكُوا بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ وَ عِتْرَتِى أَهْلَ بَيتِى** . فقال الشيخ : لا أُبالى بعدما سمعتُ هذا الخبر.

ثمّ قال: يا شيخ، اعلم أنّ قائمنا يخرج من صُلب الحسن العسكرى ، و الحسن يخرج من صلب على، و على يخرج من صلب محمّد، و محمّد يخرج من صلب على، و على يخرج من صلب موسى ابنى هذا، و أشار إلى ابنه موسى، و هذا خرج من صلبى . نحن اثنا عشر كلّنا معصومون مطهّرون .

١ـ المُراد بالثقل الشيء المهم الجليل الذى تتعلّق به شخصيّة المرء.

فقال الشيخ: يا سيّدى، بعضكم أفضل من بعض ؟ فقال: لا، نحن فى الفضل سواء، ولكن بعضنا أعلم من بعض. ثمّ قال: يَا شَيْخُ وَ اللّه لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إلاّ يَوْمٌ وَ احِدٌ لَطَوَّلَ اللّه ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتّى يَخْرُجُ قَائِمُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ إلاّ أَنَّ الشِّيْعَةَ يَقَعُونَ فِى فِتْنَةٍ وَ حَيْرَة فِى غَيْبَتِهِ. هُنَاكَ يُثَبِّتُ اللّه على هَذَا الْمُخْلَصِينَ. اللَهُمَّ أَعِنْهُمْ على ذَلِكَ . [1]

وروى الشيخ الصدوق أيضاً بإسناده عن عبدالغفّار بن القاسم أبى مريم، عن أبى هريرة، قال: دخلت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم و قد نزلت هذه ايية: «إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَاد».فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللّه قَالَ: أَنَا الْمُنْذِرُ، أَتَعْرِفُونَ الْهَادِى؟ قُلْنَا: لاَ، يَا رَسُولُ اللّه . قَالَ: هُوَ خَاصِفُ النَّعْلِ، فَطُوِّلَتِ الاَعْنَاقُ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا على عَلَيهِ السَّلاَمُ مِنْ بَعْضِ الْحُجَرِ وَ بِيَدِهِ نَعْلُ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا: أَلاَ إِنَّ هَذ الْمُبَلِّغُ عَنِّى وَ الآمام بَعْدِى وَ زَوْجُ ابْنَتى وَ أَبُو سِبْطَىَّ فَفَحْراً. نَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ أَذْهَبَ اللّهُ عَنَّا الرِّجْسَ وَ طَهَّرَنَا تَطْهِيراً مِنَ الدَّنَس ، تُقَاتِلُ بَعْدِى على التَّأوِيل كَمَا قَاتَلْتُ على التَّنْزِيل، هُوَ الآمام أَبُو الاَئِمَّةِ الزُّهُّدِ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ كَم الاَئِمَّةُ بَعْدَكَ؟ قَالَ: اثْنَا عَشَرَ، عَدَدَ نُقَبَاءِ بَنى إِسْرَائِيلَ، وَ مِنّا مَهْدِىُّ هَذِهِ الاُمَّةِ يَمْلاَ اللّهُ الاَرْضَ قِسْطاً وَ عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَ ظُلْماً، لاَ تَخْلُو الاَرْضُ مِنْهُمْ إلاّ سَاخَتْ بِأَهْلِهَا . [2]

قال العلاّمة المجلسىّ موضّحاً القصد من الروايات الواردة فى تفسير الآية « إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ » و ذلك بعد نقله روايات كثيرة فى هذا

١ـ «تفسير البرهان» ج ١، ص ٥١٧ .

٢ـ «كفاية الاثر» ص ٨٧ ـ ٨٩ ؛ «غاية المرام» ص ٢٣٦ الحديث الثانى عشر؛ و «بحار الانوار» ج ٣٦، ص ٣١٥ و ٣١٦

المجال: قال السيّد [ابن طاووس رضوان الله عليه] فى كتاب «سعد السُّعود»: إنّه روى الشيخ محمّد بن عبّاس بن مروان فى تفسير كون الهادى عليّاً فى قوله تعالى: «و لكلّ قوم هاد» بخمسين طريقاً. ثمّ قال المجلسىّ بعد شىّ من شرح هذه الآية: [الإحتمال [الثالث] هو أنّ] المنذر النبىّ صلّى‌الله عليه وآله وسلّم و الهادى على. قال ابن عبّاس: وضع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يده على صدره. فقال: **أَنَا الْمُنْذِرُ**. و أومأ إلى منكب على و قال: **أَنْتَ الْهَادى، يَا على بِكَ يَهْتَدِى الْمُهْتَدُونَ بَعْدِى**. وَ لا يخفى دلالة الآية بعد ورود تلك الاخبار عَلى أنّه لا يخلو كلّ زمانٍ من إمام هادٍ.

إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام هو الهادى و الخليفة و الإمام بعد النبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لا غير بوجوه شتّى :

الاوّل: مقابلته للنبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّه منذر، و على هاد. و لا يريب عاقل عارف بأساليب الكلام أنّ هذا يدلّ على كونه قائماً بما كان يقوم به، بل و أكثر لانّه نسب صلّى الله عليه وآله وسلّم محض الإنذار إلى نفسه و الهداية التى أقوى منه إليه [أى إلى على عليه السلام] .

الثانى: الحصر المستفاد من قوله: **أَنْتَ الْهَادى**: إذ تعريف الخبر باللاّم يدلّ عى الحصر. و كذا فى قول أميرالمؤمنين عليه السلام **أَنَا الْهَادى إلى مَا جَاءَ بِهِ**. وَ كذا فى قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **وَالْهَادِى على**. فإنّ تعريف المبتدأ باللاّم أيضاً يدلّ عليه.

الثالث: تقديم الظرف فى قول رسول الله: **بِكَ يَهْتَدِى الْمُهْتَدُونَ** الدالّ على الحصر أيضاً. و كذا أمثاله من الالفاظ السابقة. و بهذه الاخبار يظهر أنّ حديث **أَصْحَابِى كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ** من مفترياتهم [أى العامّة على رسول الله] ، كما اعترف كبارهم بكونه موضوعاً، [منهم] :

شارح «الشفاء» و رواته، و كذا ابن حزم، و الحافظ زين‌الدين العراقىّ، و سيأتى القول فى ذلك إن شاء الله تعالى. [١]

و قد ناقش العلاّمة ميرحامد حسين الهندىّ رضوان الله عليه فى‌الجزء الثانى من المجلّد الثانى عشر من كتابه: «عبقات الانوار» هذا الحديث بالتفصيل، و برهن على أنّه منحول موضوع لاسباب عديدة. [٢]

إنّ بحثنا فى هذا القسم من الكتاب كان يحوم فقط حول تفسير الآية: «**إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**» و إثبات إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام فى ضوئها. و لذلك اكتفينا بالرّوايات المأثورة فى هذا الموضوع، و إلاّ فإنّ الروايات الدالّة على إمامته، بمضامين متنوّعة، و التى بيّنها رسول الله صلّى‌الله عليه وآله وسلّم و هى مدوّنه فى كتب الشيعة و السنّة، تفوق الإحصاء. و قد ألمحنا إلى بعضها فى تضاعيف هذه البحوث، و سنلمّح إليها فى بحوثنا القادمة.

يقول شاعر أهل البيت السيّد إسماعيل الحِمْيَرىّ:

هُمَا أَخَوَانِ ذَا هَادٍ إلى ذَا ... وَ ذَا فِينَا لاِمَّتِهِ نَذِيرُ
فَأَحْمَدُ مُنْذِرٌ وَ أَخُوهُ هَادٍ ... دَلِيلٌ لايُضِلّ وَ لاَ يَحِيرُ
كَسَابِق حَلْبَةٍ وَ لَهُ مَظَلٌّ ... أَمَامَ الْخَيْلِ حَيْثُ يَرَى‌الْبَصِيرُ [٣]

و يقول أيضاً:

يَا أَحْمَدُ الْخَيْرُ الَّذِى إِنَّمَا ... كَانَ عَلَيْنَا رَحْمَةً تُنْشَرُ

١ـ «بحار الانوار» ج ٩، ص ٧٦ و ٧٧.

٢ـ «عبقات الانوار» المجلّد الثانى عشر، الجزء الثانى، القسم الاوّل، و الثانى والثالث، طبع اصفهان، مؤسّسة نشر الكتب المخطوطة فى اصفهان.

٣ـ «مناقب» ابن شهرآشوب ج ١، ص ٥٦٨، و «ديوان الحميرىّ» ص ٢٠٠

حَمْـزَةُ وَالطَّيَّــارُ فِـى جَنَّــةٍ فَحَيْـثُ مَـا شَـاءَ دَعَـا جَعْفَـرُ
مِنْهُمْ وَ هَادِينَا الَّذِى نَحْنُ مِنْ بَعْـدِ عَمَـائَا فِيـهِ نَسْــتَبْصِرُ
لَمّــا دَجَا الدّينُ وَ رَقَّ الْهُـدى وَ جَارَ أَهْلُ الاَرْضِ وَاسْـتَكْبَرُوا
ذَاكَ عــلى بْـنُ أَبى طَــالِبِ ذَاكَ الَّـذِى دَانَـتْ لَـهُ خَيْبَــرُ

و يقول:

مَـنْ كَانَ فِى الدِّيـنِ نُـوراً يُسْــتَضَاءُ بـهِ
وَ كَــانَ مِـنْ جَهْـلِهَا بِالْعِـلْمِ شَـافِيهـا
كَـانَ النَّبِــىُّ بِـوَحْـى اللَـهِ مُـنْـذِرَهَـا
وَ كَـانَ ذَا بَعْــدَهُ لاَشَــكَّ هَـادِيهَا

و يقــول ابــن أبى الحديــد المعــتزلىّ فى القصيــدة الســابعة مــن علويّاتــه الســبع متطرّقــاً إلى الاوصــاف العجيبــة و المقامــات العاليــة لامــيرالمؤمنين عليه‌السلام:

الصَّـبْرُ إِلاّ فِـى فِرَاقِـكَ يُحْمَـلُ وَالصَّـعْبُ إِلاّ عَـنْ مَلاَلِكَ يُسْهَلُ
يَا ظَالِمـاً حَكَّمْتُـهُ فِـى مُهْجَتِـى حَتَّـامَ فِى شَـرْعِ الْهَوى لاَ تَعْدِلُ
أَنْفَقْـتُ عُمْـرى فِى هَوَاكَ تَكَرُّماً وَ تَضِـنُ بالنَّـزْرِ الْقَلِيـلِ وَ تَبْخَلُ
إِنْ تَـرْمِ قَلْبِى تَصْمِ نَفْسَكَ إِنَّـهُ لَكَ مَـوْطِـنٌ تَأوى إِلَيْـهِ وَ مَنْزِلُ
أَتَظُـنُّ أَنِّــى بالإِسَـاءَةِ مُقْــلِعٌ كَيْـفَ الدَّوَاءُ وَ قَدْ أُصِيبَ الْمَقْتَلُ
أَعْرِض وَ صُدَّ وَجُرْ فَحُبُّكَ ثَابِتٌ بِتَنَقُّــلِ الاَحْــوَالِ لاَ يَتَنَقَّـلُ
وَاللَـهِ لاَ أَسْـلُوكَ حَتَّـى أَنْطَوِى تَحْتَ التُّرابِ وَ يَحْتَوِينِى الْجَنْدَلُ
مَـنْ لى بِأَهْيَـفَ قَـدْ أَقَامَ قِيَامَتى خَـدٌّ لَهُ قَـانٍ وَ طَـرْفٌ أَكْحَـلُ

١ـ «ديوان الحميرىّ» ص ٢٠٦. و جاء البيت الثالث، و الرابع فى «مناقب» ابن شهرآشـوب ج ١، ص ٥٦٩. و ذكر ابن شهرآشوب كلمة «على» بدل كلمة «مِنْهُمْ».

٢ـ «مناقب» ابن شهرآشوب ج ١، ص ٥٦٨.

إلى أن يقول:

وَ لاَهْتِكَنَّ على الْهَوى سِتْرَ الْحَيَا ... إِنَّ الْفَضِيحَةَ فِی الْمَحَبَّةِ أَجْمَلُ
يَصْفَرُّ وَجْهی حِينَ أَنْظُرُ وَجْهَهُ ... خَوْفاً فَيُدْرِكُهُ الْحَياءُ وَ يَخْجَلُ

و حتّی يصل إلى قوله:

لاَ تُنْكِرُوا فَيْضَ الدُّموعِ فَإِنَّهَا ... نَفْسی يُصَعِّدُهَا الْغَرَامُ الْمَشْعَلُ
هِیَ مُهْجَتِی تَحَلَّلُ بِالْبُكَاءِ ... أَسَفاً وَ طَوْراً بِالزَّفِيرِ تَحَلَّلُ

إلى أن يقول:

يَا رَاكِباً تَهْوی بِهِ شَدَنِيَّةٌ[1] ... حَرْفٌ كَمَا تَهْوی حَصَاةٌ مِنْ عَلُ
هَوْ جَاءُ تَقْطَعُ جَوْزَ تَيَّارِ الْفَلاَ ... حَتِّی تَبُوصَ[2] على يَدَيْهَا الاَرْجُلُ
عُجْ بِالْغَرِیِّ على ضَرِيحِ حَوْلَهُ ... نَادٍ لاِمْلاَكِ السَّمَاءِ وَ مَحْفِلُ
فَمُسَبِّحٌ وَ مُقَدِّسٌ وَ مُمَجِّدٌ ... وَ مُعَظِّمٌ وَ مُكَبِّرٌ وَ مُهَلِّلُ
وَالْثِمْ ثَراهُ الْمِسْكَ طيباً وَاسْتَلِمْ ... عيدانَهُ قُبُلاً فَهُنَّ الْمَنْدَلُ
وانْظُرِ إلى الدَعَواتِ تَصْعَدُ عِنْدَهُ ... وَ جُنُودِ وَحی اللَهِ كَيْفَ تَنَزَّلُ
وَالنُّورُ يَلْمَعُ وَالنَّواظِرُ شُخَّصٌ ... وَاللَّسْنُ خُرْسٌ وَالْبَصَائِرُ ذُهَّلُ
وَاغْضُضْ وَ غُضَّ فَثَمَّ سِرٌّ أَعْجَمُ ... دَقَّتْ مَعانيهِ وَ أَمرٌ مُشْكِلُ
وَ قُلِ السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَامَوْلَی الْوَرَی ... نَصّاً بِهِ نَطَقَ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ
وَ خِلاَفَةً مَا إِنْ لَهَا لَوْ لَمْ تَكُنْ ... مَنْصُوصَةً عَنْ جِيدِ مَجْدِكَ مَعْدِلُ

و إلى يقول:

عَجَباً لِهَدی الاَرْضِ يُضْمِرُ تُرْبُها ... أَطْوَادَ مَجْدِكَ كَيْفَ لاَ تَتَزَلْزَلُ
عَجَباً لاِمْلاَكِ السَّمَاءِ يَفُوتُهَا ... نَظَراً لِوَجْهِكَ كَيْفَ لاَتَتَهَيَّلُ

١ـ شَدَن: موضع باليمن، و الاءبل الشدنيّة منسوبة إليه. (م)

٢ـ البَوْص: السَّبْقُ والتقدّم. أی أن أرجلها ستتقدّم على أيديها من العجلة. (م)

يَا أَيُّهَا النَّبَأُ الْعَظِيمُ فَمُهْتَدٍ فِى حُبِّهِ وَ غُواةُ قَوْمٍ جُهَّلُ
يَا أَيُّهَا النَّارُ التى شَبَّ السَّنا مِنْها لِمُوسَى وَالظَّلاَمُ مُجَلَّلُ
يَا فُلكَ نُوحٍ حَيْثُ كُلَّ بَسيطَةٍ بَحْرٌ يَمورُ وَ كُلُّ بَحر جَدْوَلُ
يَا وَارِثَ التَّوراةِ وَ الإِنْجيلِ وَ الْقُرآنِ وَالْحِكَمِ الَّتى لَاَ تُعْقَلُ
لَوْلاَكَ مَا خُلِقَ الزَّمَانُ وَ لاَدَجَى غِبَّ ابْتِلاَجِ الْفَجْرِ لَيْلٌ أَلْيَلُ

إلى أن يقول:

إِنْ كَانَ دينُ مُحَمَّدٍ فِيهِ الْهُدىَ حَقّاً فَحُبُّكَ بَابُهُ وَالْمَدْخَلُ

و يقول:

صَلَّى عَلَيْكَ اللَهُ مِنْ مُتَسرْبِل قُمُصاً بِهِنَّ سِواكَ لاَيَتَسَرْبَلُ
وَ جَزاكَ خَيْراً عَنْ نَبِيِّكَ إِنَّهُ أَلْفَاكَ نَاصِرَهُ الَّذِى لاَيَخْذلُ
سَمْعاً أَميرَالْمُؤمِنينَ قَصَائِداً يَعْنُو لَهَا بُشْرٌ وَ يَخْضَعُ جَرْوَلُ[1]
اَلدُّرَّ مِنْ أَلْفَاظِهَا لَكِنَّهُ دُرَّ لَهُ ابنُ الْحَدِيدِ يُفَصِّلُ
هِيَدُونَ مَدْحِ اللهِ فِيكَوَفَوْقَ مَا مُدِحَ الْوَرى وَ عَلاَكَ مِنْهَا أَكْمَلُ[2]

نلحظ ابن أبى الحديد فى هذه القصيدة يسلك سلوك الشاعر الغزلىّ الذى استحوذ عليه العشق فجعل المعشوق قبلته فاكتوى بنار هجرانه. و رأى حبيبه غير مبال و لامكترث بعشقه المتّقد مع جفوةٍ و قسوةً إلى الحدّ الذى لايسمح به للعاشق المسكين أن يدخل فى رحابه المنيعة، بل و يضنّ عليه حتّى بكلمة واحدة و نظرة واحدة تضمّد جراحه كالبلسم، فطفق يتحدّث مع أميرالمؤمنين عليه السلام من وحى الشكوى والعتاب.

١ـ الجَرْوَل: اسم لبعض السِّباع. (م)

٢ـ طبعت هذه القصيدة مع قصائد أُخرى لاءبن أبى الحديد معروفة بالعلويّات السبع وذلك ضمن كتاب «المعلّقات السبع».

و يقول الشاعر المصریّ العارف المشهور ابن الفارض أيضاً و هو فی مقام المناجاة، يناجی ربّه فی هذين البيتين الذين أنشدهما عاتباً و شاكراً فی آن واحد:

ذَهَبَ الْعُمْرُ ضِياعاً و انْقَضى بَاطِلاً إِذْ لَمْ أَفُزْ مِنْكُمْ بشیْ
غَيْرَ مَاأُوليتُ مِنْ عَقْدِ وَلاَ عِتْرَةِ الْمَبْعُوثِ مِنْ آلِ قُصَیْ[1]

اللَهُمّ إجعلنا من رفقاء محمّد وآله الطاهرين عليهم السّلام واخلف علی عقبنا فی الغابرين و ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين. هذه بضاعة مزجاة إلى باب مدينة العلم و منار الانام و غاية الهدى أميرالمؤمنين علیّ بن أبی طالب عليه السلام و قد وفّقنی الله أن أُلقيها علی الناس فی المسجد كمواعظ و محاضرات تربويّة، و ذلك فی شهر رمضان المبارك سنة ألف وثلاثمائة و خمس و تسعين من الهجرة. و وفّقنی الله أيضاً أن أدوّنها فی ذلك الشهر الشريف.

غرض نقشی است كز ما باز ماند كه هستی را نمی‌بينم بقائی
مگر صاحبدلی از روی رحمت كند در حقّ درويشان دعائی[2]

يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَ أَهْلَنَا الضُّرُّ وَ جِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَه يَجْزِی الْمُتَصَدِّقِينَ .

وَ أَنَا العبد الراجی السيّد محمّد الحسين الحُسينی الطِّهْرانی

١ـ «ديوان ابن الفارض» ص ٢٥ ضمن يائيّته: سَائِقُ الاَظعانِ يَطوی البيدَ طی.

٢ـ إنّ الهدف نقش و أثر يظلّ منّا، إذ إنّی لا أری بقاءً و ديمومةً لهذا الوجود. و لعلّ رجلاً عارفاً يشفق بنا من وحی الرحمة و العطف فيدعو لنا نحن الدراويش.